الإسلام في معالمه الأساسية

بين

الهجرة النبوية والنهضة الحسينية

سلسلة محاضرات

ألقاها السيد

عبد الملك بدر الدين الحوثي

١٤٤٠هـ

إخراج الوحدة الفنية

بمكتب السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي

الطبعة الأولى

صفر ١٤٤٠هـ

كل الحقوق محفوظة

لمكتب السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي

المحتويات

الصفحة:

المحاضرة الأولى

١. قريش.. واقع مظلم يرفض النور ويضيع الفرصة ٣
٢. المستكبرون ودورهم التخريبي عبر العصور ٤
٣. مجتمع مكة.. منتهى الرفض والعناد! ٦
٤. المجتمع المكي وسنَّة الاستبدال ٩
٥. النور الذي يجب أن نتطلع إليه عبر الزمن ١٠
٦. المعالم الأساسية في الإسلام ١٢
٧. المعلم الأول: الإسلام دين تحرر من الطاغوت والاستكبار ١٢
٨. المبدأ القوي لهذا المعلم لدى رسول اللّه ١٤
٩. تركيز الإسلام على هذا المعلم وحاجتنا له اليوم ١٦
١٠. المعلم الثاني: الإسلام دين وعي ونور وبصيرة ١٧
١١. المفاهيم الظلامية وكيف نتخلص منها؟ ١٩

المحاضرة الثانية

١. عودتنا للرسول الأكرم عودة للأصالة ونبذ للزيف ٢٤
٢. المعلم الثالث: الإسلام دين زكاء وطهارة ومكارم أخلاق ٢٧
٣. خصائص النفس البشرية ٢٨
٤. أهمية العزة الإيمانية في الإسلام ٣٢
٥. المعلم الرابع: الإسلام دين العدل والقسط ٣٣
٦. مسؤولية الأمة الإسلامية ٣٥

المحتويات

الصفحة:

المحاضرة الثالثة

١. المعلم الخامس: المسؤولية ٤١
٢. المجتمعات الملتزمة بالدين تجد نفسها في صدام مع قوى الطاغوت ٤٣
٣. الإسلام يشكل حماية من تسلط الطغاة الظالمين ٤٥
٤. الجهاد بالمفهوم القرآني لمواجهة التحديات ٤٧
٥. خطورة الابتعاد عن المفهوم القرآني للحياة في الدنيا والآخرة ٤٩

المحاضرة الرابعة

١. المفاهيم الضالة التي تهدف لهدم أسس الإسلام ٥٦
٢. مساحة المسؤولية في القرآن الكريم ٥٩
٣. المفهوم الواسع للمسؤولية ٦٠
٤. منهجية القرآن لرسول الله أمام استهداف الأعداء للأمة ٦٢
٥. القرآن الكريم يحيي حالة النفير ويذم حالة التخاذل ٦٤
٦. القعود انحراف عن خط رسول الله ٦٦
٧. المخلفون.. خواء الإيمان وموت الضمير ٦٨
٨. موقف القرآن من المُتخلِّفين ٧٠
٩. جريمة الرضى بالقعود ٧٣
١٠. نتائج الطبع على القلوب ٧٥
١١. طريقة تعامل الصادقين مع رسول الله ٧٦
١٢. طبيعة الإذن للمعذورين من الجهاد ٧٨

المحتويات

الصفحة:

المحاضرة الخامسة

١. الأزمات التي تعانيها الأمة ٨٣
٢. ثمرة مبادئ وأسس الإسلام وخطورة ضياعها ٨٥
٣. مظلومية الشعب الفلسطيني.. أسباب المشكلة ٨٧
٤. كيف غابت تلك المعالم والقيم من أوساط الأمة؟ ٩١
٥. الانحراف الكبير الذي صنعه بنو أمية ٩٥
٦. استنهاض القرآن والرسول للأمة ٩٦
٧. علاقة الأمة المؤمنة بالجهاد في سبيل الله ٩٩

المحاضرة السادسة

١. موقع المسؤولية في الإسلام ١٠٧
٢. المسؤولية معيار لصدق الانتماء الإيماني ١٠٨
٣. الغربلة.. سنة إلهية عبر الزمن ١١٢
٤. التمحيص الإلهي للمؤمنين ١١٦
٥. وليعلم المؤمنين.. وليعلم الذين نافقوا ١١٨
٦. النفاق.. تنصل عن المسؤولية وتجرد من القيم ١٢٠
٧. مرضى القلوب وسنة الله في كشف واقعهم ١٢٢
٨. الامتحان الإلهي في مدرسة الحياة ١٢٥
٩. التحرك النفاقي أثناء التحديات ١٢٧
١٠. الطليعة الصادقة ١٢٩

المحتويات

الصفحة:

المحاضرة السابعة

١. ضرورة العودة إلى أصالة الإسلام ومعالمه الأساسية ١٣٣
٢. مبدأ المسؤولية في القرآن الكريم ١٣٦
٣. أثر غياب المسؤولية على الأمة الإسلامية ١٣٨
٤. من المعني برفع الظلم وإقامة العدل؟ ١٣٩
٥. مصير المتطلعين إلى الأمم المتحدة ١٤٢
٦. إقامة العدل مسؤولية المسلمين ١٤٣
٧. أسباب غياب المعالم الأساسية عن واقع الأمة ١٤٦
٨. بدأ الإسلام غريبًا إلخ.. ماذا تعني الغربة؟ ١٤٨
٩. تحريف المفاهيم الإسلامية واستغلالها ١٥١
١٠. العناوين الزائفة ١٥٢
١١. ثم ماذا كانت النتيجة؟ ١٥٤
١٢. قوى الشر.. تعدد العناوين ووحدة الموقف ١٥٦
١٣. الاستغلال السلبي للعناوين الرئيسية وضرورة المواجهة ١٥٧
١٤. نتيجة التجاهل للمعالم الأساسية في الإسلام ١٥٩

المحاضرة الثامنة

١. بغياب المعالم الأساسية في الإسلام خسرت الأمة موقعها ١٦٥
٢. نظرة رسول الله للمستقبل بتنوير الله ورعايته ١٦٧
٣. الخطر الذي شكلة بنو أمية على الأمة بعد وصولهم السلطة ١٦٩
٤. فتنة بني أمية في النص القرآني ١٧٠

الصفحة:

٥. النصوص النبوية تكشف مستقبل بني أمية ١٧٢
٦. الأمويون ومساراتهم في تحريف مفاهيم الدين ١٧٤
٧. أبشع أنواع الظلم والتضليل ١٧٦
٨. ما الذي ساعد على نجاح المفترين؟ ١٧٨
٩. عاقبة كتمان الحق وأثره في ضياع الأمة ١٨٠
١٠. بين الصمت وبين تقديم البدائل.. غابت المعالم الأساسية ١٨٣
١١. بنو أمية.. الاستعباد والاستئثار ١٨٥

المحاضرة التاسعة

١. نتائج الانحراف عن المعالم الأساسية في الإسلام ١٨٩
٢. من هو يزيد؟ ١٩٠
٣. الهاوية التي تحرك يزيد بالأمة إليها ١٩٢
٤. خطوات التمهيد لولاية يزيد ١٩٦
٥. رفض الأمة لمسار يزيد المنحرف ١٩٧
٦. مسار الطاغية وتناقضه مع مسار الدين الحق ١٩٩
٧. إرهاصات المواجهة بين الطاغية والإمام الحسين ٢٠٢
٨. لماذا تحول الإمام الحسين إلى مكة؟ ٢٠٣
٩. إجراءات ما قبل المسير، والمتغيرات أثناء المسير ٢٠٥
١٠. الدعي ابن الدعي والياً للكوفة!! ٦٠٢
١١. الإمام الحسين الامتداد لمنهج الرسول ووارثه ٢٠٧

الصفحة:

خطاب عاشوراء

١. ذكرى استشهاد الإمام الحسين ٢١٣

٢. رسالة السيد القائد في يوم عاشوراء ٢١٧

المحاضرة الأولى

١ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

ونسأل الله ﷻ أن يبارك لنا ولكم في العام الهجري الجديد، إنه سميع الدعاء، وأن يوفقنا وأياكم لما يرضيه عنا...

رُبِط التاريخ الإسلامي بالهجرة النبوية، لكل ما لذلك من دِلالةٍ مهمة على أهمية الهجرة كحدثٍ تاريخيٍ عظيم، مثَّلت نقلةً عظيمةً ومهمةً **جدًّا**، نتج عنها تحول في الواقع العالمي وفي الواقع البشري، وترتب عليها نتائج مهمة **جدًّا**.

ونحن كأمةٍ مسلمة، وكشعبٍ يمنيٍ مسلم عندما نعود إلى هذه المناسبات، وإلى مثل هذه الذكرى العظيمة والمهمة من تاريخنا الإسلامي، فنحن نعود إليها من واقع حاجتنا كشعبٍ يمنيٍ مسلم، وحاجتنا كأمةٍ مسلمةٍ بشكلٍ عام، من واقع ما نواجهه وما نعانيه من أخطار وتحديات ومشاكل وأزمات، نعود إلى هذه المحطات التاريخية المشرقة والملهمة والمضيئة من تاريخنا

لنستلهم منها الدروس، ونستلهم منها العبر، ونستفيد منها فيما نواجهه، نحن نفتقر- دائمًا- فيما نواجهه من تحديات وأخطار ومشاكل، نفتقر دائمًا ونحتاج بشكلٍ مُلِح إلى الرؤية الصحيحة والسليمة والهادفة، وإلى الطاقة المعنوية والروحية التي نكتسب منها العزم، ونكتسب منها الصبر والتحمل للنهوض بالمسؤولية، ولمواصلة السير في الدرب وفي الطريق الصحيح، ونحتاج بين هذا وذاك إلى الاتصال والارتباط بما نكسب به رعاية الله، ومعونة الله ﷻ وألطافه، وتدخله، وتأييده، وهدايته لما يصلنا بالله فيكون معنا.

هذا كله لا يمكن أن نحصل عليه من هناك أو هناك، لنتلفت إلى خارج ساحتنا الإسلامية، وإلى خارج جذورنا الإسلامية، وإلى خارج الاتجاه الأصيل لمسارنا الإسلامي ومنهجنا الإسلامي، مهما تلفتنا إلى الشرق وإلى الغرب فلن نحصل على أي شيءٍ مما يمثِّل حلًا صحيحًا وسليمًا، ومما يعالج لنا ما نحن بحاجةٍ إلى معالجته في واقعنا.

من الغريب في حالتنا كأمةٍ مسلمة أن أعداءنا الذين يصنعون لنا المأساة في واقعنا بكله، ويستثمرون في مشاكلنا، ويستغلون واقعنا المتردي، يحرصون هم أن يكونوا هم من نتجه إليهم لنستلهم منهم الحلول، وليقدِّموا أنفسهم المخلِّصين والمنقذين، وهم- في واقع الأمر- من يصنعون المآسي، ومن يسعون بكل ما يستطيعون وبكل الوسائل إلى تحطيمنا كأمة، تحطيمنا بشكلٍ تام.

الهجرة النبوية محطةٌ تاريخيةٌ عظيمةٌ ومهمة، وجديرةٌ بأن ربط بها التاريخ الإسلامي بكل ما تحمله من دروس وعبر، وما نتج عنها من متغيرات كبرى، الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله وسلم- منذ أن ابتعثه الله بالرسالة، فبلَّغ رسالات الله، بدءًا في مكة (أم القرى)، لتكون هي محطته الأولى لبلاغ الرسالة الإلهية.

قريش.. واقع مظلم يرفض النور ويضيع الفرصة

مجتمع مكة (قبائل قريش ومن حولهم) أتيحت لهم فرصة لا يساويها فرصة أبدًا، فرصة لنيل شرفٍ عظيم، لأن يكونوا هم من يكونون في طليعة البشرية في حمل راية الإسلام، في أن يستنيروا بنوره، وأن يتخلَّصوا مما هم فيه من واقعٍ ظلاميٍ ومظلمٍ، ومليءٍ بالظلم، ومليءٍ بالخرافات، واقعٍ غارقٍ تحت سيطرة الطاغوت، أن يكونوا هم في طليعة البشرية، يحملون راية الإسلام بعظمتها، الإسلام بما فيه من تحرر، الإسلام بما فيه من مبادئ عظيمة وأخلاق كريمة وتشريعات إلهية، الإسلام كدينٍ نتصل من خلاله بالله ﷻ في هدايته، وفي رعايته، وفي لطفه، وفي رحمته، ومجتمع مكة **(قبائل قريش ومن معهم)** في أكثريتهم كان موقفهم خاسرًا وخاطئًا وخائبًا، لقد تعاملوا تجاه هذه الرسالة، وتجاه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين بكل كفرٍ وجحودٍ وتنكر، مع وضوح مصداقية وعظمة ونقاء هذه الرسالة كما يقدِّمها الرسول ﷺ ومع ما يعرفونه عن رسول الله ﷺ ما يعرفونه عنه من كمالٍ ومن مكارم الأخلاق، وفيما عرفوه به من مصداقيةٍ لا نظير لها، ومن أمانةٍ لا مثيل لها في واقع البشرية جمعاء، وفيما عرفوه عنه من: اتزانٍ، ورشدٍ، وذكاءٍ، وصلاحٍ، واستقامةٍ، وسدادٍ يتميز به عن كل الناس، مع هذا وذاك اتجهوا حتى بعد الآيات المعجزات، والدلائل الواضحات، والبراهين النيرات التي تثبت صدقه في نبوته ﷺ في أنه نبيٌ من الله، في أنه رسولٌ من الله، في أنه يبلِّغ عن الله، في أن الله ابتعثه هاديًا، ورسولًا، ونبيًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا... إلى آخر ذلك. مع كل ذلك وقفوا موقفًا يتسم بالعناد، والنكران لهذه الرسالة، والتصدي لها.

ما هو الذي يؤثِّر على أي مجتمع من المجتمعات البشرية، مجتمع يغرق في المفاهيم الظلامية، يعاني في واقع حياته من الضياع بكل ما تعنيه الكلمة، ما يعبِّر عنه القرآن الكريم بالضلال المبين، ضياع في كل شيء، حالة من التيه، حالة من ضياع الحياة، الحياة بدون هدف، الحياة التي يغلب عليها الواقع العبثي، ويسيطر عليها الطاغوت بظلمه وظلامه، ثم يأتيه النور البين الواضح، ويأتيه الرشد، تأتيه دعوة الخير، دعوة الحق، يأتيه الهدى بما فيه من: تعليمات، وإرشادات، وتوجيهات، وأوامر، ونواهٍ، وبصائر، بكل ما ينسجم مع فطرته من جانب، ومع سنن الله في واقع الكون والحياة من جانبٍ آخر، وفي كل ذلك خيره، نفعه، خلاصه، فلاحه، فوزه، ودعوة حقٍ بينة، واضحة، لا لبس فيها، ثم يتنكر، ويجحد، ويعاند، ويرفض، ولا يكتفي بذلك، بل يتجه بكل ما يستطيع، وبكل ما بيده من إمكانات لمحاربة هذه الدعوة التي فيها خلاصه، فيها فلاحه، فيها نجاحه، فيها فوزه، فيها سعادته، يتجه لمحاربتها بكل الأساليب، وبكل الوسائل، وبكل الإمكانات.

المستكبرون ودورهم التخريبي عبر العصور

الحالة هذه تحصل لأسباب متعددة، في كل مجتمع هناك فئة متحكمة، مستغلة، مستأثرة، تتحرك في التأثير على المجتمع من حولها، والتحكم به حتى في صياغة المفاهيم، وحتى في مسار الحياة، فتطبع حياة الناس بطابعٍ يلائمها، يعزز نفوذها، يحكم سيطرتها، يساعدها على الاستغلال والتحكم، لا يشكِّل نقيضًا لهذا كله، لا نقيضًا لاستغلالها، ولا نقيضًا لسيطرتها، ثم تعمل على استغلال ذلك في امتهان واستعباد المجتمع، فإذا أتى هدى الله الذي يحرر الناس من العبودية لغير الله، والذي يبني واقع حياتهم على أساسٍ من المبادئ والقيم والأخلاق والتشريعات والتوجيهات الإلهية، يرون في ذلك

كله نزعًا لسيطرتهم، وقضاءً على هيمنتهم، ومنعًا لاستغلالهم، وحيلولةً بينهم وبين الاستعباد للناس، فيتجهون هم مستغلين سابق النفوذ، وتقادم التأثير، واستغلال السيطرة المستحكمة المؤثرة حتى في النفوس، ثم يعملون إلى دفع الجميع للتنكر لذلك الحق، والعمل على استهداف كل من يخرج عن نطاق تلك السيطرة وذلك الاستغلال وتلك الهيمنة، تمثِّل هذه المشكلة الرئيسية عبر التاريخ بكله، في كل عصور الأنبياء المتقدمين، إلى خاتم وسيد المرسلين سيدنا محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

هذه الفئة سمَّاها القرآن الكريم باسمها (المستكبرون والطاغوت)، المستكبرون، وهم **أيضًا** الطاغوت، بطغيانهم يسعون إلى استعباد الناس والتحكم بهم والسيطرة عليهم، السيطرة المطلقة عليهم، هذا هو ما حدث في مكة، بعد أن بعث الله رسوله محمدًا -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- تحرك الملأ في مكة، ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[ص:الآية٦]، تحركوا ولهم- من خلال فترات طويلة- تأثير في واقع المجتمع، وترسيخ لكل المفاهيم الظلامية التي تساعدهم على التحكم بالمجتمع والسيطرة التامة عليه، تحركوا بشكل كبير، وطبعًا الطاغوت في مفاهيمه الظلامية يربي المجتمع تربية سلبية، تترك أثرها السيئ حتى في نفوس الناس، حتى في وجدانهم، حتى في مشاعرهم، فتصنع حائلًا نفسيًا، وليس فقط فكريًا وذهنيًا، بل حتى نفسيًا، النفوس المدنسة، النفوس المنحطة، النفوس التي ألفت الباطل، وألفت الفساد، وانسجمت مع المنكر، لكثرة ما رُبيت على ذلك، وما دُفعت إلى ذلك، وما حُشرت في ذلك، تصبح على نحوٍ من النفور والتوحش في اتجاه جانب الحق، في اتجاه مكارم الأخلاق، وتصبح متجهةً- حتى بالانسجام- إلى الطواغيت، إلى أرباب الفساد، إلى قادة الشر، إلى من يمثِّلون

هم رموز الجريمة، والرذيلة، والمنكر، والفحشاء، والبغي، والفساد، والطاغوت، ينشدون إليهم تلقائيًا، يرتبطون بهم، ويتأثرون بهم، الكلام عن هذه النقطة يطول ويطول ويطول، وهي المشكلة الرئيسية في الواقع البشري، التي تكون أول عقبة تواجه الناس للحيلولة بينهم وبين الهداية، للحيلولة بينهم وبين الأنبياء والهدى الذي أتى به الأنبياء، ثم ما بعد فترة الأنبياء كذلك ما بين ورثة الأنبياء الحقيقيين، الصادقين، وهدى الله الذي يكونون هم مهتدين به، متمسكين به، ويدعون إليه، فتحول تلك العقبة بين الكثير من الناس وبينهم، وما لديهم من الهدى، وما هم عليه من الحق.

مجتمع مكة.. منتهى الرفض والعناد!

مجتمع مكة الذي بلغ في عناده، والذي بلغ في جحوده- في أكثريته- إلى درجة أن البعض منهم توجهوا بالدعاء إلى الله قائلين، كما حكى القرآن الكريم عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال]، **قالوا**: [خلاص، نحن لا نريد هذا الحق أبدًا، وإذا كان هو الحق من عندك يا الله]، يدعون الله على أنفسهم بأن يمطر عليهم حجارةً من السماء فتبيدهم نهائيًا، أو أن يعاجلهم بعذابٍ أليم ليتخلصوا من ذلك الحق، ما هو ذلك الحق الذي بلغوا من نفورهم منه، وعنادهم تجاهه، وكرههم له إلى درجة أن يدعوا على أنفسهم بالهلاك بهذه الطريقة المخيفة: مطر، حجارة من السماء، أو عذاب أليم يجتاحهم ويبيدهم، شيءٌ غريب! دين عظيم، فيه الخير، فيه الشرف، فيه السعادة، فيه الحرية، فيه الكرامة، فيه العزة، فيه السمو، فيه رحمة الله في الدنيا، فيه الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، الإنسان إذا ساء يمكن أن يتنكر حتى لأجمل وأرقى وأعظم ما

في الحياة، إلى هذه الدرجة وهذا المستوى من التنكر، ويمكن أن يحمل في نفسه الكراهية والنفور من الحق الواضح الجلي، الذي فيه الخير له، وفيه الحل له.

يقول القرآن الكريم عنهم أيضًا كذلك: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾، الأغلبية الساحقة فيهم، الأكثرية منهم، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾[يس]، وصلوا إلى درجة رهيبة من الخذلان، على مدى سنوات طويلة سمعوا فيها صوت الحق، وعرفوا هذا الحق، فنفروا منه، وصلوا في الأخير إلى درجة من الخذلان أن يسلبوا التوفيق نهائيًا، وأن يحقَّ عليهم القول، أصبحوا في موقع الاستحقاق للعذاب الإلهي، وأن لا يوفقوا للتوبة والهداية أبدًا، وأن لا يصلوا إلى الإيمان، فسدت نفوسهم، شقاقهم وعنادهم صنع فيهم ذلك الأثر السيئ الذي خرَّبهم نهائيًا، فأصبحوا فاقدين لكل عناصر الصلاح والخير التي يمكن أن تهيئهم للإيمان مجددًا، والمشكلة فيهم هي ارتباطهم بتلك الزمرة والفئة من رموز الشر والباطل والطاغوت، البعض منهم قالوا كما حكى الله عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، **قالوا:** [صحيح أنت تقدم هدى من الله، ولكن ليس بوسعنا أن نتبع معك هذا الهدى؛ **لأننا** سنعرض كل مصالحنا للخطر، ويمكن أن يتجه الآخرون لعدائنا والاستهداف لنا، فتتعرض مصالحنا الاقتصادية للخطر، ونتعرض في أمننا واستقرارنا للخطر والاستهداف]، رد الله عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾[القصص].

في الأخير وصل الحال بمجتمع مكة في أكثريته، وتحت قيادة زمرة الشر، الطاغوت، المستكبر، المتمثل آنذاك في أبي جهل وأبي سفيان ومن معهم، وصل الحال بهم إلى التآمر على شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مرحلة طويلة

من التكذيب والأذى والحرب الإعلامية والدعائية ضد الرسول والإسلام، وضد مبادئ الإسلام الرئيسية، والإكثار من الجدل، والخصام، والأذية، والاضطهاد لمن يسلمون، في نهاية المطاف التآمر على رسول الله ﷺ بهدف التخلص منه والاستهداف المباشر له، **يقول الله تعالى:** ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]، فهم ضاقوا ذرعًا بالرسول ﷺ في دعوته إلى الله بهذا الإسلام العظيم، واتجهوا- في نهاية المطاف- بمكرهم ومؤامرتهم للاستهداف له.

في مكرهم، وفي مخططاتهم ومؤامراتهم درسوا عدة خيارات لاستهداف الرسول ﷺ: أول خيار طرح: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، **ويعني ذلك:** الزج به في السجن، وإغلاق السجن عليه والحيلولة بينه وبين الناس، الخيار الآخر: ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾، الخيار الثالث: ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، واستقر رأيهم- كما ورد في السير والتاريخ- إلى الخيار الثاني الذي هو القتل، الاستهداف لرسول الله ﷺ بالقتل.

الله ﷻ يرعى رسوله، ويرعى دينه، وهو -جلَّ شأنه- القائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، لم يكن -جلَّ شأنه- ليترك نبيه ولا ليترك مشروعه الذي يستنقذ به عباده من الطاغوت، ولذلك قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]، فالله -جلَّ شأنه- وجَّه رسوله ﷺ بالهجرة، الهجرة باعتبار ذلك المجتمع لم يعد فيه أي أمل في الاستجابة لهذا الهدى، وفي أن يحظى بهذا الشرف العظيم والفضل الكبير، وأن يكونوا في طليعة البشرية في التمسك بهذا الهدى والنور، والانتفاع به، والاستفادة منه، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، خلاص خُذلوا.

المجتمع المكي وسنَّة الاستبدال

الأمر الآخر: باتت عملية الدعوة إلى الإسلام في ذلك الوضع المتوتر **جدًّا**، وتلك البيئة المجتمعية المعاندة والمتَّبعة للطاغوت، والكافرة بالحق، والمنصرفة عن الهدى، بات العمل فيها غير مجدٍ، لا يمكن أن يقوم للأمة الإسلامية كيان في ذلك الواقع، في تلك البيئة كان لابدَّ من الانتقال إلى مجتمعٍ آخر، سُنة مهمة من سنن الله ﷻ مع عباده اسمها سنة الاستبدال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: من الآية٣٨]، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام]، كان هناك مجتمع آخر، هذا المجتمع هو مجتمع الأوس والخزرج، في يثرب، فيما عرف فيما بعد بالمدينة المنورة، مدينة رسول الله ﷺ.

الأوس والخزرج قبيلتان يمنيتان، منذ مئات السنين استقرتا في ذلك الموقع، في بعض الأخبار والآثار أن ذلك من عهد تُبَّع اليماني، وأنه أمر حين كانا معه من القبائل اليمانية، هما الأوس والخزرج، بالاستقرار هناك إلى حين مبعث رسول الله ﷺ وأوصاهما بنصرته والإيمان به، الأوس والخزرج مثَّلا مجتمع لا يزال فيه قابلية للاهتداء بالإسلام وحمل راية الإسلام، وأن يكون هو البديل الذي يستبدل الله به مجتمع مكة، وهذا الذي حدث، خسر مجتمع مكة الذي بقي متشبثًا بأبي جهل وأبي سفيان، ورافضًا لرسول الله محمد ﷺ وبقي متشبثًا بخرافات وشرك، وظلمات من الجهل والأباطيل، ومساوئ الأخلاق، وغارقًا فيما هو فيه من مستنقعات الجاهلية والرذيلة والفساد، وأن يكون ذلك المجتمع الآخر هو المجتمع الذي يحظى بنور الإسلام، فيسْمُو بهذا الدين، ويعلو براية هذا الدين، ويشرُف بعظمة هذا الدين، بعظمة قيمه ومبادئه وأخلاقه، فيفوز هو بهذا الشرف الكبير، ويخسر مجتمع مكة، هذا-

بحد ذاته- يمثِّل درسًا مهمًا **جدًّا**، ونحن نقول كما في المناسبات الماضية، وكررنا هذه النقطة إلى مجتمعنا اليمني: أن القدوة والأسوة في التمسك بالحق، والإقبال على الهدى، والتمسك بمبادئ الإسلام، وقيمه العظيمة، وأخلاقه الكريمة، وتشريعاته التي فيها الخير والفلاح؛ **مجتمع الأنصار الذي آوى رسول الله ونصر رسول الله**، ذلك المجتمع الذي حظي بشرف تسمية إلاهية، تسمية من الله، سمَّاهم الله -جلَّ شأنه- بالأنصار، هذه تسمية من الله (الأنصار)، هذا شرف كبير، المجتمع الذين قال الله عنهم أنهم **(تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ)**، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: من الآية٩]، ذلك المجتمع المعطاء، المجتمع المضحي، المجتمع الخيِّر، البعيد عن تلك الحالة التي كانت مستحكمة في مجتمع مكة من: الطمع، والجشع، والأنانية، والكبر، والغطرسة... عناصر سلبية **جدًّا** طغت على واقع مجتمع مكة فأثَّرت عليه، ومثَّلت عائقًا بينه وبين الهداية، فإذا بالأوس والخزرج يمثِّل بما يمتلك من عناصر تجعل لديه قابلية لتقبل الهدى والأتباع للرسول، فحظي بهذا الشرف والفوز العظيم، وانتقل الرسول إلى المدينة، وبدأ مشوارًا جديدًا.

النور الذي يجب أن نتطلع إليه عبر الزمن

جانبٌ آخر: عندما نأتي إلى نقاط مهمة **جدًّا**، ونحن- كما قلنا في بداية الحديث- أحوج ما نكون إلى أن نستلهم من هذه المحطات التاريخية ما نحن في أمسِّ الحاجة إليه فيما نواجهه من: مشاكل كبيرة، وتحديات كبيرة، وأخطار كبيرة.

إذا جئنا إلى الرسول نفسه ﷺ وهو رسول الله ﷺ يمثِّل بالنسبة لنا القدوة والقيادة الذي **يجب** أن نتطلع إليه في كل زمن، في كل عصر، في كل جيل، نتطلع إليه كقدوة وقيادة، وإلى القرآن كمنهج، فنستلهم من ذلك كله، من حركة الرسول في الإسلام، وحركته بالقرآن وعلى أساس القرآن، وما قدَّمه القرآن فيما فيه من توجيهات إلى الرسول، وفيما فيه من حديث عن الرسول ﷺ نستلهم من ذلك الرؤية الصحيحة؛ **حتى** لا نكون ممن يتيهون وراء أفكار ظلامية، ورؤى غريبة، باطلة، ظلامية كذلك من هنا أو هناك، لا نتيه مع التائهين الذين يبحثون هناك وهناك في صحاري ومتاهات الضلال، هذا النور قد أتى، نور الله الذي **يجب** أن نتطلع إليه دائمًا، وأن نتوجه من موقع الاقتداء والاتباع والاهتداء لنقفوا أثر رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله- لنقتدي به هو ﷺ هو قدوتنا، هو أسوتنا، هو معلِّمنا، وأن نتأكد ونتيقن أنه لا خلاص لنا ولا فلاح لنا إلا بذلك، وإلَّا فكثير مما يصل إلى أمتنا من هناك أو هناك إنما هو في مصدره منشئه إنما يقدم من أعداء الأمة، ويصل إليه من خلال أعدائها الذين لا يريدون لها الخير أبدًا.

أيضًا فيما تعانيه أمتنا في واقعها الداخلي من: حالات اعوجاج، حالات انحراف، حالات تحريف، حتى فيما يحسب على الإسلام، نستفيد بعودتنا المباشرة، وتطلعنا إلى تلك المحطات التاريخية، فنرى كيف كان رسول الله ﷺ ونرى ما يقدِّمه القرآن لنا جنبًا مع جنب في حركة الرسول ﷺ فنرى الحقيقة التي تكشف كل الزيف، فلا ننخدع بالزيف، ولا نتأثر بالاعوجاج، ولا يتمكن الآخرون من تضليلنا بالعناوين المخادعة التي يلبسون بها الحق بالباطل، ويخلطون بها ويمزجون الخير بين الشر؛ **حتى** يخادعونا تحت تلك العناوين، وبتلك العناوين، وهذه قضية لاحظها القرآن الكريم حتى في عصر

النبي ﷺ فيما واجهه النبي ﷺ من تحديات في الساحة الخارجية، من أعداء هذا الإسلام الكافرين به جملةً وتفصيلًا، وفيما عاناه من حالات الاعوجاج في الداخل، في المنتسبين لهذا الدين، ممن ينتسبون له ثم يبتعدون عن مبادئ منه، أو عن قيم وأخلاق وتعليمات أساسية فيه، فيكونون في حالةٍ من الاعوجاج الذي لا ينسجم مع مبادئ الإسلام العظيمة، فيتصدى لها، ويفضحها، ويكشفها.

المعالم الأساسية في الإسلام

نأتي إلى معالم أساسية في هذا كله، بعد أن نلحظ هذه المسألة بشكلٍ أساسي، نحن في هذا الزمن، ولو أنَّا على بعد أكثر من ١٤٠٠ عام من وفاة رسول الله ﷺ أكثر من هذه المدة الزمنية، معنيون أن نتطلع إليه، كيف كانت حركته بالإسلام، لنقتدي ونهتدي ونتأثر.

نجد أن هناك معالم رئيسية بارزة في دعوة الرسول، في القرآن الكريم نفسه، في سياسة الرسول وحركته بالرسالة، أول هذه المعالم الرئيسية، ذات الأهمية الكبرى، والتي لها تأثير مباشر في واقع حياتنا، أول هذه المعالم الرئيسية:

المعلم الأول :

الإسلام دين تحرر من الطاغوت والاستكبار

أن الإسلام دين تحرر من الطاغوت والاستكبار، ودينٌ يؤسس للإنسان أن يسير في هذه الحياة على أساسٍ مستقل، أساسٍ من: المبادئ، والقيم، والأخلاق، والتشريعات، والتعليمات، والتوجيهات، يستقل به ويفصله عن التبعية لكل قوى الطاغوت والضلال، هذا مبدأ رئيسي ومعلم أساسي، ومسألة لها تأثيرها

المباشر، كلما استوعبناها جيدًا، وكلما التزمنا بها في واقع الحياة، كلما تحررنا.

واحدٌ من أكبر المشاكل التي نعانيها في هذا العصر، هو ما نعانيه من هيمنة المستكبرين والطاغوت على أمتنا الإسلامية، وتدخلها في كثيرٍ من شئون حياتنا وواقعنا، حضور الطاغوت والاستكبار وتأثيره في ساحتنا الإسلامية، في عالمنا العربي وأكثر البلدان الإسلامية، حضور مؤثِّر في كل مجالات الحياة، في كل شئون الناس، ومتحكم، ومستبد، ونتج عن ذلك كثير من المظالم، وكثير من المآسي، وتأثير مباشر وصل لدرجة تعطيل ثمرة الإسلام في واقع الحياة، الثمرة التي سنتحدث عنها- إن شاء الله- في آخر الكلام، هذه نقطة جوهرية ورئيسية ومهمة.

الرسول صلى الله عليه وآله **منذ بداية حركته بالرسالة** في أوساط الناس لم يقبل أبدًا بأن يُدهِن مع الطاغوت، وأن يتأقلم مع الطاغوت، وأن يطوِّع نفسه، أو من معه من أبناء الإسلام ممن آمنوا به للطاغوت أبدًا، وبشكل بديهي وتلقائي ما إن يسلم الإنسان حتى يعتبر إسلامه- آنذاك- خروجًا من تحت عباءة الطاغوت، وتحررًا من سيطرة وسلطة الطاغوت، وهذا من أكبر ما كان يزعج الطغاة المستكبرين، كانوا ينزعجون من هذه النقطة.

الإسلام في حركة الرسول به لم يكن مجرد طقوس تقيمها في وقتٍ تتأقلم فيه في مسيرة حياتك بكلها تحت سيطرة الطاغوت وهيمنة الطاغوت، في ولاءاتك، في مواقفك، في مسيرة حياتك. إلا، كان الدخول الصادق في الإسلام، **يعني**: الخروج والتحرر من سيطرة الطاغوت، والقرآن الكريم أكَّد هذا على مستوى الرسالة الإلهية، حتى في عصر الأنبياء، قبل خاتم الأنبياء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: من الآية٣٦]، وهذه مسألة تزعج الطواغيت في كل زمن، ولهذا هذا المبدأ-

بحد ذاته- كفيلٌ بتحرير الأمة من هيمنة الطاغوت، وإذا تحررت فعليًا من هيمنة الطاغوت، وانفصلت عن التبعية لقوى الطاغوت والضلال، وانطلقت في مسيرة حياتها على أساس المبادئ والقيم والأخلاق والتشريعات الإلهية التي أتى بها الإسلام، كما هي في القرآن الكريم، وكما هي في حركة رسول الله ﷺ وبعيدًا عن الزيف والاعوجاج الذي لا يمثِّل حقيقة الإسلام... فإن الأمة سيتغير واقعها بشكلٍ تام، وستتخلص من معظم مشاكلها، وستكسب- ما قلناه في بداية الكلام- رؤية إلهية صحيحة تسير عليها في الحياة، طاقة معنوية عالية تساعدها على الصبر والتحمل، وتوفر لها الاندفاع الكافي والهائل والعظيم، والحافز الكبير **جدًّا** لتتحرك في الطريق، **وكذلك** تحظى برعاية عظيمة من الله ﷻ رعاية شاملة: رحمة، هداية... بكل أشكال الرعاية الإلهية حسب الوعود الإلهية في القرآن الكريم، التي شملت كل نواحي الحياة.

المبدأ القوي لهذا المعلم لدى رسول الله

عندما نجد اليوم- في واقع الحال- بعض من يسمون أنفسهم باسم علماء، البعض منهم، **ونعني:** علماء السوء؛ **لأن** العلماء هم- في واقع الحال- صنفان: علماء سوء، وعلماء ربانيون، علماء السوء منهم تجدهم وهم يقدِّمون أنفسهم باسم ورثة الأنبياء، كمثل ما نرى عليه هيئة كبار العلماء في السعودية كيف يصبحون كلسان وقلم للطاغوت هناك، يفتون- دائمًا- بما يريده، ما أراد أن يفعله هو ابتداءً من نوازعه، من دوافعه، من رغباته هو، رغباته الناتجة عن ما هو عليه من: طغيان، وفساد، وظلم، وهوى النفس، يأتون هم ليقدِّموا على هذا ختم الفتوى الشرعية، ويقدِّمون مسوغات دينية لذلك الذي انطلق فيه الطاغوت بدافع هوى النفس، قد يكون فسادًا، قد يكون ظلمًا، قد يكون جريمةً، قد يكون شرًا، قد يكون منكرًا... بأي عنوان من عناوين السوء،

ويشرعنون له ذلك، ويبنون واقع الدين على تدجين الأمة للطاغوت، رسول الله لم يفعل ذلك أبدًا، لقد كان على درجة عالية وعظيمة، ولا يصل إليها أي بشرٍ آخر فيما هو عليه من: الصلابة، والثبات، وقوة الموقف، والثبات والاستقامة على الموقف، والتحمل في مواجهة كل الصعاب وكل التحديات، والثبات على الموقف تجاه كل ما يواجه به من قوى الطاغوت، من حملات دعائية كبيرة ومكثفة، ومن مؤامرات متنوعة، ومكائد متعددة، فإذا هو ذلك الثابت والشامخ، والذي لا يتزعزع أبدًا، ولا يتراجع نهائيًا، ولا تُحنيه العواصف مهما كانت، ولا تدفعه التحديات مهما كبرت للاستسلام أبدًا، أو اليأس، درجة عالية **جدًّا** من الثبات والتماسك وصلت به إلى درجة أن قال الله عن ذلك المجتمع الذين كانوا: قومًا خصمين، وَلُدًّا، وشرسين، وقساة قلوب، وسيئين **جدًّا**، أن قال الله عنهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم]، كانوا يتمنون ويودون أن لو يتقبل رسول الله أن يدخل معهم في مداهنة، وأجواء من المجاملات، ونحوٍ من ذلك، فيتغاضى عن بعض باطلهم، ويتغاضون له عن بعض ما هو عليه من الحق، ولكن المسألة ليست كذلك، المبادئ والقيم والتعليمات الإلهية ليست للمقايضة بها، والتنازل عنها مع الطاغوت، حتى يتمكن هذا الطرف أو ذاك من التأقلم مع الطاغوت؛ لأنهم تركوا له شيئًا، والشيء الذي يتركونه- عادةً- هو الشيء الذي إن فُصِل أو بُتِر عن سياقه، عن جذوره، عن أساسه، عن مبدئه، عن ثمرته، لم يعد له جدوى مهمة في واقع الحياة، هذا المَعلَم الرئيسي أكَّد عليه القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: من الآية٢٥٦].

تركيز الإسلام على هذا المعلم وحاجتنا له اليوم

فإذًا، مَعلَمٌ رئيسي، ومبدأٌ أساسيٌ في هذا الإسلام، أكَّد عليه القرآن الكريم، وهو من أول مضامين الشهادة الرئيسية في الإسلام، التي يدخل بها الإنسان في الإسلام **(أشهد أن لا إله إلا الله)**، وتجلى ذلك في سلوك وممارسات وحركة الرسول -صلى الله وعلى آله وسلم- بالإسلام، هو هذا المبدأ: الكفر بالطاغوت، التحرر من سيطرة الطاغوت، الاستقلال بكل ما تعنيه الكلمة، الاستقلال الثقافي، والفكري والعملي، الاستقلال في مسيرة الحياة، فيما تقوم عليه من مبادئ وقيم وأخلاق وتشريعات، الاستقلال الكلي عن التبعية لكل قوى الطاغوت وقوى الاستكبار والقوى الظلامية التي تسير على اتجاهات باطلة في هذه الحياة.

نحن نقول: هذا من أهم وأعظم وأكبر ما نحتاج إلى ترسيخه بشكل كبير؛ **لأن** الحديث عنه حديث واسع، لا تتسع له محاضرة، ولكن بشكل عام مسؤولية الجميع من مثقفين، من علماء، من نخب، مسؤولية الجميع حتى على مستوى التواصي بالحق ترسيخ هذا المبدأ، وأن يكون معيارًا لسلامة السير والاتجاه، لتحديد الاتجاه، الاتجاه المتخلص من سيطرة الطاغوت، ومن التبعية بشكلٍ تام، والقائم على أساس الاقتداء بالرسول من موقعه في القدوة والقيادة، والتمسك بالقرآن كمنهج في هذه الحياة، هو الاتجاه الصحيح الذي يعبِّر حقيقةً عن الإسلام.

الاتجاهات التي نراها اليوم حاضرة في ساحتنا العربية والإسلامية بشكل كبير تُقدِّم نفسها باسم الإسلام، ونراها بوضوح في حالة من التبعية العمياء لقوى الطاغوت والاستكبار، لأمريكا وإسرائيل، لنع جيدًا، ولندرك بشكلٍ تام

أنها قوى زيف، أنها تمثِّل الزيف، ولا تمثِّل الحقيقة، تمثِّل الزيف فقط، ولا تعبِّر عن حقيقة الإسلام في مبادئه وأخلاقه، وهي حوَّلت الإسلام إلى طقوس وشكليات بترتها عن سياقها، وفصلتها عن أساسها، وحالت بينها وبين ثمرتها، وطوَّعتها للاستغلال في واقع الحياة، وجعلت منها وسيلة للاستغلال والخداع، هذا الذي هو حاصل، كما هو حال النظام السعودي، والقوى التكفيرية، والقوى الظلامية بكل أشكالها وأنواعها، من: المنافقين، والضالين، والمبطلين، والفاسدين، المشوهين للإسلام.

ثم من يسعى إلى التحرر، من ينجذب لعنوانٍ كهذا، ليع جيدًا أنه لا تحرر بما تعنيه الكلمة، ولا استقلال عن التبعية- بما تعنيه الكلمة- لأمتنا الإسلامية إلَّا بالاستقامة على نهج الله، والاقتداء والتمسك برسول الله ﷺ من خلال الاهتداء بالقرآن والاقتداء بالرسول، هذا الذي يحقق استقلالًا فعليًا، أما أن يتجه الإنسان نحو الشرق أو نحو الغرب، ليقلد، أو يحذو حذو هذا الطرف أو ذاك في بعضٍ من العناوين، ثم يتجه على أساسٍ باطل في هذه الحياة، لن يصل إلى نتيجة.

المعلم الثاني:

الإسلام دين وعي ونور وبصيرة

واحدٌ أيضًا من المعالم الرئيسية في الإسلام: أن الإسلام دين وعي ونور وبصيرة، يحرر الإنسان من التبعية الفكرية للمفاهيم الضلالية الشيطانية والطاغوتية، ويمنح الإنسان الرؤية الصحيحة، والفهم الصحيح، والنظرة الصحيحة إلى الواقع من حوله، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**، ولا تؤخذ بعين الاعتبار بشكلٍ بارز في كثيرٍ مما يُقدَّم من عناوين في الساحة الإسلامية، وهي من أهم المسائل على

الإطلاق، والذي يتأمل في واقع أمتنا يجد أنها لا تفتقر إلى شيء مثلما هي مفتقرة إلى الوعي، إلى البصيرة، إلى النور، يستخدم الأعداء بكل أشكالهم من خارج الأمة ومن داخل الأمة، كل القوى الظلامية هي تقدِّم مفاهيم ظلامية، نشاط هائل تحت العنوان: الفكري، والتثقيفي، والتعليمي، والإعلامي، والتأثير على الرأي العام، تأثير على المفاهيم، على الأفكار، على التصورات، على النظرة إلى الواقع، ويمثِّل ذلك عاملًا سيئًا وخطيرًا **جدًّا** كبَّل الأمة، وطوعها لأعدائها، وأثَّر عليها، وحال بين الكثير من أبنائها وبين أن يبصروا، أن يعوا، أن يفهموا الأمور بشكل صحيح، وأمكن الأعداء أن يستغلوهم أسوء حالةٍ من الاستغلال.

الإسلام، يقول الله عن قرآنه، عن نوره، عن هديه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: من الآية١٢٢]، الحالة مختلفة، نور الإسلام هو نور لحركتك في الحياة، لمواقفك، لاتجاهاتك، لأعمالك، لتصرفاتك، تبنى على أساس تلك التعليمات، وتلك الحقائق، وتلك البصائر التي يقدِّمها الله سبحانه وتعالى لعباده؛ فينظرون نظرة صحيحة، ونظرة سليمة، ونظرة مستقيمة.

في العهد الجاهلي الأول، ما قبل بعثة الرسول محمد صلوات الله عليه وعلى آله كان هناك في الساحة كثير من المفاهيم الخاطئة والظلامية تسيطر على تفكير الناس، على نظرتهم في كبير المسائل وصغيرها، من مسألة التوحيد والألوهية إلى أبسط القضايا، وكانت تلك المفاهيم تُقدَّم كحقائق يخدع بها الناس، تُقدَّم للناس على أنها الحق والحقيقة، ويُصدِّق البعض من الناس ذلك، ولكن نور الإسلام أتى لينقذ الناس من ذلك أولًا، الله يقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾، يخاطب الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

[إبراهيم: من الآية١]، يقول الله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[الحديد: من الآية٩].

المفاهيم الظلامية وكيف نتخلص منها؟

الظلمات هي مفاهيم، هي أفكار يا أيها الناس، الظلمات يمكن أن تقدَّم ضمن كتب مفاهيم ظلامية، تقدَّم ضمن كتب، ويمكن أن تقدَّم على منابر في مساجد، ويمكن أن تقدَّم من أبواق ضالة مضلة عبر وسائل الإعلام، لها أشكال متعددة ووسائل متنوعة، لتؤثر على الناس، لتؤثر على مفاهيمهم ونظرتهم وفكرتهم الصحيحة والسليمة، ولكن إذا تأصل في واقعنا الرجوع إلى الاقتداء بالرسول والاهتداء بالقرآن بشكلٍ صحيح؛ نتخلص من كل المفاهيم الظلامية، ونمتلك قدرًا عاليًا من: الوعي، والفهم الصحيح، والنظرة الصحيحة، والتقييم الصحيح، والفرز الصحيح حتى داخل مجتمعنا الإسلامي، يتجلى لنا من هو الصادق من الكاذب بحسب المعايير والمواصفات القرآنية، يتجلى لنا من هو المنافق من المؤمن حقًا، يتجلى لنا من هو الذي في قلبه مرض، ممن ينطلق بصدق وإخلاص وسلامة قلب في حركته في هذه الحياة وفي داخل الأمة، كل ذلك يتجلى بحسب المواصفات والمعايير القرآنية الهادية، يتجلى لنا من هو العدو الحقيقي الذي **يجب** أن نعاديه، وما هي مسؤوليتنا، ويتجلى لنا من هو الصديق حتى لا نكون سُذَّجًا ويخدعنا الآخرون في ولاءاتنا ومواقفنا، يتجلى لنا ما هو الذي يعبِّر عن حقيقة الإسلام، وما هو الزيف الذي يستخدم فقط من قوى الطاغوت والاستكبار والنفاق للخداع والاستغلال، تتجلى الأمور، دين الله هو فرقان، نور يعطينا بصيرةً في الواقع، فنميز وندرك الفوارق بين حقٍ وباطل، بين صادقٍ وكاذب، بين

زيفٍ وحقيقة، فلا نخدع، وهذا من أحوج ما تحتاج إليه الأمة، وتضررت بشكل كبير بقدر ما غاب عنها من ذلك وما خسرته منه.

مَعْلَمٌ آخر من المعالم الرئيسية في الإسلام، هو: الزكاء والطهارة ومكارم الأخلاق، وهذا **أيضًا** مَعلَمٌ رئيسيٌ **جدًّا**، يمكن أن نترك الحديث عنه، وعما بقي مما يتصل بالموضوع لمحاضرة الغد إن شاء الله.

ونكتفي بهذا القدر...

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره ويهدينا بنوره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المحاضرة الثانية

٢ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

نواصل حديثنا على ضوء ما سبق بالأمس من الحديث عن الهجرة النبوية، التي ارتبط بها التاريخ الإسلامي، كمحطة مهمة **جدًّا** واستثنائية ومصيرية في تاريخ الأمة، نتج عنها نتائج مهمة **جدًّا**، ومتغيرات كبيرة في واقع البشرية، **وعنواننا الرئيسي في الحديث هو:** أننا كمسلمين وكشعبٍ يمنيٍ مسلم، وكأمةٍ مسلمة، ومن واقع ما نعاني منه وما نواجهه من تحديات وأخطار وأزمات ومشاكل، نحتاج إلى العودة إلى الرسول ﷺ في موقعه في القدوة والقيادة، وإلى القرآن الكريم كمنهج، لاستلهام ما نحتاج إليه من دروس وعبر، وللاستنارة بنور الله ﷻ هذا الرجوع الذي يبنى عليه أن نستفيد منه الرؤية التي نسير عليها في هذه الحياة، ونبني عليها: مواقفنا، واتجاهاتنا، وتصرفاتنا، وأعمالنا، وسلوكنا...الخ. وكذلك الطاقة المعنوية التي نحتاج إليها في هذه الحياة ولمواجهة هذه التحديات، **وكذلك** لنكسب معية الله ﷻ في مرحلة

الأمة فيها أحوج ما تكون إلى أن تكون مع الله، ويكون الله معها، هذا شيء.

عودتنا للرسول الأكرم عودة للأصالة ونبذ للزيف

الشيء الآخر: أننا كمسلمين عندما نستذكر، أو نعود إلى واقعنا من جانب، وإلى ما ينبغي أن نكون عليه من جانبٍ آخر، نجد أن الأصالة الحقيقية التي يمكننا أن نعود إليها بكل اطمئنانٍ وثقة، هي فيما كان عليه الرسول ﷺ في حركته بالرسالة الإلهية، وفيما قدَّمه لنا القرآن الكريم؛ لأننا نعاني في واقعنا الداخلي كأمة من حالة الزيف، من حالة التضليل الرهيبة والهائلة، نتيجة لسيطرة الطاغوت، ونتيجة للتبعية التي عليها قطاعات واسعة من أبناء الأمة، وفئات واسعة من أبناء الأمة، أصبحت من واقع انتمائها للإسلام وللأمة في حالة تبعية واضحة ومكشوفة لأعداء الأمة، فهي تعمل لصالح الأعداء، ولكن في داخل واقع الأمة، وجزء كبير **جدًّا** مما نعانيه كأمةٍ مسلمة في هذا العصر هو من تلك القوى الظلامية والمنافقة، التي هي مرتبطة بالأعداء بشكل واضح، كما هو حال من يرتبطون اليوم من: حكومات، وجماعات، وكيانات، وأنظمة، وشخصيات... من كل فئات الأمة ومكوناتها مرتبطون بأمريكا بشكلٍ علنيٍ واضح، ويتحركون من هذا المنطلق: من منطلق ارتباطهم بأمريكا، فيما يخدم مصالح أمريكا، وأجندة أمريكا، ومؤامرات أمريكا، فيشتغلون في داخل الأمة على هذا الأساس.

من يثيرون الفتن اليوم في داخل الأمة من هم؟ من يلعبون أقذر وأسوء دور في تفكيك الأمة، وتفتيتها، وبعثرتها، وإغراقها في المشاكل والأزمات، ويعملون بأقصى ما يستطيعون إلى تسخير كل الإمكانات في داخل الأمة: الاقتصادية، والبشرية، والإعلامية، وتعبئة وحشد كل الطاقات في خدمة أمريكا، من هم؟

مكونات وكيانات بشكل حكومات وجماعات واتجاهات متعددة من داخل الأمة، ينتمون للإسلام، ويعملون لمصلحة أمريكا.

سيطرة الطاغوت، والتبعية لمكونات واسعة من داخل الأمة لأعداء الأمة، تبعيتهم لأعداء الأمة مثَّل مشكلة كبيرة **جدًّا** في واقع الأمة، ولعب لعبةً كبيرة في تقديم عملية تزييف كبيرة لصنع اتجاهات تحسب على الإسلام، وما هي من الإسلام، وتحسب على أنها هي ما يعبِّر عن الدين الإسلامي، وهي انحراف- بكل ما تعنيه الكلمة- عن حقيقة ما عليه الدين الإسلامي، فالأصالة في امتداد الإسلام تتحقق من خلال عودتنا إلى الرسول ﷺ في حركته بالإسلام، مع القرآن الكريم كمنهج، هذا يفيدنا.

وإذًا، كان حديثنا بالأمس ركَّز على أن من المعالم البارزة والرئيسية والجلية والواضحة والكبيرة في القرآن، في عناوين الإسلام ومبادئه الرئيسية، في حركة الرسول، وفي ما ترجمه بالفعل وبالقول على أرض الواقع: التحرر من الطاغوت، والاستقلال والانفصال عن أي حالة تبعية خارج الساحة الإسلامية لأعداء الأمة، هذا كان معلمًا واضحًا في حركة الرسول، وعلى أساسه كانت هجرته، لم يبقَ في مكة ليتأقلم مع وضعية هي وضعية سيطرة للطاغوت، ويبني واقعه على أساس من المصالح المشتركة مع الطاغوت، والتأقلم بالتنازل عن مبادئ وقيم وتشريعات إلهية، والإبقاء على بعضٍ، وإزاحة البعض الآخر الذي ينزعج منه الطاغوت، ثم الدخول في عملية تأقلم مع الطاغوت. لم يفعل ذلك أبدًا، واتجه في مسيرته بالإسلام اتجاهًا واضحًا، حتى مكَّنه الله من تحطيم كل كيانات الطاغوت، وساد الإسلام في الجزيرة العربية بكلها.

أيضًا كان من المعالم البارزة والرئيسية: أنَّ الإسلام دين نور ووعي وبصيرة، وعندما نعود إلى أعظم ما في الإسلام هو القرآن، ويعتبر مصدرًا رئيسيًا للإسلام، والقرآن الكريم هو نور الله لعباده، سمَّاه بصائر، وسمَّاه نورًا، ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾[الأنعام: من الآية١٠٤]، ومن أعظم ما في القرآن الكريم أنه يصنع لدى الإنسان وعيًا عاليًا **جدًّا** تجاه مفاهيم الإسلام الصحيحة والسليمة، **وأيضًا** تجاه الواقع من حوله، وتجاه التشخيص للناس، لفئاتهم، يشرح لنا شرحًا واضحًا وواسعًا **جدًّا** عن المنافقين، عن الذين في قلوبهم مرض، عن أصحاب الادعاءات الكاذبة، الذين يحاولون أن يستغلوا الأمة، تصنيف دقيق وواضح، وتشخيص بصفات وعلامات وسمات تشخِّص لنا كل فئة من الفئات، سواءً من الفئات المحسوبة على المسلمين والإسلام، أو الفئات الأخرى، من خارج الأمة الإسلامية، ثم يحدد لنا الموقف الصحيح من كل فئة من تلك الفئات، يقدِّم وعيًا عاليًا يحمي الأمة من الاستغلال، ومن الخداع، ومن التضليل، يحمي الأمة من أن تتحول إلى أداة لصالح أي طاغية، أو مجرم، أو منافق، أو عميل، أو خائن... والأمة أحوج ما تكون إلى الوعي في كل شيء، وإلى البصيرة في كل شيء، وحاجة مُلِحَّة، وحاجة ماسَّة **جدًّا**، الاستفادة من القرآن الكريم في ذلك مسألة ضرورية **جدًّا**، وإلَّا فالبديل هو الضلال، وهو العمى، وهو أن يكون لدى الإنسان قابلية لأن يخدعه أي مخادع، ويضلَّه أي مضل، يهودي، وإلَّا منافق، ويضلك بكل بساطة.

المعلم الثالث:

الإسلام دين زكاء وطهارة ومكارم أخلاق

من المعالم التي وصلنا إليها: أن الإسلام دين زكاء، وطهارة، ومكارم أخلاق، وسمو للنفوس، وهذا جانبٌ مهمٌ ورئيسيٌ في الإسلام في أصالته، الأصالة التي تقدِّم لنا الفوارق ما بين الزيف وما بين الحقيقة، ما بين الاتجاه الصحيح الذي يربطنا برسول الله وبالقرآن، وما بين الاتجاه الزائف الذي يربط الأمة بتبعية إلى أعدائها، ويوَّلِّف شكلًا مزيفًا يحسب على الإسلام، ويربط الأمة بأعدائها، ويُدجِّن الأمة لإعدائها، ويُسَخِّر الأمة لأعدائها.

فمن أهم الجوانب الرئيسية في الإسلام هو هذا الجانب: الزكاء، مسألة التزكية للنفوس، حتى تستقيم في هذه الحياة وتصلح، الإنسان لا يمكن صلاحه إلَّا بالتزكية، وإلَّا فالإنسان يتأثر سلبًا، وتتدنس نفسيته، ثم يتصف بمساوئ الأخلاق، وتصبح نفسيته المدنسة ميَّالةً نحو كل ما هو سيء، وبالتالي لديها قابلية للارتباط بكل جهات الطاغوت، بكل جهات الشر، والانسجام معهم، يصبح مرتاحًا **جدًّا** للارتباط بالصهاينة، باليهود الصهاينة، بالأعداء بكل أشكالهم وفئاتهم، بالمنافقين، أو بأولياء المنافقين من أعداء الأمة؛ **لأنه** يُحِس بالانسجام النفسي معهم، نفسية مدنَّسة، نفسية خبيثة، نفسية سيئة.

الإنسان يحتاج إلى زكاء النفس، ولا يمكن له الاستقامة على منهج الله إلَّا بتزكية النفس، وإلَّا إذا خبُثت النفس وفسدت النفس، اتجه الإنسان اتجاهًا سيئًا في واقعه العملي، في سلوكه، في تصرفاته، ثم في الأخير في ولاءاته وفي مواقفه، ولا يرى نفسه- في الأخير- منشدًّا بشكلٍ صحيح، بشكلٍ قوي، بشكلٍ فعَّال لمنهج الله ﷻ بل يرى نفسه قد ابتعد كثيرًا عن ذلك المنهج الإلهي، ولذلك

كان من المهام الرئيسية للرسول ﷺ **وللقرآن كذلك:** التزكية للنفس البشرية، وهي مهمة رئيسية للأنبياء بكلهم، وللرسل بكلهم، ولكتب الله بكلها، ومساحة كبيرة من جهد الأنبياء، ومساحة كبيرة من كتب الله ﷻ اتجهت إلى النفس البشرية بهدف تزكيتها، على مستوى ما يقدم، على مستوى التعبئة الروحية والإيمانية، وعلى مستوى الجانب التربوي، وعلى مستوى الكثير من التشريعات فيما أمرنا الله به، وكذلك فيما نهانا عنه، انصب ذلك- في كثيرٍ منه- نحو تزكية هذه النفس البشرية، فيما يسمو بها، فيما يعزز فيها عناصر الخير.

خصائص النفس البشرية

النفس البشرية هي قابلة لأن تتربى على مساوئ الأخلاق، أو على مكارم الأخلاق، لأن تنمو فيها عناصر الخير، أو تنمو فيها عناصر الشر، لأن تنمو فيها بذرات التقوى، أو تنمو فيها بذرات الفجور، ولهذا يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾[الشمس]، ثم يقول -جلَّ شأنه-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾[الشمس]، فالنفس البشرية أُلهِمَت التقوى وأُلهِمَت الفجور، ولديها القابلية للتقوى، ولديها القابلية للفجور، ولديها القابلية للتربية على الخير، وحبّ الخير، وعناصر الخير، والسمو، والعشق لمكارم الأخلاق... ولديها كذلك القابلية لأن تتنامى فيها كل عناصر الشر والسوء ومساوئ الأخلاق، فيمكن للإنسان أن يتربى على الصدق، وعلى الطهارة، وعلى العفة، وعلى إرادة الخير، وعلى الشجاعة، وعلى الكرم، وعلى السماحة، وعلى الإيثار، وعلى الإحسان وعلى الكثير من القيم ومن مكارم الأخلاق والقيم الفاضلة، وأن تصبح تلك القيم والأخلاق بالنسبة له أمورًا يحبها، ويعشقها، ويرغب فيها، ويندفع فيها؛ وبالتالي يلتزم بها كمسار

أساسي في حياته، إن خرج- أحيانًا- في حالة من الخطأ أو الزلل كان سريع العودة؛ **لأن** الجذور باقية.

يمكن للإنسان أيضًا أن يتربى على الكذب، وعلى الفجور، وعلى العصيان، وعلى الدناءة، وعلى الانحطاط، وعلى التنصل من الوعي والضمير، وعلى قلة الحياء... وعلى كل عناصر السوء، ويمكن أن يتنامى في ذلك، ويكبر في ذلك، حتى يصل إلى درجة أن يتحول إلى شيطان، عندما يصبح مصدر شر في هذه الحياة، عندما يصل إلى الإفلاس من كل عناصر الخير في نفسه، وتسيطر عليه كليًا عناصر السوء والشر، وبذرات الفجور تكبر وتتجذر حتى تسيطر على كل مشاعره وإحساسه ووجدانه، يصبح إنسانًا عديم الخير، عديم الرحمة، عديم الفضل، منعدمًا في مكارم الأخلاق، ويتجه للعب دور سلبي في هذه الحياة.

ولهذا يتحدث القرآن الكريم عن الاختلال في الولاء، فيجعل مرده اختلالًا في زكاء النفوس، عندما يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة]، هذه حالة غير صحية، غير سليمة أبدًا، اختلال في زكاء الإنسان، الإنسان الذي يفعل ذلك عنده اختلال كبير في واقعه النفسي، في مشاعره، في وجدانه، في العناصر الداخلية، في مكارم الأخلاق، عنده إما جُبن، أو بخل، أو شك، أو أي آفة من الآفات الخطيرة **جدًّا** التي تفتك بالإنسان فيما يحمله ابتداءً من عناصر الخير، وتؤثِّر حتى على فطرته، تبعده حتى عن مقتضى الفطرة؛ **لأن** الحالة السليمة للإنسان أن يبقى بمقتضى الفطرة متجهًا الاتجاه الإيجابي، وأن تنمو فيه عناصر الخير.

فإذًا، جانب التزكية للنفس، والتربية الإيمانية، والتربية الصالحة للنفس على مكارم الأخلاق؛ حتى تتجذر جذور مكارم الأخلاق في نفس الإنسان، يصبح إنسانًا تربَّى على العفة، والعفة بمثل ما هي سلوك، هي قبل ذلك وجدان ومشاعر وإحساس في الداخل، في العمق النفسي، في عمق المشاعر والوجدان، هي عقيدة، وهي وجدان وإحساس، ثم هي سلوك كذلك.

يأتي إلى جانب الصدق، إلى جانب الخير، إلى جانب الحق، إلى جانب كل الأشياء الإيجابية، كل العناصر الإيجابية المعروفة بالفطرة، ويعترف كل البشر بأنها صحيحة، وأنها تمثِّل السمو في واقع الحياة، **مثلًا**: من الأشياء التي تشهد أن أصل الفطرة البشرية تُقِرُّ بمكارم الأخلاق، وتعتبرها هي التي تمثِّل السمو للإنسان، أن الكل يعترف بها، يعترف الناس أن العفة قيمة أخلاقية راقية، وأن الفجور دناءة وانحطاط وخسة ونقص، وكذلك- **مثلًا**- ينظرون إلى الصدق مثلًا، أن الصدق يمثِّل قيمة من القيم الأخلاقية الراقية، بينما الكذب يمثِّل حالة من الانحطاط والخسة والدناءة والنقص، يقرُّون- **مثلًا**- بأنَّ العدل خير وسمو وشرف وفضل، وأن الظلم- كذلك- يمثِّل حالة من الانحطاط، وحالة من السوء، وحالة من الشر.

فعندما نأتي إلى العناوين كعناوين: الخير، العدل، الحق، الصدق، العفة، الحياء... الفضائل بشكل عام، المجتمع البشري يعترف بالفضيلة كفضيلة، ويعترف- **أيضًا**- بالرذيلة باعتبارها رذيلة، تمثِّل انحطاطًا بالإنسان، وسوءًا في واقع الإنسان، ولكن يتجه الكثير من الناس باتجاه آخر، ثم يبررون ويخادعون ويضللون ويزيفون، ويعملون أشياء كثيرة في المقابل.

فالإسلام يعطي أهمية كبيرة للتزكية، والرسول صلى الله عليه وآله من مهامه الرئيسية العمل على التزكية، يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة]، فهو يقول: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾، **أيضًا** نجد في القرآن الكريم تركيزًا كبيرًا **جدًّا** على التزكية، **فمثلًا**: كثيرٌ من الجوانب الإيمانية هي تساعد الإنسان على زكاء النفس: الإيمان بالله -جلَّ شأنه- كما في القرآن الكريم، الإيمان بألوهيته، وربوبيته، وملكه، ورقابته، وجزائه، وأسمائه الحسنى، وأنَّه العزيز والمنتقم، وعالم الغيب والشهادة، والشاهد على العباد... إلخ. الإيمان بالمعاد، والحساب والجزاء، والجنَّة والنَّار، كل ذلك يساعد الإنسان على تزكية نفسه، وعلى الاستقامة في هذه الحياة، يمثِّل حافزًا كبيرًا جدًّا، وباعثًا مهمًا للتزكية.

عندما نجد كثير من التشريعات، يأمرنا الله بأشياء هي في نفسها التزام بما فيه زكاءٌ للنفس، أو بما يحمي النفس البشرية ويحفظها من مؤثرات سلبية أخرى تدنِّسها وتؤثِّر على زكائها، **كذلك** فيما نهى الله عنه، أشياء كثيرة نهى عنها باعتبار تأثيرها السلبي على زكاء النفوس، وهكذا لنلحظ أنَّ من العناصر الرئيسية والمهمة **جدًّا** هو هذا الجانب، وأنَّ الإسلام أعطاه اهتمامًا كبيرًا ومساحة كبيرة، سواءً في الجانب الروحي، في الجانب التربوي، في الجانب التشريعي، أهمية كبيرة **جدًّا**، وبقدر ما تبقى الأمة مهتمة بهذا الجانب، بقدر ما تجد نفسها منسجمة مع الحق، ومبتعدة بنفسها عن طريق الباطل، عن التبعية للأعداء؛ **لأن** أولئك الأعداء الذين يرتبط بهم البعض هم في واقعهم منبع للفساد، منبع للشر، منبع للرذائل.

لو نأتي اليوم إلى الصهيونية العالمية، إلى أمريكا، حتى طريقة غزوها للشعوب، وسعيها للسيطرة عليهم، مساحة كبيرة من أنشطتها وأساليب استهدافها للشعوب عن طريق مساوئ الأخلاق، عن طريق الرذائل، عن طريق المفاسد، تجعل من هذا الأسلوب بنفسه وسيلة للسيطرة على الشعوب نفسها، تُوجِد بيئة تساعد على الفساد، وتستغل تلك البيئة بما أوجدت فيها من وسائل وعناصر، وتعمل لذلك بكل الأساليب، فإذا أفسدت بيئةً معينة، أو شعبًا معينًا، أو مجتمعا معينًا، أو بلدًا معينًا، فهي تضمن سيطرتها عليه، وأنَّه قد فَقَدَ كل حالات المَنَعَة النفسية عن سيطرة الآخرين.

أهمية العزة الإيمانية في الإسلام

مثلًا، من القيم المهمة والعظيمة: العزة، العزة بمفهومها الإيماني لا تبقى مع الدناءة، مع الانحطاط، مع مساوئ الأخلاق. لا، تحتاج العزة إلى مكارم الأخلاق، وإلَّا الإنسان إذا أصبح منحطًا، سيئًا، فاسدًا، يمكن له أن يقبل بالهوان، يمكن له أن يقبل بسيطرة الأعداء، يمكن له أن يقبل بأي شيء، فهذا الجانب يمثِّل جانبًا رئيسيًا **جدًّا** في الإسلام، ومهمًا، مع ما سبق من وعي؛ **لأن** الإنسان لا يكفيه مسألة وعي وفهم، كثير من الناس يمكن أن يكون واعيًا، أو فاهمًا، أو عارفًا كمجرد معرفة ذهنية، لكن إذا لم يكن مع هذه المعرفة زكاء نفس؛ **فيمكن** أن يفعل الغلط وهو يعرف أنه غلط، يمكن أن يتجه في صف الباطل وهو يدرك أنه يتجه في صف الباطل، البعض يصل إلى درجة أن يبيع نفسه وموقفه وينظم إلى صف الباطل، بكل ما يفعله أولئك الذين ينظم إلى صفهم، ما هم عليه من أهداف سيئة، وما يرتكبونه من جرائم فظيعة، ولا يتحرج، لم يعد فيه حياء **أصلاً**، ولا يتحرج أبدًا في أن يكون في صفهم، **لماذا؟** نفسيته خبثت وتدنست، وانعدمت فيه مكارم الأخلاق، ومات ضميره، لم يعد عنده ضمير حيّ، مات

ضميره، وجدانه الإنساني وإحساسه الفطري المنجذب نحو الخير والنافر من الشر خلاص انتهى، تدنس وتدنس وتدنس حتى انتهى وتغلَّب عليه، انطمس، فاتجه بكل جرأة، ثم تجرَّأ- في الأخير- إلى أن يصل إلى مستوى سيء، فلا يكفي وعي، أو معرفة ذهنية ومعرفة عادية إذا لم يترافق معها زكاء للنفوس.

المعلم الرابع:

الإسلام دين العدل والقسط

أيضًا من العناصر المهمة والرئيسية في الإسلام: أنَّه دين عدل، دين عدل، من المحاور الرئيسية فيه: العمل على إقامة العدل في واقع الحياة، ومحاربة الظلم والطغيان والإجرام، وهذا عنصر رئيسي في الإسلام، ونجد في القرآن الكريم تأكيدًا كبيرًا **جدًّا**، لدرجة أنه جعل هذه المسألة رئيسية في رسالات الله بكلها، من أولها إلى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- الله -جلَّ شأنه- يؤكِّد هذا في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: من الآية ٢٥]، فالقسط يعتبر في دين الإسلام مسؤولية رئيسية على الناس، على كل منتمٍ لهذا الإسلام أن يدرك أنَّ من مسؤولياته، من التزاماته الدينية أن يكون ساعيًا لإقامة العدل في هذه الحياة، وضدًا للظلم والطغيان، هذه مسألة مهمة **جدًّا**، وغابت في الساحة، غابت إلى حد كبير، وأصبح الكثير من المنتمين للإسلام يعتبر نفسه غير معنيٍ نهائيًا بهذا الأمر، يحصل ظلم، وهذا الزمن فيه مظالم كبيرة **جدًّا**، عندما ننظر إلى ظلم تحالف العدوان لشعبنا اليمني، ظلم إسرائيل للشعب الفلسطيني، ظلم هنا وهناك، الساحة الإسلامية ممتلئة بالظلم.

ونحن نقول: أنَّ هذا الواقع الذي تعيشه الأمة في المنطقة العربية وفي بلدان كثيرة يشهد على فجوة كبيرة عن أشياء مهمة وأساسية في الإسلام، يشهد على مستوى وحجم الانحراف الذي حصل في واقع الأمة عن أساسيات هذا الإسلام؛ **لأن** المسلمين وصلوا إلى حالة واقعهم فيها هو أسوء واقع في العالم، الظلم في ساحتهم أكثر من أي ساحة عالمية أخرى، بيئة مفتوحة أمام الفساد، بيئة مفتوحة أمام الضلال، بيئة يتلعَّب فيها أعداء الأمة بكل بساطة، بيئة يتحرك فيها الكثير من أبناء الأمة، من المنتسبين للأمة وإلى دينها في خدمة أعدائها بكل وضوح، علانية، ويفاخرون بذلك، وبيئة فيها كل أشكال وأنواع المفاسد، وفيها سهولة في عملية الاستقطاب من كل فئات الضلال، كل فترة وأنت تسمع بفئة ضالة جديدة تستقطب من داخل الساحة العربية، كل فترة وأتى عنوان وأخذ له ما أخذ، هذه الحالة غير صحية، غير سليمة، غير طبيعية، حالة خطيرة **جدًّا** في واقع الأمة هي تستدعي أن يلتفت الناس بجدية إلى معرفة مستوى الخلل، وما ينبغي على الأمة، وما عليها من مسؤولية في معالجة هذا الخلل، وفي أن تتجه الاتجاه الصحيح الذي يصلح واقعها؛ **لأنه** لا إمكانية أبدًا للتغيير نحو الأفضل إلَّا بذلك: بالاتجاه الجاد بدءًا بتغيير ما بالأنفس، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: من الآية ١١].

عندما نأتي إلى هذه العناوين الرئيسية: التحرر من الطاغوت، والطاغوت هو المسيطر على معظم أبناء الأمة، أنه **يجب** أن نكون مستقلين، وسليمين عن أي تبعية لأي قوى أخرى من خارج ساحتنا الإسلامية، ونجد أكثر أبناء الأمة في حالة من التبعية لأمريكا وإسرائيل والغرب، **ونأتي إلى عنوان:** النور والوعي والبصيرة، ومعظم أبناء الأمة يعانون بشكل كبير **جدًّا** من أزمة- بكل ما تعنيه الكلمة- ونقص حاد **جدًّا** يصل عند البعض إلى انعدام الوعي نهائيًا،

البعض ما عنده حالة ولا مستوى واحد بالمائة من الوعي، إفلاس رهيب **جدًّا**، وقابلية للتضليل والخداع والتأثر بأي شيء يصل، البعض عنده حواسه هذه (سمعه وبصره) كالصحن اللاقط، يستقبل كل بث، ويتأثر بكل ما يصل إليه.

مسؤولية الأمة الإسلامية

ثم نأتي إلى مسؤوليتنا كأمة مسلمة للعمل على إقامة العدل، وقد صرنا بعيدين عن إقامة العدل في واقع أنفسنا، دعك عن إقامة العدل في بقية العالم، في بقية البشرية، فساحتنا هي الساحة المليئة بالظلم والعدوان، والجرائم فيها بشكل بشع **جدًّا**، ويأتيك من ينتسب للإسلام يرتكب أبشع الجرائم: القتل الجماعي للأطفال والنساء، وإهلاك الحرث والنسل، وفي بلده المآذن التي يتردد فيها الأذان، ومع ذلك يفعل كل ذلك ولا يبالي بكل جرأة، خراب كبير وانحراف رهيب **جدًّا**.

إذا كان لدينا وعي بأن من مسؤولياتنا كمسلمين أن نعمل على إقامة العدل، هذا يحتاج إلى تحرك جاد، إلى مسؤوليات عملية، إلى وحدة كلمة، وإلى تحرك بجدية في الواقع لإقامة العدل، ولا يمكن أن نقيم العدل إلَّا وأن نحارب الظلم، هناك في الساحة فئات ظالمة، مكونات ظالمة، من داخل الأمة ومن خارج الأمة، إذا أردنا أن نقيم العدل لابدَّ أن نقف بوجه أولئك الطغاة، الظالمين، المتسلطين، المجرمين، هناك كيانات كبيرة (دول، حكومات) متسلطة، ظالمة، ولا يمكن أن ندفع ظلمها إلَّا بموقف، بتحرك، بتحمل مسؤولية، بجدية.

فالإسلام دين عدل وقسط ولا يقبل أبدًا بأن يعبِّر عنه أولئك الطغاة، الظالمون، الجائرون، المفسدون، يأتيك طاغية مجرم من موقعه في السلطة، وهو يوالي أمريكا، ويتحرك في خدمة أمريكا، ويقدِّم نفسه واليًا باسم الإسلام،

وحاكمًا باسم الإسلام، ويقدِّم نفسه كملك، أو أمير، أو بأي صفة من الصفات بأنه يمثِّل الإسلام، ويمثَّل الأمة الإسلامية، في الوقت الذي هو- حسب التوصيف القرآني- ظالم، وطاغية، ومجرم، ومنافق، وفاسق، وفاجر... إلى آخر التسميات القرآنية التي تنطبق عليه بما يفعل، بما يتصرف، بما هو فيه: في ولاءاته، في تبعيته لأعداء الأمة، في اتجاهاته، في سياساته، في كل ما هو عليه.

فالإسلام دين عدل، ودين قسط، والله هو القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[النساء: من الآية ١٣٥]، هذا أمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكل الذين يحسبون أنفسهم على هذا الإسلام أن يكونوا **(قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ)**، وهذا **يعني** مسئولية مستمرة، **يعني**: ليست المسألة هبَّة في وقت معين، وانتهى الموضوع، **(قَوَّامِينَ)** حالة أنتم مستمرون عليها، مسيرة حياة، ومنهج حياة، ومسار مستمر؛ **لأنه** لا يمكن إقامة القسط إلَّا بهذا، أن تكون المسألة مسألة مسيرة مستمرة، عمل مستمر، نشاط مستمر، أما أن المسألة مسألة هبَّة وانتهى الموضوع، فهذا لا يمكن، ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ﴾، وفي آية أخرى: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ﴾[المائدة: من الآية ٨]، ومؤدَّى الآيتين واحد، في النهاية هي مسؤولية نتحرك بها في واقع هذه الحياة.

فأن يتصور البعض أنَّ بالإمكان أن يكون معبِّرًا عن الإسلام في أصالته، في امتداده الصحيح، في الاقتداء برسول الله والتمسك بالقرآن، ويكون إما في صف الطغاة، الظالمين، المجرمين، الذين يميتون العدل بتبعيتهم لأعداء الأمة، ويظلمون الأمة بما هم عليه، وبما هم فيه، وما يفعلونه، وما يمارسونه، أو أن يتغاضى، وأن يصمت، وأن يجمد، وأن يترك الساحة مفتوحةً أمامهم، ولا يسعى لإقامة العدل وإماتة الظلم، ويعتبر نفسه في الموقف الصحيح، أو الاتجاه الصحيح، هو مخطئ بكل ما تعنيه الكلمة،

وهو بعيد عن المسار الصحيح للإسلام في معالمه المهمة والرئيسية.

نكتفي اليوم بهذا المقدار في حديثنا...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

المحاضرة الثالثة

٣ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المعلم الخامس:

المسؤولية

في سياق الحديث عن المعالم الرئيسية في الإسلام، والتي تجلت في أداء وحركة وتطبيق النبي -صلى الله وسلم عليه وعلى آله- وفي حديث القرآن على نحوٍ واسع، معلمٌ مهمٌ **جدًّا** هو المسؤولية في الإسلام، والتي هي جانبٌ أساسيٌ لابدَّ منه، وكما قلنا في الأصالة التي تعبِّر عن حقيقة الإسلام، ومبادئه، وقيمه، وأخلاقه، وتعاليمه، وتشريعاته، لابدَّ أن نعود إلى القرآن، ولابدَّ أن نعود إلى النبي ﷺ من موقعه في القدوة والقيادة والهداية، فبذلك نتخلص من كل أشكال الزيف والخداع والتضليل التي تعتمد عليها قوى الطاغوت والنفاق لتفريغ الإسلام من محتواه المهم، ومن ثمرته العظيمة والمهمة في الحياة.

من جوانب المسؤولية: هو أننا في انتمائنا إلى هذا الدين، وفي هذا الدين: في مبادئه، في قيمه، في أخلاقه، في تعليماته، في تشريعاته، في توجيهاته، فيه ما لا يرضي قوى الطاغوت، ولا قوى النفاق، ولا كل القوى الشيطانية، تلك التي ترى في كثيرٍ من: مبادئ الإسلام المهمة، وتشريعاته العظيمة، وتوجيهاته الحكيمة، ما تعتبره يضر بمصالحها، يحد من هيمنتها ونفوذها وتسلطها؛ **لأن** الواقع البشري- أيها الإخوة والأخوات- لا يخلو أبدًا من وجود قوى شر، من وجود فئات واسعة من البشر، اتجاههم في هذه الحياة اتجاه منفلت، لا ينضبط على أساس المسيرة الإيمانية والدينية، لا يلتزم لا بمسألة حلال، ولا حرام، ولا حق، ولا باطل، ولا... كل هذه الاعتبارات ليس لها بالنسبة له أي قيمة ولا أي أهمية، ينطلق في واقع هذه الحياة من أهدافه الشيطانية، من أطماعه، من أهوائه، من رغباته، ويتجه في هذه الحياة بناءً على ذلك، وليس بناءً على الالتزام بأمر الله، وتوجيهات الله، وهدي الله، والسير بالتزام وانضباط وفق تعاليم الله، قد يأخذ منها البعض، ما لا يراه متناقضًا بمفرده إذا فصل عن بقية الدين مع ما هو عليه، وقد يحرف من البعض الآخر- **كذلك**- بما يراه مناسبًا مع أهدافه وآماله وطموحاته، ولكن سيبقى دائمًا يواجه مشكلة مع: مبادئ مهمة، نصوص أساسية، تعليمات وتشريعات مهمة **جدًا**؛ فيفتضح في كونه له موقفٌ منها، وغير منسجم معها.

المجتمعات الملتزمة بالدين تجد نفسها في صدام مع قوى الطاغوت

فعندما يأتي مجتمع معين، أو أمة معينة تتجه في هذه الحياة على أساس الالتزام بدين الله، على أساس الاتباع لرسول لله ﷺ والاهتداء بكتاب الله، تلقائيًا ستجد نفسها في صدام مع تلك القوى المتسلطة والطاغوتية والشيطانية، ستجد نفسها على خلاف ومشكلة كبيرة معها، وبالذات على المسائل المهمة والأساسية والمعالم الرئيسية في هذا الدين، مبادئ مهمة وعظيمة مصلحة لحياة البشرية، مصلحة لحياة الإنسان، ولكن بقدر ما هي عظيمة ومهمة وإيجابية ومثمرة ومفيدة ومصلحة لهذا الواقع، بالقدر نفسه ينزعج منها أولئك المتسلطون والمجرمون والطغاة والمفسدون.

عندما نعرف أنَّ هذا الدين دينٌ يسعى إلى إقامة العدل، أمامك فئة واسعة من المتسلطين الظالمين، تلقائيًا تصبح على مشكلة معهم، أنت تسعى بحكم انتمائك إلى هذا الدين لإقامة العدل، وهم هناك طغاة، متسلطون، ظالمون متجبرون.

عندما نرى أنَّ هذا الدين يسعى إلى إصلاح البشرية، وبقيم عظيمة ومهمة، هناك فئات أخرى فاسدة في نفسها ومفسدة لغيرها، لا تكتفي بأنها هي فاسدة، وتعتبر كل المساعي الرامية لأن تسود مكارم الأخلاق والقيم الفاضلة في واقع البشرية، ترى فيها تهديدًا لها وتهديدًا لسياساتها، وتناقضًا مع اتجاهها بكله، تلقائيًا يحدث هذا التقاطع، وينتج عنه الصراع في النهاية، وهكذا عندما نأتي إلى مسألة أن من المبادئ الرئيسية في هذا الدين هو تحرير الإنسان من

العبودية لأخيه الإنسان، وأن يكون الإنسان عبدًا لله، تأتي قوى الطاغوت التي ترى أنها لا تتمكن من الوصول إلى كل أهدافها في السيطرة التامة إلَّا باستعباد الناس بشكل أو بآخر، فترى نفسها في خصومة مع من يتجه بخلاف ذلك.

فإذًا عندما يتجه أي مجتمع معين لينطلق على أساس هذا الدين كما هو في قرآنه وفي حركة رسوله، وليس بحسب الزيف، وليس بحسب الأكاذيب التي كُذِب بها على رسول الله، مما تناقضت مع حركته ومع رسالته، مع ما ثبت عنه، مع كتاب الله. إلا، الرسول ﷺ فيما ثبت عنه، وفيما قدَّمه القرآن عنه، والقرآن الكريم فيما فيه من مبادئ وقيم، وما فيه من هدى، هذا المجتمع سيواجه المشاكل الكبيرة هنا أو هناك، ومن الطبيعي في واقع الحياة أن يواجه الإنسان مشاكل كهذه، والإنسان حتى لو لم ينطلق على أساس هدى الله، وقرر أن يتغاضى، وأن يتماشى في واقع هذه الحياة كما يريده الآخرون منه، كل قوى الطاغوت والاستكبار والفساد والإجرام، هل ستحل مشكلة الإنسان؟ إلا؛ **لأن** تلك في الأساس هي المشكلة، **يعني**: ليس الهدى، وليس الحق، وليس القرآن، وليس الرسول هو المشكلة. إلا، المشكلة هناك، مشكلة فيما عليه المتسلطون، الطغاة، المجرمون، الظالمون، المفسدون، وما يفعلونه هم هو يمثِّل المشكلة، فالإنسان حتى بدون الهداية، بدون الرجوع إلى الرسول والقرآن، لن يعيش واقعًا مطمئنًا ومستقرًا. لا أبدًا، إنما معناه أن يعيش ضحيةً لتسلط الطغاة والمجرمين والظالمين والمفسدين، وأن يتحوَّل في واقعه في هذه الحياة إما إلى عبدٍ مستغَلٍ لهم، وأداةٍ في أيديهم، ويعيش بذلك حياةً سيئةً **جدًّا**، مستغلًا بكل ما تعنيه الكلمة، ومحطًا لسخط الله، ثم يكون قد خسر آخرته، ويكون مصيره في الآخرة إلى جهنم -والعياذ بالله- أو أن يعيش في هذه الحياة ضحيةً للقهر والإذلال، وقد يسحقونه بكل بساطة.

الإسلام يشكل حماية من تسلط الطغاة الظالمين

فالدين في نفسه بقدر ما هو لصالح هذا الإنسان، بما فيه من: تشريعات، وتوجيهات، وأوامر، ومبادئ من الله ﷻ فيها الخير لهذا الإنسان، فيها الكرامة لهذا الإنسان، فيها الحرية لهذا الإنسان، فيها العزة لهذا الإنسان، فيها مصلحة هذا الإنسان الحقيقية والفعلية في الدنيا والآخرة، **أيضًا** هذا الإسلام العظيم يشكِّل حماية لهذا الإنسان، لأي مجتمع يتمسك به من أن يقع فريسة سهلة ولقمة سائغة للمتسلطين والشيطانيين والظالمين والمجرمين، فيمكن لأي أمة ولأي مجتمع يتمسك بهذا الهدى أن ينعم به، وأن يقوى به؛ **لأن** من الأشياء البديهية هي: هذا الصراع الذي سيحدث، وهذا ملحوظ في القرآن الكريم وفي هذا الدين العظيم، ملحوظ أن الإنسان الذي ينتمي إلى هذا الدين، أن المجتمع الذي ينطلق على أساس هذا الدين، أن الأمة التي ستتحرك في حياتها على أساس هذا الدين ووفق هذا الدين، ستواجه تحديات، وأخطار، ومشاكل، وصعوبات، و...الخ. هذا ملحوظ، وبما أنه ملحوظ فهناك مساحة كبيرة من التعليمات والتوجيهات التي تبني الأمة لتكون قوية في مواجهة التحدي، وكيف تخوض هذا الصراع بجدارة وكفاءة عالية، إضافة إلى وعد الله ﷻ بالمعية والمعونة والنصر.

فنحن نقول: عندما تتجه أمة على هذا الأساس، ستواجه المشاكل والتحديات، وتخوض الصراع الذي لابدَّ أن تخوضه، البعض من الناس تعتبر هذه المشكلة بالنسبة لهم مؤثِّرة عليهم، على توجههم، على مصداقيتهم، على ثباتهم، ويتجهون للانحناء والخضوع لقوى الطاغوت، والتنازل عن مبادئ مهمة من هذا الدين، والقرآن الكريم عبَّر عن هذه الفئات، كما في قول الله

سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: من الآية ١١]، **وكذلك يقول الله** سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: من الآية ١٠]، من الناس من هو على هذا النحو: يريد أن يتحرك في هذا الدين، لكن دون أن يتحمل مسؤولية في مقارعة الظلم والاستكبار والطاغوت، في العمل على إقامة الحق والعدل، في التصدي للطغاة والمتسلطين والظالمين، الذين يسعون إلى استعباد الناس من دون الله، يريد دينًا مجردًا من المسؤولية، وخاضعًا لطبيعة الظروف، فإذا كان سيواجه تحديات أو أخطارًا لم يعد هناك بالنسبة له من ضرورة لمبادئ معينة من هذا الدين، إما للدين جملةً وتفصيلًا، فهو مستعد أن يرتد عنه بالكامل، وإما لمبادئ أساسية ومهمة للغاية من هذا الدين لها دور حيوي وفعَّال في هذا الدين، ينتج عنها ثمرة هذا الدين في واقع الحياة، فلا بأس- **مثلًا**- سيتنصل عن كل ما هو مهم وعظيم في الإسلام، ويبقى بالنسبة له بقايا من هذا الإسلام فصلت عن جوانب أخرى أساسية، ففقدت أثرها المفترض والطبيعي في واقع هذه الحياة في نفس الإنسان وفي واقع الحياة.

فالفئة هذه من الناس فئة لا تنطلق على أساس ما عليه هذا الدين في مبادئه وقيمه وأخلاقه، وفيما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بقي طيلة فترة بقائه في مكة على صلابة وثبات عظيم لا نظير له، ثم هاجر وواصل المشوار مجاهدًا في سبيل الله، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، يخوض الصراع مع كل قوى الطاغوت على أشده، وبكل المستويات، وبكل الوسائل المشروعة.

الفئة التي تتجه هذا الاتجاه السلبي في القعود والجمود والتنصل عن المسؤولية، والمداهنة للطغاة، وتجريد الإسلام من جانب المسؤولية بكل ما فيه، هي لا تعبِّر عن حقيقة الإسلام أبدًا أبدًا، هي تعبِّر عن اتجاهها المزاجي، الذي ينبع من ضعفها، وحتى من ضعف وعيها، وقلة إيمانها، ومستوى إدراكها ومعرفتها بأهمية تلك المبادئ، وتلك القيم، وتلك الأخلاق، وتلك التشريعات، وتلك التوجيهات من الله ﷻ فإذًا هي في اتجاه خاطئ وشاذ عن مسيرة هذا الإسلام، لا ينبغي أن تكون في موقع القدوة، ولا في موقع التأثر، ما كان منها باسم شخصيات علمائية، أو مثقفة، أو فكرية، وما كان منها بأي شكلٍ من الأشكال، هي في الاتجاه الخاطئ بكل ما تعنيه الكلمة.

الجهاد بالمفهوم القرآني لمواجهة التحديات

نأتي إلى الإسلام، ليست فقط المسألة في حدود أنك ستثبت على هذه المبادئ، بل تسعى لإقامة هذه المبادئ في واقع الحياة، عندما يقول الله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: من الآية ١٣٥]، (**قَوَّامِينَ**)، وليس [رقَّادين] ومتنصلين عن المسؤولية، ومتهربين من أداء الواجب، عندما يأتي القرآن الكريم ليقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]، عندما نجد الكثير من الآيات التي توجِّهنا بالجهاد في سبيل الله ﷻ وفق ما في القرآن، الجهاد القرآني، ليس جهاد الدواعش والتكفيريين، جهاد في خدمة أمريكا وإسرائيل وعملائهما. إلا، الجهاد بالمفهوم القرآني الذي يحمي الأمة من الطاغوت، من الاستعباد، من القهر، من الإذلال، الذي تكسب به الأمة المَنَعَة في مواجهة التحديات والأخطار التي تستهدف: حريتها، واستقلالها، وكرامتها، وعزتها، وأرضها، وعرضها... وسائر حقوقها.

فهذا الجانب جانبٌ أساسيٌ في الدين وردت بشأنه تعليمات وتوجيهات كثيرة **جدًّا**، مع أنه هُمِّش في الخطاب الديني لكثيرٍ من الناس ممن يتحدثون باسم الدين، وينطقون عن الدين، أو حُرِّف في إطلاقه على غير واقعه، وعلى غير مصاديقه، لدى البعض الآخر كما هو الحال بالنسبة للتكفيريين.

الأمة اليوم في أمسِّ الحاجة إلى جانب المسؤولية كَمَعلَم أساس من المعالم الرئيسية في الإسلام في حركة رسول الله، وفي كتاب الله؛ **لأن** الأمة تواجه تحديات فعلية، وخطيرة **جدًّا** عليها، إذا لم تتجه هذا الاتجاه المسؤول؛ ستقع ضحية لسيطرة الطاغوت، ستسحق، ستظلم، ستهان، وهي تظلم حاليًا، والأعداء يسعون إلى استحكام السيطرة عليها استحكامًا تامًا، والمسألة لا تبقى فقط في الجانب الديني في جوانبه الروحية أو الجوانب الأخرى. إلا، الطاغوت يشكِّل خطرًا على الناس في حياتهم، في أعراضهم، في مصالحهم، في أرضهم.

عندما تأتي مثلًا: إلى دراسة طبيعة وتأمل في طبيعة السلوك الأمريكي والسلوك الإسرائيلي، ما الذي يسعى له؟ هل فقط يسعى إلى منعك من بعض العبادات، أو أنه يتجه إلى أشياء أخرى **أيضًا**؟ إنما يريد أن يحول بينك وبين مبادئ أساسية، إذا كنت عليها بنتك، وكنت بها قويًا في مواجهته، وفي دفع تسلطه، في النهاية هو يريد أن يسيطر عليك أنت، تكون في هذه الحياة له، تعمل ما يريده هو منك، تتحرك وفق ما يريده هو منك، ويسعى إلى السيطرة على أرضك، على ثرواتك، على كل شيء.

فالدين لا تكون الفائدة منه خارج نطاق قوة الإنسان، عزة الإنسان، كرامة الإنسان، حرية الإنسان، بل هذه هي غاية رئيسية من الدين، وتتجه كل جوانبه- في نهاية المطاف- إلى ما فيه مصلحة هذا الإنسان؛ **لأن** الله غنيٌ عن

هذا الإنسان، ليس بحاجة إلى تديُّننا، ولا إلى عبادتنا، ولا إلى صيامنا، ولا إلى صلاتنا، ولا إلى أي شيء، هو الغني، نحن من نحتاج إليه.

يتجه الجانب التربوي ليهذِّب هذا الإنسان، الجانب الروحي- كذلك- ليصلحه، ثم تأتي تشريعات وتوجيهات عملية تساعد هذا الإنسان في أداء دوره في هذه الحياة كخليفة لله في الأرض بشكل صحيح، وبكل عزة وكرامة، وبما فيه الخير له في الدنيا والآخرة، والله يدعو إلى المغفرة، إلى الرحمة، إلى الجنة، إلى الخير، والطاغوت والشيطان إنما يسعى بالإنسان إلى ما فيه هلاك هذا الإنسان، وشقاء هذا الإنسان، وخسارة هذا الإنسان في الدنيا والآخرة، والاستغلال لهذا الإنسان فيما عواقبه سيئة عليه.

خطورة الابتعاد عن المفهوم القرآني للحياة في الدنيا والآخرة

لا يروق للكثير من أبناء أمتنا هذا التوجه المسؤول، لا يروق لهم، ونسبة كبيرة **جدًّا** من أبناء الأمة هي متجهة في واقع حياتها، في طريقتها في التدين، بناءً على شطب هذا الجانب بالكامل، **بمعنى:** الكثير من أبناء الأمة الإسلامية يريدون إسلامًا ليس فيه أي مسؤولية، إسلام فيه الصلاة والصيام وبعض العبادات، ولا يزال بعضهم اليوم بالكاد يقوم حتى بهذه، بقية الجوانب الأخرى لا يريد أن يكون له أي دور فيها، ولا أن يتحمل فيها أي مسؤولية نهائيًا، ولا يلتفت بأي شكلٍ من الأشكال لا إلى مسألة الجهاد، وإقامة العدل، وإقامة الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفق مفهومها الصحيح القرآني، وليس المفهوم المحرف الداعشي والتكفيري، أو المفاهيم التي يقدِّمها الجامدون، والذين يسعون إلى أن يجمِّدوا حتى هذه المفاهيم الفاعلة والحيوية

والعظيمة والمهمة، وأن يطبعوها بطابعهم في الجمود، والسكوت، والقعود، والتخاذل، والتنصل عن المسؤولية. |الا، بمفهومها الصحيح القرآني، بمفهومها الذي نرى فيه القدوة الأول والعظيم رسول الله ﷺ.

لا يروق للبعض من الناس أن يسمع حتى الكلام عن هذه المواضيع، ولا أن يحضر مسجدًا فيه خطبة تتحدث عن هذا الموضوع، أو فيه نشاط تثقيفي يركِّز على هذا الجانب، ولكن إذا قرَّر الإنسان أن يتجاهل هذه المسألة، هل سيفيده ذلك، هل سيعفيه ذلك أمام الله ﷻ عن تحمل المسؤولية، وعن الحساب والجزاء يوم القيام؟ |الا، |الا.

القرآن عندما يخاطبنا عن مدى أهمية هذه المسألة وموقعها من الدين نفسه، نرى الشيء العجيب، نرى مثل قول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران]، **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ)**، الذين يريدون الاقتصار على بعضٍ من الدين، وشطب كل الجوانب الأخرى المهمة والكبيرة في هذا الدين، **فيقول لك:** [الحمد لله أصبحنا نصلي ونصوم، الحمد لله خلاص **يجب** أن تكون أبواب الجنة مفتحة لنا، وأول ما نصل ندخل بكل سرعة، والَّا من باب الطوارئ، إذا به باب طوارئ، بكل استعجال **يعني**] الله يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾، **يعني:** لابدَّ من هذا الجانب من الدين، جانبٌ أساسيٌ لابدَّ منه في أن يتقبل الله منك دينك، في أن يتقبل الله منك عملك، في أن تكون من عباد الله المتقين، في أن تكون فعلًا مطيعًا لله، لا تكون من العصاة الذين عصوا الله ﷻ في جوانب أساسية، وتوجيهات إلزامية ومهمة وعظيمة.

ونجد مثلاً أن البعض- كما قلنا في كثيرٍ من كلماتنا- يريدون إيمان الأعراب، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات]، البعض يريدون في مسيرة حياتهم هذا الاتجاه الذي يتنصلون فيه عن المسؤولية، والذي يقتصرون فيه على بعضٍ من الدين، والبعض الآخر إلا، البعض الآخر هلكوا بالاتجاه المنحرف والمحرِّف على مثل ما عليه التكفيريون، الذين يحرِّفون حتى جانب المسؤولية، فيجيِّرونه ويسخِّرونه لخدمة أعداء الأمة، وللإضرار بالأمة.

هذا الجانب الأساس الذي يحاول الكثير أن يتهرب منه، وأن يتنصل عنه، بالرغم من المساحة الواسعة في القرآن الكريم للحديث عنه، وبالرغم من أنه **أيضًا** في حركة رسول الله، ونشاط رسول الله، وعمل رسول الله، أخذ مساحة كبيرة وبارزة في حياة رسول الله ﷺ وهو القدوة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، هو هذا الجانب، جانب مهم بحساب الدين، نحتاج إليه لأن نؤدِّي ديننا بشكل صحيح يقبله الله منا، وجانبٌ ضروريٌ في واقع الحياة، لا يمكن أن ندفع عن أنفسنا الاستبعاد، ولا الظلم، ولا الذل، ولا الهوان، ولا القهر، ولا الاضطهاد، إلَّا بإحياء هذا الجانب، إذا عطَّلنا هذا الجانب؛ تحوَّلنا في هذه الحياة إلى واقع بئيس- بكل ما تعنيه الكلمة- تحت سيطرة مطلقة للطاغوت والاستكبار، وأصبحنا ضحية للطغاة والمتسلطين والظلمين، يستعبدوننا، ويذلوننا، ويعملون بنا كلما يشاءون ويريدون، ونحن في موقع الضعف والاستكانة والذلة، وليس في موقع القوة.

سنكمل الحديث- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة حول هذا الموضوع على أساس ما ورد في القرآن الكريم، وعلى أساس حركة رسول الله ﷺ والذي كانت مسيرته من بعد الهجرة- من مكة إلى المدينة- كلها مسيرة جهاد حتى آخر لحظة من حياته، حتى وهو على فراش الوفاة.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لأن نتمسك بكتاب الله، ونهتدي بهدي الله، ونقتدي برسول الله ﷺ وأن يجيرنا من الضلال ومن المضلِّين، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

المحاضرة الرابعة

٤ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

في سياق الحديث عن المعالم الرئيسية في الإسلام التي نجدها واضحةً وجليةً على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، وفي حركة رسول الله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله- بالرسالة الإلهية في مسيرته بالإسلام، فيما سعى له ما قبل هجرته، وما بعد هجرته، لقد أسس رسول الله ﷺ ما بعد الهجرة لمرحلةٍ جديدة، تعتبر المرحلة التي ابتنى فيها كيان الإسلام والأمة الإسلامية، وبنى ذلك الواقع، ورسم ذلك المسار على أساس المبادئ والتوجيهات والقيم والأخلاق والتشريعات الإلهية، التي أتته من الله ﷻ فيما نزل عليه به الوحي في كتاب الله، وفي التعليمات المباشرة التي كانت تصل إليه بالوحي من عند الله. وعندما نؤكِّد على ضرورة العودة، من واقعنا الذي نعيشه، بطبيعة التحديات والأخطار التي نواجهها، أن نعود كأمةٍ مسلمة للتطلع إلى رسول الله ﷺ من موقعه في القدوة والقيادة والهداية، وإلى القرآن الكريم

كمنهج؛ **لأننا** نعيش في واقعنا في حالةٍ رهيبة من التشويش، ومن التضليل، ومن المسارات المنحرفة والخاطئة، التي يراد للأمة أن تتيه فيها هنا وهناك، من أطرف متعددة، من جهات متعددة.

فنحن من واقع انتمائنا للإسلام، وبحكم هويتنا الإيمانية، **يجب** أن نعرف جيدًا أن الذي علينا، وأن الذي يصلحنا، وأن الذي ينقذنا، وأن الذي يفيدنا، وأن الذي به فلاحنا، وخلاصنا، ونجاتنا، وفوزنا، وعزتنا، وكرامتنا، وأن الذي يمثِّل الحل لنا فيما نعانيه من المشاكل هو العودة إلى الإسلام في أصالته: أصالته في منهج القرآن، وأصالته في حركة الرسول ﷺ على أساس ذلك القرآن، هذا الذي يفيد، وهذا الذي نحمي به أنفسنا من كل محاولات التضليل والخداع.

المفاهيم الضالة التي تهدف لهدم أسس الإسلام

إنَّ الأمة الإسلامية اليوم تعاني معاناة كبيرة جدًّا، ومعظم أبناء هذه الأمة يعيشون حالة التيه بكل ما تعينه الكلمة، **بمعنى**: الابتعاد كليًا عن المسارات الرئيسية التي تنقذ الأمة، تصلح الأمة، تبني واقع الأمة، تمثِّل الحل لمشاكل الأمة؛ **لأننا** نعاني فيما يقدَّم لنا باسم الدين، باسم الإسلام نفسه، من مفاهيم مغلوطة، سعى الآخرون من: الطغاة، والمضلين، والمحرفين، والمنافقين، والذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم... سعى كل أولئك إلى الانحراف بنا من خلال تلك المفاهيم، والتدجين لنا- كأمة- لصالح الطغاة والمستكبرين والمجرمين، من خلال تلك المفاهيم المغلوطة، التي حُسِبت زورًا وبهتانًا على الإسلام، وعلى الرسول، وعلى القرآن، والرسول والقرآن كلٌ منهما بريءٌ من تلك المفاهيم الضالة والخاطئة.

اليوم، قُدِّم الإسلام للكثير من أبناء الأمة إسلامًا لا يحق حقًا، ولا يبطل باطلًا، ولا يثمر عدلًا، ولا يصلح واقعًا، ولا يبني أمةً؛ والنتيجة هي التي نراها في الساحة: أمة كبيرة، كثيرة العدد، دينها لا نظير لما قدَّمه في سبيل توحيدها، جعل وحدتها فريضةً دينية، جعلها واجبًا إسلاميًا، قدَّم لها من التشريعات والمبادئ والأسس ما يساعد على تحقيقها؛ فإذا بها أكثر الأمم في الأرض شتاتًا، وفرقةً، وتنازعًا، وتبعثرًا، وتفككًا، هل هذه حالة طبيعية؟ إلا، هذه الحالة من التبعثر، من التفكك، من التنازع، من الاختلاف... كان وراءها عمل كبير، وكان وراءها أفكار هدَّامة، وكان وراءها مفاهيم مغلوطة، وكان وراءها مسارات منحرفة، شتتت الأمة وبعثرتها، إلى أن وصلت فيما هي عليه من بعثرة وتفكك إلى واقعٍ لا نظير له في أي أمةٍ من الأمم الأخرى، بينما يفترض أن تكون هي أرقى أمة على وجه الأرض في: تماسكها، ووحدتها، وتآخي أبنائها، وألفة أبنائها...الخ. لماذا غاب كل ذلك؟ كما قلنا: مفاهيم، مسارات، شغل كبير **جدًّا** أوصل الأمة إلى ما وصلت إليه.

أمة أراد الله لها أن تبني واقعها، وأن ترسم مسارها في الحياة في كل شؤونها على أساس التحرر من الطاغوت، وعلى أساس الاستقلال من التبعية لكل قوى الضلال والباطل في هذه الأرض، وتبني واقعها، وترسم مسار حياتها على أساس تلك المبادئ، والقيم، والأخلاق، والتشريعات، والتوجيهات التي قدَّمها الله من رحمته، ومن حكمته، ومن علمه، وبعزته، وبقدرته... أراد الله لها أن تحمل مسؤوليتها في هذه الحياة بين أوساط البشرية؛ لتكون الأمة التي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، ولتكون الأمة التي تدعو إلى الخير، وتصلح في واقع البشرية، وتؤدِّي دورها في الواقع البشري بما فيه الخير للبشرية جمعاء. فإذا بها تفقد هذا الدور، وتتعطل هذه المسؤولية

في واقعها، حتى في وضعها الداخلي، ما بالك بأن تكون مصلحة في واقع البشرية من حولها، أصبح الكثير من أبنائها أيادي هدم، وأذرعة إجرام بيد الطاغوت، يسخرون أنفسهم، ويسعون لتسخير الأمة بكلها لصالح الطاغوت، كما تفعل بعض الأنظمة اليوم لمصلحة أمريكا ولمصلحة إسرائيل، تسعى لتدجين الأمة، وتسخير هذه الأمة بكل قدراتها، وبمواردها البشرية والمادية، في خدمة أمريكا. مأساة، كارثة **جدًّا**، أمر فظيع، لا يستطيع إنسان أن يتخيل مدى فظاعة هذا الأمر، إلَّا من تدبر وتأمل واستوعب من خلال كتاب الله وسيرة رسول الله، ما كان يفترض أن تكون عليه هذه الأمة، وما كان ينبغي أن يكون عليه واقعها، وكيف ينبغي أن تكون في حملها للمسؤولية، وفي طبيعة دورها بين بقية البشر.

ولذلك، نحن نقول: يجب أن نعود إلى أصالة الإسلام في حركة رسول الله ﷺ؛ **لنرى** بكل وضوح كل أولئك المفضوحين بزيفهم، وما جنوه على الأمة من خلال ما يقدِّمونه من مفاهيم مغلوطة، جرَّدوا هذا الإسلام من مبدأ التحرر، من مبدأ الاستقلال، ودجَّنوا الأمة للطاغوت، ودفعوها نحو التبعية لأعدائها في كل شؤون حياتها، ثم جرَّدوها من الوعي، من النور، من الهدى، وجعلوها أمة تعيش حالة الأمية الرهيبة **جدًّا**، التي هي أخطر من أمية القراءة والكتابة، الأمية في الوعي: لا تمتلك الوعي لا تجاه واقعها، ولا مسؤوليتها، ولا دورها، ولا أعدائها، ولا الأحداث من حولها؛ فتصبح قابلة للتضليل بشكل كبير، حال الكثير من أبنائها هو على هذا النحو: قابلية عالية للتضليل والخداع، وانعدام- إلى حد رهيب- لمستوى الوعي والبصيرة، ثم جرَّدوها من مبدأ المسؤولية تجريدًا كاملًا؛ **فأصبح** الكثير من أبناء هذه الأمة يفهم أن الإسلام مجرد طقوس لا أقلَّ ولا أكثر، والبعض يزيد عليها

شيئا من القيم الأخلاقية البسيطة (المحدودة)، وتضيع أشياء مهمة **جدًّا**، والكثير يعتبر نفسه غير معنيٍ بشيء: لا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا إقامة حق، ولا إقامة عدل، ولا محاربة ظلم، ولا إصلاح وضع... ولا أي شيء، يعتبر نفسه غير معنيٍ بشيء، يصلي ويصوم ومن بيته وإلى المسجد، وخلاص وانتهى الأمر، من أين جاءت هذه المفاهيم، هل من عند رسول الله؟ معاذ الله! هل من القرآن الكريم؟ معاذ الله!

مساحة المسؤولية في القرآن الكريم

أوسع مساحة في القرآن الكريم في الجانب العملي تحدثت عن جانب المسؤولية، بأكثر مما تحدثت عن أي فريضة أخرى، الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل، والجهاد في سبيل الله، ومقارعة الطغيان والاستكبار والظلم والفساد، المساحة التي ركَّزت عليه في القرآن الكريم أوسع بكثير بكثير مما تحدث القرآن فيه عن أي فريضة أخرى، سواءً عن صلاة، عن صيام، عن زكاة، عن حج، عن شعائر معينة أو عبادات معينة، والإسلام دين مترابط، إذا فصل جانبٌ منه عن الجوانب الأخرى؛ **فَقَدَ** ذلك الجانب المتبقي أثره في الحياة إلى حدٍ كبير، يبقى آثار ضئيلة **جدًّا**، ضئيلة للغاية، إذا فُصِل الجانب الروحي والتربوي منه عن جانب المسؤولية، وعن جانب المنهج العملي في الحياة؛ أصبح غير مجدٍ، وأمكن حتى استغلاله. يمكن للمساجد أن تستغل من قبل الطغاة؛ فتتحول منابرها إلى منابر تدجين، يمكن لشعائر الصلاة أن تتحول إلى مجرد عملية تجميع للناس ليحضروا إلى عند ذلك المُضِل الذي يرتقى المنبر ويصعد عليه ليبث أفكاره الظلامية؛ **فيدجِّن** الناس للطاغوت والاستكبار، ويخدرهم لتعطيلهم عن كل شعورٍ بالمسؤولية، يمكن- **كذلك**- لشعائر الحج أن تستغل بالقدر الذي استغلت عليه في زمن الجاهلية،

يمكن لأي شعيرة دينية أن تستغل إذا فُصِل الجانب التربوي والروحي عن جانب المسؤولية، عن الجوانب الأخرى، عن الالتزامات العملية.

الصلاة ما هو المطلوب منها؟ فقط الحصول على الأجر؟ الحصول على الأجر يتأتى إذا أثمرت الصلاة ثمرتها، أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا كانت الساحة مليئة بالمنكر، وصلاتك هذه لم تربك تربيةً إيمانية، ترقى بك إلى أن يكون لك موقفٌ من المنكر، معناه: أنها صلاة عديمة الجدوى، غير مقبولة عند الله، غير مثمرة، وعليك أن تحرص كيف تكون صلاتك هذه مثمرة، ومرتبطة بواقع عملي. الدين مترابط، من يسعى لبتر هذا الجانب، أو لبتر هذا الجانب، أو التخلص من هذا الجانب؛ هو يجني على الدين بكله، على نفسه، على الأمة من حوله.

كذلك جانب المسؤولية لا يمكن الانطلاق فيه مع البعد عن الجانب التربوي والروحي والأخلاقي. إلا، يتحول جانب المسؤولية- مجردًا عن الجانب التربوي والروحي- إلى ميدان- **كذلك**- ميدان يتحرك الإنسان فيه بكل قصور، لا يمتلك لا الروحية، ولا القيم التي تؤهله لأداء سليم ومستقيم، وبدافعٍ صحيح وسليم، يتحول- **كذلك**- إلى وسيلة للتسلط والاستغلال، فالترابط هذا في الدين هو ما عمل عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبنى الأمة على أساسه.

المفهوم الواسع للمسؤولية

اليوم، نتحدث فيما يتعلق- أيضًا- بجانب المسؤولية، وجانب المسؤولية جانب واسع، واسع يشمل مجالات متعددة: المسؤولية في إقامة العدل والحق في الحياة، المسؤولية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قرأنا في المحاضرات الماضية قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ

﴿بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: من الآية ١٣٥]، تحدثنا عن هذه الآية المباركة، **أيضًا** قول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٠]، خيرية هذه الأمة، وما كان عليه أخيارها في الماضي هو بالالتزام بهذه التعليمات الإلهية: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، أخيار هذه الأمة في الماضي كانوا أخيارًا بهذه القيم، بهذه الالتزامات، بهذه التوجيهات الإلهية، ومدى التزامهم بها، الأمة بعدهم **كذلك** لن تكون خيِّرةً إلَّا بمدى التزامها بهذه؛ **لأن** الخيرية اقترنت بهذا: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، من لا يسير في هذا الاتجاه حتى لو كان يعتبر نفسه من الأخيار: إما باعتباره بصفة عالم دين، أو يقدِّم نفسه بصفة عابد، أو بأي شكلٍ من الأشكال، كمصلح في هذه الحياة، أو أي شيء، أي عنوان آخر... ليس من الأخيار أبدًا، ليس من الأخيار من لا يتجه هذا الاتجاه، لا كشخص، ولا كمجتمع، ولا كأمة، بل يمكن للأمة- بتعطيلها لمسؤوليتها هذه، وابتعادها عن هذه التعليمات الإلهية- أن تتحول إلى أسوء أمة، بدلًا من أن تكون خير أمة، أن تكون أسوء أمة أُخرجت للناس، أمة قليلة الخير، ومتعطلة عن القيام والنهوض بمسؤولياتها، بما أتاح المجال لقوى الشر والفساد أن تطغى بفسادها وظلمها وإجرامها في هذا العالم.

كذلك المسؤولية المتعلِّقة بالجهاد في سبيل الله، الفريضة العظيمة المهمة، التي لابدَّ منها، لكي تتمكن الأمة من الاستقامة في السير على أساس منهج الله، وإلَّا ستُمنع هذه الأمة كأمة، أو أي مجتمع كمجتمع يسعى لأن يتحرك على أساس منهج الله، متحررًا من سيطرة الطاغوت، ومستقلًا من التبعية للاستكبار والطاغوت، سيُمنع، سيقاتَل، سيعادى إن أراد السير في هذا

الاتجاه الذي يتناقض كليًا مع قوى الطاغوت والشر والإجرام والفساد في هذا العالم، سيمنع الناس؛ **لأنه** يراد لهم من قِبَل تلك القوى الشيطانية أن يكونوا خاضعين، أن يكونوا مذعنين، أن يكونوا مستسلمين ومستكينين، ثم أن يكونوا مستغَلين ومستعبَدين لقوى الطاغوت، ما الذي تريده أمريكا منَّا اليوم، إلَّا أن نخضع لسيطرتها بشكلٍ مطلق، إلَّا أن تستغلَّنا نحن كبشر، ومواردنا الاقتصادية، ومناطقنا، حتى على مستوى أراضينا، بكل شيء، تريد أن تستغل كل شيء، ما الذي يريده عملاء أمريكا، إلَّا عملية اخضاع لطاغوتهم الأمريكي على نحو ما يريد، وبما يسعى له.

فإذًا، هذه الأمة إذا أرادت أن تتحرك، ستقمع، سيسعى الآخرون لاستهدافها، وهي أمة لها أعداء تختلف معهم، تتناقض معهم في اتجاهاتهم، في إرادتهم، فيما يسعون له من سيطرة واستعباد؛ فالأمة لابدَّ أن تدافع عن نفسها، وأن تدافع عن نفسها في ظل مسارها هذا، لكي تسير في هذا الاتجاه المتحرر والمستقل، فتواجه هذا العدو الذي يعتدي عليها، ويسعى لاستهدافها بكل الوسائل، والأعداء هم يستهدفون الأمة عسكريًا، يستهدفونها اقتصاديًا، يستهدفونها ثقافيًا وفكريًا وإعلاميًا، وكل ما يدخل في إطار ما يسمى اليوم بـ(**الحرب الناعمة**)، الاستهداف للأمة بكل أشكال الاستهداف.

منهجية القرآن لرسول الله أمام استهداف الأعداء للأمة

في ظل واقعٍ كهذا كيف نتحرك؟ من هو قدوتنا؟ ما هي المنهجية التي ينبغي أن نتبعها؟ ما هي الرؤية التي ينبغي أن نعتمد عليها؟ نعود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعود إلى القرآن الكريم، ماذا فعل رسول الله؟ ما الذي وجهنا إليه الله في القرآن الكريم؟ هل وجهنا بالقعود والسكوت والجمود والاستسلام؟

هل أمرنا بالخنوع والخضوع للطغاة؟ هل علَّمنا في القرآن الكريم أن نكون أمة ميتة الإحساس، ميتة الشعور، غافلة عن أعداءها، لاهية بالأشياء التافهة في واقع حياتها، وغير متنبهة إلى الواقع من حولها؟ هل علَّمنا أن نبني واقعنا لنكون أمةً ضعيفةً عاجزةً، تتجه إلى الاعتماد على أعدائها في كل شيء، أم أنَّ للقرآن منهجًا آخر، غير هذا المنهج الذي يحدثنا به الكثير من الضالين، من المرجفين، من المنافقين، من الذين في قلوبهم مرض، من الخانعين، من الجاهلين...؟ أم أنَّ للرسول ﷺ في مسيرته العملية، في تطبيق القرآن، وفي إقامة هذا الدين، سيرةً مختلفة عما يحاول الآخرون باسم الدين، أو تحت عناوين أخرى أن يخدعونا به لتدجيننا لصالح أعدائنا؟

عودة بسيطة إلى القرآن الكريم تجد سوَرًا بأكملها تبني واقع هذه الأمة على درجة عالية من: الانتباه، واليقظة، والحذر، والوعي، والاحساس العالي بالمسؤولية، والسعي لأن تكون أمةً قوية، وأن تكون أمةً حرةً وعزيزةً وأبيةً وثابتةً في وجه أعدائها، وأن تحمل في مشاعرها العزة، والقوة، والحرية، والإباء، وأن تتحرك بكل جدية في مواجهة التحديات والأخطار التي يستهدفها بها أعداؤها.

عندما نعود إلى القرآن الكريم، مثلًا: في سورة التوبة، سورة التوبة من أولها إلى آخرها سورة استنفار، سورة تعبئة، سورة تحفيز، سورة تعطي وعيًا عاليًا عن العدو، وكيف ينبغي أن نكون في مواجهة العدو، سورة واحدة، عندما نأتي إلى القرآن الكريم سنرى كيف هو موقف القرآن الكريم من الجهات التي تسعى بأن تتجه بالأمة أثناء التحديات، وعندما يوجد الخطر، إلى اتجاهات: الخنوع، والجمود، والاستسلام، والتخاذل، والتنصل عن المسؤولية... كيف يتخاطب معها القرآن الكريم، كيف يصنِّفها، كيف يعتبر موقفها شاذًا بكل

ما تعنيه الكلمة، لا هو ينسجم مع الفطرة، ولا هو ينسجم مع الإنسانية، ولا هو ينسجم مع الدين، موقف سيء، سلبي، خاطئ بكل ما تعنيه الكلمة، لا يمثِّل أي خير، ولا أي مصلحة للأمة.

القرآن الكريم يحيي حالة النفير ويذم حالة التخاذل

نأتي إلى بعضٍ من النصوص القرآنية في سورة التوبة؛ لأننا سنستعرض **كذلك**- إن شاء الله- في المحاضرات القادمة هذه الحالات التي لا تنسجم مع ما كان عليه رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة]، هذه الآية بخطابها هذا المؤثِّر والمستنفر الذي يحيي في الأمة حالة النفير، حالة اليقظة العالية، الذي يخرج الناس من حالة الغفلة والجمود، هو يأتي ليتخاطب وليواجه حالة: هي حالة التثاقل، **يعني**: ليست بالدرجة التي تصل إلى حد التنصل الكلي عن المسؤولية. |الا، مسألة التثاقل.

البعض- مثلًا- **يتنصل كليًا عن المسؤولية،** عازفًا نهائيًا عن أن يكون له أي موقف، عن أن يلتفت- **أصلًا**- إلى هذا الموضوع. البعض قد يكون لا بأس متفاعلًا، لكن بشكلٍ بطيء، وبشكلٍ متثاقل، حتى حالة التثاقل حالة غير مقبولة- نهائيًا- في الإسلام، الحالة التي يُبنى عليها واقع المجتمع الإسلامي إذا كان متفاعلًا مع هدى الله، ومقبلًا إلى آيات الله، غير معرضٍ عنها، أن يعيش هذه الروحية العالية من: التفاعل، والاستجابة، واليقظة، والانتباه، والمبادرة،

والمسارعة، وليس في حالة من: التثاقل والتباطؤ؛ **لأن** طبيعة هذه المسؤولية، ومستوى الأخطار يقتضي من الأمة أن تكون يقظة ومبادرة ومسارعة، وألَّا تكون على هذا النحو من التثاقل والتباطؤ في مواجهة الأخطار، وأمام التحديات؛ يسبب للأمة نكبات كبيرة، أحيانًا في فارق البعض من الوقت تُنكب أمة، تخسر معركة؛ وتتيه وتتحمل تبعات كبيرة **جدًّا** نتيجةً لتثاقلها.

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾، هذه الحالة هي حالة غير صحية، غير سليمة، غير إيجابية، أين هذا المنطق من منطق من يثبط، من يخذِّل، من يجمِّد الناس، من يميت فيهم روح المسؤولية والإحساس بالمسؤولية. ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾، هذا وعيد إلهي، وعيدٌ بالعذاب من الله، وعيدٌ لمن؟ للكافرين، لليهود، للنصارى؟ هذا وعيد للذين آمنوا، للذين يصلون ويصومون ويزكون، ويعملون بعض الأعمال بصفة أنها أعمال صالحة، ولكنهم لا يريدون الجهاد في سبيل الله، لا يريدون أن يتحملوا مسؤولية أمام التحديات والأخطار التي تعاني منها الأمة، وستؤدي إلى ضياع هذه الأمة، وضياع كل ما لديها، يريدون إسلامًا لا مسؤولية فيه، لا تحرك فيه، لا موقف فيه... هذه النوعية من الناس موعودون من الله بالعذاب، ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾، حينها لا تغني عنكم صلاتكم، ولا يغني عنكم صيامكم، ولا تغني عنكم أعمالكم من النوافل والمستحبات؛ **لأنكم** فرطتم في فريضة مهمة **جدًّا**، هي تُدلل على مدى مصداقية الإنسان حتى في انتمائه الإيماني، في مصداقيته مع الله ﷻ فالله يتوعد بالعذاب في خطابه للذين آمنوا، للمنتمين إلى هذا الدين، لأولئك الذين يذهبون إلى المساجد ويعودون منها، ولكن لا يريدون أبدًا أن يتحملوا هذه المسؤولية، ولا أن يلتفتوا إليها.

القعود انحراف عن خط رسول الله

ثم نأتي أيضًا في القرآن الكريم، في نفس سورة التوبة تجد الآيات التي تبين كيف هو اتجاه رسول الله ﷺ وأن الحالات التي يتجه فيها البعض متنصلًا عن المسؤولية، متهربًا من أداء هذه المسؤولية، هي اتجاه منحرف، أولئك لا يقتدون برسول الله، من يسلكون سلوك الجمود والقعود والتخاذل هم لا يقتدون برسول الله ﷺ من كان منهم باسم عالم، أو متعلم، أو مرشد، أو خطيب جامع، أو إمام مسجد، أو أيًّا كان، بأي صفة كان، هو لا يقتدي برسول الله ﷺ الله يقول: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [التوبة: من الآية ١٢٠]، ما ينبغي لهم أبدًا أن يتخاذلوا عن الجهاد، في الوقت الذي كان مَنْ يدعو إلى الجهاد، ويقيم فريضة الجهاد هو رسول الله، الذي هو القدوة والأسوة، والذي **يجب** أن يحذوا الناس حذوه، أن يقتدوا به، عندما تريد أن تمتنع عن أداء هذه الفريضة، وقدوتك في أدائها والقيام بها هو رسول الله الذي كان مجاهدًا، داعيًا إلى الجهاد، قائدًا للجهاد، محرِّكًا للأمة في الجهاد في سبيل الله، فتأتي أنت إما لتقعد، وإما لتثبط الآخرين **أيضًا**، ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾، ما يليق بهم أبدًا، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ﴾، **أيضًا** الأمة بكلها- من بعد رسول الله إلى قيام الساعة- ما ينبغي لها أن تتثاقل، ولا أن تتخاذل، ولا أن تثبط، ولا أن تجمد، ولا أن تشطب المسؤولية في الدفاع عن: **(نفسها، ومبادئها، وقيمها، وعرضها، وأرضها، وحريتها، واستقلالها)**، من خلال الجهاد في سبيل الله، الذي يوفر لها المَنَعَة والحماية، ويدفع الخطر عنها، ما ينبغي لها أن تتنصل عن هذه المسؤولية؛ **لأن** القدوة في أداء هذه المسؤولية والقيام بها، وباعتبارها فريضةً إلهية، هو رسول الله ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة]، فالمؤمنون عليهم أن يقتدوا برسول الله، وأن يدركوا أن كل عناء في سبيل أداء هذه المسؤولية، وكل مشقَّة يقابلها مكافأة عظيمة من الله، يقابلها الأجر، يقابلها الفضل، يقابلها الرحمة، يقابلها المكافأة بالنصر والعزة والكرامة، يقابلها حُسن ثواب الدنيا وحُسن ثواب الآخرة، يقابلها الخير كل الخير فيما وعد الله به الأمة إذا استجابت، إذا نهضت، إذا تحمَّلت مسؤوليتها، فيما يمنحها الله من: رعاية، ونصر، وتأييد، وتمكين، وخير الدنيا والآخرة...

فالمسألة مهمة جدًّا، فما كان لأيِّ عالم، ولا لأيِّ خطيب، ولا لأيِّ مثقف، ولا لأيِّ شخصٍ ينتمي إلى هذا الإسلام أن يجمد، وأن يميت من نفسه روح الشعور بالمسؤولية، أو أن يتجه في الساحة للتثبيط والتخذيل، وزرع الوهن واليأس في نفوس الناس، والسعي لأن تجمد هذه الأمة، وأن تستكين وهي تواجه أكبر الأخطار والتحديات من قوى الطاغوت المستكبرة، وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل، ومن معهما من العملاء الذين يعملون لصالحهما من داخل أبناء الأمة، مرحلة مهمة، لا تقلُّ عن أي مرحلة تمثِّل خطورة بالغة على الأمة في ما مضى من الزمن، مرحلة تستدعي إحياء هذه الفريضة.

المخلفون.. خواء الإيمان وموت الضمير

عندما نأتي أيضًا إلى القرآن الكريم كيف يتحدث- أيضًا- في هذا السياق، يقول الله ﷻ: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾[التوبة: من الآية٨١]، **(الْمُخَلَّفُونَ)**: هذه السِّمة، وهذا التوصيف الذي يمثِّل- **فعلًا**- علامةً سلبية لمن يتصفون به، **المُخَلَّفُون**: هم أولئك الذين تنصَّلوا عن المسؤولية، هم أولئك الذين لم تحركهم لا فطرتهم، ولا مشاعرهم الإنسانية، وهم يرون الخطر على أمتهم من حولهم، الخطر الذي يشملهم، كما هو خطرٌ على الأمة بكلها، رضوا لأنفسهم بالتنصل عن المسؤولية، رضوا لأنفسهم أن يعيشوا في واقع الذل والهوان والجمود والاستسلام، رضوا لأنفسهم بالخنوع، لا يمتلكون الطاقة الإيمانية والدافع الإيماني، ولا الضمير الإنساني، ولا الإحساس بالواقع من حولهم، قلوب ميتة وجامدة وباردة، لا تلتفت ولا تتفاعل مع ما حولها.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، كان لهم ذنبان: الذنب الأول هو قعودهم، قعودهم بنفسه ذنب، وتخلفهم عن النهوض بالمسؤولية والتحرك ذنب، وإضافةً إلى ذلك فرحوا، فرحهم هو ذنبٌ آخر، الفرح بقعودهم؛ **لأنهم** يعتبرون قعودهم هو الصواب، وهو السياسة، وهو الحكمة، وأنهم أذكياء، وأنهم عباقرة، لم يورِّطوا أنفسهم كما فعل الآخرون، يرون في نهوض الآخرين بالمسؤولية، وتحركهم للتصدي للخطر أنَّه تَوَرُّط، وأنه غباء سياسي، وأنه حماقة، وأنه كان ينبغي لهم أن يخنعوا، وأن يستكينوا، وأن يستسلموا لأعداء الأمة... فهم فرحوا بما هم عليه من قعود، واعتبروا أنفسهم أذكياء، وعباقرة، وسياسيين، وحكماء، وأن الآخرين أغبياء ومتهورين.

﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، عندهم كره للجهاد، وصل بهم الحال إلى أن يكرهوا الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، ليس عندهم أي رغبة في ذلك، ولا أي اندفاع، هذا يدل على خواء إيماني، على فراغ؛ لأن الجانب الإيماني ثمرته في النفس: رغبة فيما هو رضى لله، هذا أمرٌ لا شك فيه، ثمرة الإيمان رغبة، اندفاع، تفاعل مع ما فيه مرضاة الله ﷻ فهؤلاء- على العكس- **كَرِهُوا**، معقَّد من الجهاد، **يعني**: البعض من شدة تعقده لا يرغب حتى بأن يسمع الكلام، حتى اسم الجهاد، عنده عقدة نفسية من نفس الاسم، وعلى هذا يجري الحال في بعض المناطق، لا يرغب حتى أن يسمع في خطبة جمعة، أو في حديث، أو في تذكير بآيات الله، أي كلمة فيها مفردة: (قتال في سبيل الله)، أو (جهاد في سبيل الله)، هذه الحالة الشاذة سنتحدث عنها على ضوء بعض الآيات- إن شاء الله- **أيضًا** فيما سيأتي.

﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، لا يكتفي بأن يقعد بكل ما هو عليه من عار القعود، عار التخلف، هذا الذي شهد عليه أنه قد تفرغ من كل المشاعر الإنسانية والدوافع الإيمانية، لا يكتفي، بل يتجه إلى الآخرين لتثبيطهم تحت أي عنوان: إما عنوان مثل هذا العنوان ﴿لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، أو أي إشكالية يستغلها، أو أي عنوان آخر يرى أنه وسيلة للتثبيط، يسعى للتثبيط من خلاله.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة]؛ **لأنهم** موعودون بالعذاب، هم موعودون بعذاب الله -نعوذ بالله!- ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾، هذا وعيد بجهنم، ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾؛ **لأنهم** قد تبلَّدوا، وانغلقت عندهم كل منافذ الوعي، المتخلفون، الجامدون، القاعدون، يصلون إلى هذه

الحالة من الخذلان.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً﴾، فيما هم عليه من تباهٍ وارتياح بتخلفهم، واستخفافهم بالآخرين، وسخرية من الآخرين الذين تحركوا في مسؤوليتهم، ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾؛ **لأن** أمامهم في جهنم العذاب الشديد الذي سيكونون فيه حالة بكاء لا انقطاع له، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، مع أن البعض حتى في الدنيا تصل إليهم: ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾.

موقف القرآن من المُتخلِّفين

﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التوبة]، البعض يصل بهم الحد من سخط الله ومقته عليهم عندما يتخاذلون في مرحلة حسَّاسة، مرحلة مصيرية، تكون الأمة فيها في مشكلة كبيرة، وفي مواجهة تحديات وأخطار كبيرة، وفي أشد الظروف، وأقسى المراحل، وأصعب المراحل يتخاذلون، يثبطون، يشمتون، يسخرون، يستهزئون، ثم عندما تجتاز الأمة تلك المرحلة الخطرة **جدًّا**، تلك الظروف الصعبة والحسَّاسة والمصيرية، وتخرج منها بالنصر، وتنفتح لها آفاق الانتصارات، وتأتي مراحل متقدِّمة، الأمة فيها في مرحلة انتصارات، وقد تجاوزت تلك المراحل الخطرة للغاية والصعبة **جدًّا**، يأتي البعض في تلك المراحل ليتحرك فيما بعد، ويعتبر نفسه ذكيًا أنه في المراحل الخطرة والحسَّاسة والصعبة قعد وتخاذل، مثل هذه النوعية لا يقبل الله منها، ولا ينبغي للمؤمنين أن يقبلوا منها أن تتحرك فيما بعد، ممنوعة خلاص، مقتت وخذلت؛ **لأنها**

حتى لو تحركت فيما بعد، هي لا تتحرك بدافع إيماني، إما بدافع مادي، بدافع المكاسب في مرحلة اطمأنت فيها من المخاطر، وفي المرحلة التي هي صعبة، والمرحلة التي فيها أخطار كبيرة تنصلت وتخاذلت، مثل هذه الفئة بالذات لا ينبغي أن تقبل فيما بعد أبدًا.

بهذا التعبير القرآني: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً﴾، نهائياً؛ **لأنهم** لا يتحركون بدافع إيجابي نهائياً، ﴿وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أنتم قعدتم برضى بذلك القعود، البعض من الناس قد يقعد وهو يحس بالذنب، ويستشعر التقصير، ويقول: [والله نحن مقصِّرون للأسف، وقعودنا هو خطأ]، لكن البعض [الا] يقعد برضى، بارتياح إلى ما هو فيه من تخاذل، هذا إنسان عديم الإحساس، منعدم الإيمان، هذا إنسان قد وصل إلى درجة خطيرة **جدًّا** من الانسلاخ والتفرغ من كل القيم الإنسانية والفطرية والإلهية، إنسان بلغ غاية السوء **جدًّا**، وأحيانًا تكون هناك أحداث مؤلمة للغاية، تُحرِّك أي إنسان بقي فيه شيءٌ من الإحساس الإنساني: مظالم كبيرة، جرائم كبيرة، معاناة كبيرة، ويكون الأعداء على مستوى فظيع **جدًّا** من عدوانيتهم وإجرامهم، إنسان يرضى لنفسه بالقعود في واقعٍ كهذا، فاعتبره لم يعد له من كلمة إنسان إلَّا الاسم ، وإلَّا قد صار حيوانًا متبلدًا، لم يعد يمتلك المشاعر الإنسانية، البعض يشاهد مشاهد مأساوية **جدًّا** من جرائم الأعداء ولا يحركه ذلك، يلحظ عدوانًا وحشيًا وإجراميًا وببغي كبير ولا يستفزه ذلك، ولا يؤثر فيه ذلك، لا آيات الله تؤثر فيه من القرآن، ولا الواقع من حوله، ولا المآسي من حوله، ولا الأحداث من حوله تؤثر فيه ولا تحركه، **ماذا يعني ذلك؟** يرضى لنفسه بالقعود، ويرتاح، ويضحك، يشعر بالسرور فيما هو فيه، وهو في حالة لا تليق أبدًا بإنسان يحمل الشعور الإنساني، لا تليق بإنسان بقي فيه ذرة من الإحساس

والوجدان والمشاعر الإنسانية، مثل هذه النوعية لا يقبل منها، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، **(رَضِيتُم بِالْقُعُودِ)**، كما قلنا: البعض قد يقعد وهو يحس بالذنب، وقد يتوب فيما بعد وينطلق، لكن تلك الفئة التي رضيت بالقعود، خلاص، ﴿فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، **(فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ)**: اقعدوا كما النساء والصبيان، النساء اللواتي لهن عذرهن في التخلف، أما موقفكم فليس بمناسب أبدًا، وكالأطفال الصغار، يبقى رجّال، [البعض- ما شاء الله- با يطلع وزنه ثمانين كيلو، والَّا مائة كيلو، والَّا سبعين كيلو، والَّا مائة وعشرين كيلو، يبقى حاله حال طفل صغير في المزباء (في المهد) عند أمه ترضعه، مسكين، وترعاه وتنظفه]، يبقى كأنه طفل صغير، **يعني**: في حالة الجمود، والتخاذل، والتنصل عن المسؤولية، **يعني**: حالة معيبة، ﴿فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، **يعني**: أنتم في حالة معيبة، لا تشرفكم أبداً كرجال، يفترض أنكم من تذهبون، وتعلِّق عليكم نساؤكم الأمل بأنكم حماة الديار، وحماة الأعراض، والحماة للعرض والأرض والشرف، ولكن تبقون أنتم بحاجة لمن يحميكم أنتم والنسوان والأطفال، حالكم حال تلك النسوة وأولئك الأطفال الذين هم بحاجة إلى من يحمل نخوة، وشهامة، ومروءة، وعزة، وإباء، فيذهب لحماية تلك الفئات الضعيفة والمستهدفة من جانب الأعداء.

فعندما يقول الله: ﴿فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴾، **يعني**: أنكم في وضعية معيبة، ومخزية، ومشينة، وغير لائقة بكم، انظروا كيف هو منطق القرآن، البعض يكونون في حالة من التباهي بما هم عليه من قعود، كيف يتحدث عنهم القرآن الكريم؟

جريمة الرضى بالقعود

﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾[التوبة:الآية٨٤]، هذه الفئة التي رضيت بالقعود، وافتخرت بقعودها، وبرَّرت قعودها، وأصرَّت على أنَّه هو الموقف الصحيح والسليم والحكيم، تحت أي تبرير، هؤلاء مقاطعة لهم حتى بالصلاة عليهم، ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، **لَا تَقُمْ**- حتى- **عَلَى قَبرِهِ**، فئة لا ينبغي أن يتعامل معها المجتمع بالاحترام أبدًا، لا في حياتها ولا في مماتها، وتقاطع إلى هذه الدرجة من المقاطعة، لماذا؟ **لأن** الإنسان إذا وصل إلى حالة الرضى بالقعود، ومات عنده روح الإحساس بالمسؤولية بشكلٍ تام، فإن هذا **يعني**: أنَّه فَقَدَ إيمانه، في داخله كفرٌ مبطَّن، في وجدانه وفي أعماق نفسه كفرٌ مبطن، هو فَقَدَ الثقة بالله ﷻ إذا كنت تعتبر نفسك مؤمنًا ومتدينًا؛ **لأن** البعض يعتبر نفسه- حتى- متدينًا وأكثر من غيره، فما هو هذا التدين الذي لا ينسجم مع القرآن، لا يلتقي مع القرآن، لا يتجاوب مع آيات الله وتوجيهاته، أيُّ تدينٍ هذا؟!

آيات الله فيها وعيد على ترك الجهاد في سبيل الله، وعيدٌ بالعذاب، فيها تأكيد على أن الإنسان الذي يُعرِض عن هذه الفريضة، ويعطل هذه الفريضة فَقَدَ إيمانه، فَقَدَ إيمانه، وأنه لا يعتبر عند الله من المؤمنين، ولا يسير في طريق الجنة، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران]، فالمسألة واضحة **جدًّا**.

يقول الله: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[التوبة]، فهم عاشوا في واقعهم لمَّا وصلوا إلى درجة الرضى بما هم عليه من قعود، وجمود، وتنصل عن المسؤولية، وتفرج على واقع الأمة، معنى ذلك: أنهم وصلوا إلى

حالة سيئة، وحالة مخزية، وحالة من انعدام تلك المبادئ الإيمانية، والقيم والأخلاق الإيمانية، التي يفترض أن تحيي فيهم روح الشعور بالمسؤولية.

﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ﴾، فلا تعوِّل عليهم، ولا على إمكاناتهم، ولا تؤمِّل فيهم، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة]، هي عذاب نفسي عليهم، هم في حالة من الألم والقلق عليها؛ حتى لا تتضرر، أو يخسرون شيئًا منها، ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [التوبة]، هذه الفئة الميَّالة للقعود، الميَّالة للجمود، المتنصلة عن المسؤولية، المتهربة من القيام بالواجب، المتفرِّجة على ما تعانيه الأمة من حولها، وما تواجهه من أخطار وتحديات، وكأنها غير معنية بشيء ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: الآية٨٧]، رضوا لأنفسهم أن يكونوا بلا ضمير، بلا موقف. معيبٌ في حق الإنسان أن يكون بلا موقف، الله قد أعطاك طاقة وقدرة تستطيع أن تكون صاحب موقف، إيمانك يفرض عليك أن تكون صاحب موقف، إن كان فيك إيمان، الدين الذي تنتمي إليه يفرض عليك أن يكون لك موقف، أين هو موقفك؟ ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، وهذه حالة خطيرة **جدًّا**: (حالة الرضى)؛ **لأن** البعض- كما قلت- قد يستشعر التقصير والذنب، ويعترف على نفسه بالتقصير لقعوده، لكن البعض راضون بما هم عليه، ومرتاحون بما هم عليه، وهذه قضية خطيرة **جدًّا** تسبب مقتًا من الله، مقتًا شديدًا **جدًّا**، وخزيًا من الله، وسخطًا كبيرًا من الله ﷻ.

نتائج الطبع على القلوب

﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، هذه حالة خطيرة **جدًّا**. أنا أعتقد أنَّ هذا من أكبر العقوبات الإلهية على المتخاذلين، والمتنصلين عن المسؤولية، والراضين بالقعود، أنَّ من أكبر ما يعاقبهم الله به أن يطبع على قلوبهم، وإذا طُبِعَ على قلب الإنسان فهو يتعرض لحالتين خطيرتين **جدًّا**:

الحالة الأولى انعدام المشاعر الإنسانية: مهما حدث فقد أصبح قلبه بالطبع عليه قلبًا شبه ميت، لا يتفاعل، لا يتأثر بأي أحداث، هذا الإنسان المطبوع على قلبه، لو يشاهد ما شاهد من المآسي، لو يشاهد ما يشاهد، أو يسمع بما يسمع من جرائم، من هتكٍ للعرض، من أمور فظيعة **جدًّا**، أي إنسان فيه حياةٌ إنسانية: حياة الشعور، حياة الإحساس، حياة الوجدان، حياة القيم؛ يتألم، يتأثر، يتفاعل، يترتب على تفاعله هذا موقف، ولكن من طُبِعَ على قلبه. إلا، يحصل ما حصل، يحدث ما حدث، يقع ما يقع، المآسي الكبيرة لا تؤثر فيه، لا يتفاعل معها، بارد، مهما حصل فهو ذلك البارد، اللامبالي، اللاملتفت إلى ما هناك، بل هو الذي يسخر من كل ذلك، ويعتبره شيئًا طبيعيًا، ويسخر من أولئك الذين يعيشون تلك المأساة.

المشكلة الثانية، والحالة الثانية الخطيرة جدًّا لمن طُبِعَ على قلبه، انغلاق حالة الفهم عنده: كل نوافذ الفهم تقفل عنده، مقفل، ما عاد يفهم، يتبلد ويتحول إلى غبي بشكل رهيب **جدًّا**، تكون نظرته إلى الأحداث وإلى الواقع نظرة غير صحيحة بالمرة، نظرة غبية تمامًا، نظرة جاهلة، لا ينظر نظرة صحيحة، لا يفهم الأشياء بشكل صحيح، لا يفهم الأحداث بشكل صحيح، يتحول إلى أسوء حالة من الغباء، أغبى من حمار أهله، إن كان لديه حمار في المنزل، يصبح

أغبى من ذلك الحمار الذي في المنزل، غبي إلى درجة رهيبة **جدًّا**، لا يفهم الأحداث نهائيًا، ولا عواقبها، ولا مساراتها، ولا ما يترتب عليها، وينظر إلى الأشياء من حوله نظرةً غبية بكل ما تعنيه الكلمة، هذه عقوبة خطيرة **جدًّا**؛ **لأن** من أعظم ما يتميز به الإنسان هو: إحساسه، وجدانه، مشاعره الحيَّة، **وأيضًا** فهمه، وعيه، بصيرته، فإذا فَقَدَ ذلك الإحساس، وذلك الشعور الإنساني الحي، المتفاعل مع الواقع من حوله، وفَقَدَ البصيرة، والوعي، والنظرة الصائبة، والفهم الصحيح لما يدور في هذه الحياة؛ فَقَدَ قيمته الإنسانية، وخاصيته الإنسانية، وأصبح ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: من الآية١٧٩]، كما يتحدث القرآن في آيةٍ أخرى، فمن أسوء ما يعاقب به الإنسان الذي رضي بالقعود والجمود هو هذه العقوبة الإلهية.

طريقة تعامل الصادقين مع رسول الله

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة: من الآية٨٨]، هذه آية عجيبة **جدًّا** ومؤثرة في هذا السياق، مؤثرة، لكل القاعدين، والجامدين، والمتنصلين عن المسؤولية، والمتخاذلين... اسمعوا ما يقوله الله، تحدث المتخلفين، الميَّالين للقعود: ﴿ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾، لا يريدون أن يتحركوا أبدًا، ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾، رسول الله مجاهد، جاهد بالمال والنفس، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾، الذين كانوا معه بما تعنيه كلمة (**مَعَهُ**)، كانوا معه في الموقف، كانوا معه مجاهدين، ولم يكونوا فقط على النحو الذي عليه الكثير من الناس ممن يقول: [أنا مؤمن برسول الله، ومع رسول الله]، إذا كنت مؤمنًا مع رسول الله

ستكون في طريق الجهاد، هذا هو طريقه، هو سيد المجاهدين، هو إمام المجاهدين، هو قدوة المجاهدين، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾، أين مَنْ يأتي ليقول أنَّه من ورثة الأنبياء، ثم يكون جامدًا وقاعدًا ومتخاذلًا ومتنصلًا عن المسؤولية، أين هو من الإتباع لرسول الله، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله؟! أين الكثير من أبناء الإسلام ممن فصلوا أنفسهم وانفصلوا كليًا عن جانب المسؤولية، وأصبحوا يتعاملون مع الإسلام مجرد طقوس منقطعة ومبتوتة ومفصولة من جذورها ومن ثمرتها، لا بقي ارتباط بجذور وأسس، ولا بقي لها علاقة بثمرة ونتائج، خلاص قطعوها هنياك لوحدها، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾، (**هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)، هذا هو طريق الفلاح، هو الاتجاه الصحيح. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾[التوبة].

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أنظروا كيف يتخاطب مع القاعدين: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، غير الأفياء من الناس، المتنصلين عن المسؤولية في الظروف والمراحل الحساسة والاستثنائية والمصيرية والخطيرة **جدًّا**، لا وفاء فيهم لا لدينهم، ليسوا أوفياء مع الله ﴿كَذَبُوا اللَّهَ﴾، ليسوا أوفياء مع الله، ولا مع رسوله، ولا مع دينهم، ولا مع أمتهم، هذا هو حال الذين يقعدون ويتنصلون عن المسؤولية، ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، كلمة مؤثرة **جدًّا** هذه، كلمة مؤثرة **جدًّا**، ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾[التوبة]؛ **لأن** الإنسان يعيش حالة الكفر في قلة ثقته بالله، في نظرته المنفصلة كليًا عن

توجيهات الله، **وكذلك** في ما يتعلق برفضه للحق ولتوجيهات الله وأوامره.

طبيعة الإذن للمعذورين من الجهاد

﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ﴾، **يعني**: حتى الضعفاء والمرضى والمعذورين من الجهاد عذرهم في بقاءهم- **مثلًا**- مشروط، الإذن لهم مشروط بأن يكونوا ناصحين بالكلام الطيب، بالكلام المؤثر، بالتشجيع للجهاد، بكل ما يمتلكونه مما يستطيعون فعله في إطار إحياء الجهاد، والتشجيع عليه، والترغيب فيه... وما إلى ذلك.

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾[التوبة]، هذه الفئة التي لا تستطيع أن تموِّل نفسها، وليس هناك من يموِّلها لتتحرك في سبيل الله، وهي راغبة في الجهاد كل هذه الرغبة، إلى درجة ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾[التوبة]، **يعني**: فهم في حالة من الخذلان الرهيب، والتبلد الشديد والعجيب **جدًّا**.

فإذًا، مسيرة الإسلام- أيها الأخوة والأخوات- في حركة رسول الله، وعندما هاجر ركَّز عليها بشكل كبير جانبٌ رئيسيٌ فيها، هو التحمل للمسئولية، نحن أمة **يجب** أن نسعى لأن نكون أمةً متحررة، مستقلة، مجاهدة، تتحرك لمواجهة

التحديات والأخطار، تواجه أعداءها ولا تخنع لهم، ولا تستسلم لهم، ولا تقف في حالةٍ من الجمود والعجز والاستسلام حتى يسحقها أعداؤها. إلا، أمة حيَّة، أمة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: من الآية٦٠]، أمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[آل عمران: من الآية١١٠]، الأمة التي رسولها ونبيها هو سيد المجاهدين، هو ذلك الرجل العظيم الذي كان يتحرك بشكلٍ لا مثيل له فيما يتعلق بالنهوض بالمسؤولية، لا مثيل له، ولم يشهد له التاريخ مثيلًا أبدًا، فهذا ما **يجب** أن نعيه **جيدًا**.

إن شاء الله نستمر في المحاضرات القادمة ونتحدث على هذا الأساس...

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المحاضرة الخامسة

٥ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

الأزمات التي تعانيها الأمة

عندما نتأمل في واقع أمتنا الإسلامية، وفي الظروف التي تعيشها شعوب منطقتنا، في المنطقة العربية، وفي سائر العالم الإسلامي، وما تعانيه هذه الشعوب على كل المستويات، من: تحديات، وأخطار، ومشاكل، وأزمات، من انعدامٍ لحالة الأمن والاستقرار، ومشاكل كبيرة على هذا المستوى، وفي هذا الجانب حروب، ونزاعات، وصراعات، وانقسامات، وتباينات...الخ. ثم على المستوى الاقتصادي، والأزمات الاقتصادية خانقة ومؤثرة **جدًّا**، وشاملة، تشمل كل أمتنا، كل شعوب المنطقة، ما هناك- تقريبًا- أي بلد إسلامي إلَّا ويعاني من أزمة اقتصادية، ومشاكل كبيرة على المستوى الاقتصادي.

ثم تأتي إلى بقية المجالات: تجدها كلها في حالةٍ من: المشاكل، والأزمات، والتحديات، والتعقيدات الكبيرة **جدًّا**، بمعنى: أننا نعيش- كأمة مسلمة ومجتمع إسلامي في المنطقة العربية وغيرها- وضعًا غير طبيعي وغير سليم، واقعًا مأزومًا، واقعًا تطغى عليه الكثير من المشاكل الكبيرة والتعقيدات الكثيرة.

ثم نجد في واقعنا، سواءً التحديات التي من خارج بيئتنا وساحتنا، والتي هي عبارة عن مخاطر واستهدافات من قوى وأمم أخرى معادية لنا كأمة مسلمة، أو المشاكل التي نعاني منها من واقع ساحتنا الداخلية، من داخل أبناء أمتنا: فئات، كيانات منتسبة لهذه الأمة، من أبناء الأمة، وباتت تمثِّل إشكالية كبيرة في واقع الأمة من داخل هذا الواقع.

نأتي إلى طبيعة هذه المشاكل، وهي تمس بحياتنا في كل شئون حياتنا، تأتي إلى واقع معيشتنا، إلى واقع أمننا واستقرارنا، إلى واقع حتى غذائنا... هذه المشاكل لا ينبغي أبدًا أن ننظر إليها مجردة عن أسبابها، **يجب** أن نأتي لنعرف ما هي الأسباب، أننا نعيش- كأمة مسلمة ومجتمع مسلم- كل هذه المشاكل، والتحديات، والتعقيدات، وفي كل مجال من المجالات، هل ثمرة إسلامنا الذي ننتمي إليه في مبادئه، وقيمه، وأخلاقه، وتشريعاته... أن ينتج عن التمسك بها، والانطلاقة على أساسها، واقعٌ كهذا، ظروفٌ كهذه، حياةٌ كهذه، مشاكل كهذه؟ أو أنَّ النتيجة المفترضة لهذا الإسلام في مبادئه، وأسسه، وقيمه، وأخلاقه، وتشريعاته، أن نكون على واقعٍ مختلف، بدءًا في ساحتنا الداخلية، وفي واقعنا الداخلي، ثم في أدائنا، وطبيعة حضورنا بين المجتمع البشري، وطبيعة علاقاتنا بسائر الأمم؟

ثمرة مبادئ وأسس الإسلام وخطورة ضياعها

عندما نأتي إلى ما نعانيه حاليًا، نجد أن في ذلك بنفسه شاهدًا واضحًا وجليًا على عظمة تلك المبادئ والمعالم الأساسية والمهمة في الإسلام، التي لمَّا أضاعتها الأمة وصلت إلى ما وصلت إليه، عندما نأتي إلى أول هذه المبادئ، **وهو: التحرر من سيطرة الطاغوت، والاستقلال عن التبعية للمضلين، والطغاة، والمفسدين، والمجرمين...** هذا المبدأ عندما أضاعته الأمة ما هو البديل عنه؟

البديل أن يسيطر الطاغوت، البديل أن تعيش الأمة في كل شئونها حالة التبعية لأعدائها الذين لا يريدون لها الخير أبدًا، والذين عندما يخططون فيما يخططون لها، أو يرسمونه فيما يرسمونه لها، في أي شأنٍ من شئونها: اقتصاديًا، أو سياسيًا، أو في أي مجالٍ من المجالات، يعملون ما يرون فيه مصلحةً لهم وإضرارًا بالأمة، ويساعدهم على استحكام سيطرتهم عليها أكثر، وإضعافها على نحوٍ أكثر.

عندما غاب مبدأ الارتباط بمصادر الهداية والنور، لكي نكون أمةً مستنيرةً، واعيةً، مبصرةً، تنظر إلى الواقع من حولها، وإلى الأحداث من حولها على أساسٍ من نور الله وهديه، وترسم معالم حياتها، ومسارها في هذه الحياة، في كل اتجاه من مجالات الحياة على أساس ذلك الهدى؛ كان البديل هو الضياع، كان البديل هو الأفكار الظلامية الرهيبة **جدًّا**، التي تجعل الأمة في واقعها وكأنها عمياء، لا تهتدي لرشد، لا تعرف الحلول، تتعاظم مشاكلها، وتكثر إشكالاتها مشكلة على مشكلة على مشكلة، تلك المشكلة لم يجدوا لها حلًّا، وتلك الإشكالية لم يجدوا منها مخرجًا... وهكذا تتعاظم المشاكل، وتتكثف الظلمات التي تساعد الآخرين على التضليل

لنا كأمة بشكلٍ أكبر، وعلى الخداع لنا بشكلٍ أيسر... إلى غير ذلك.

عندما ضيعنا كأمة بشكل كبير في واقعنا مبدأ: التركيز على تزكية النفوس على أساس هدى الله، والبرنامج التربوي والأخلاقي في الإسلام، ولم يبقَ منه إلَّا أقل القليل، كانت النتيجة أن تتدنس الكثير من النفوس، وأن يكون لديها قابلية كبيرة **جدًّا** للانحراف بكل أشكال الانحراف: الانحراف الأخلاقي، الانحراف في الطغيان والإجرام والإفساد... كل أشكال الانحراف.

عندما فقدنا- أيضًا- مبدأً آخر من المبادئ الرئيسية جدًّا، وهو: مسؤوليتنا كأمة في إقامة العدل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصلاح واقعنا الداخلي، وبناؤه على أساس تلك المبادئ، والقيم، والأخلاق، والتشريعات، ماذا كانت النتيجة؟ أضعنا مبدأ العدل؛ حلَّ بديلًا عنه الظلم، مَنْ الذي يعاني من الظلم؟ أولسنا نحن كأمة إسلامية، كمجتمع مسلم، كمجتمعات عربية نعيش واقعًا من المظلومية والظلمات لا نظير له في أي بقعةٍ من بقاع هذا العالم؟! النتيجة نعاني في واقع حياتنا، المسألة بالنسبة لتلك المبادئ، ليست فقط مجرد مبادئ دينية التمسك بها يترتب عليه- **مثلًا**- أجر وثواب للآخرة، هذا يحصل تلقائيًا، الثواب والأجر في الآخرة يحصل تلقائيًا من التمسك بتلك المبادئ، لكن هناك ثمرة عاجلة لها، وضرورية لها، وهادفة منها في هذه الحياة، ثمرتها لو أخذنا بتلك المبادئ، لو استمر المسار: مسار الأمة الإسلامية على مثل ما تحرك به رسول الله ﷺ بتلك المعالم الرئيسية، لو استمر ذلك المسار؛ لكان واقع الأمة مستمرًا بشكلٍ تصاعدي، بشكل ارتقاء، بشكلٍ يتعاظم ويتطور ويرتقي أكثر فأكثر، وأفضل فأفضل، وأحسن فأحسن، ولَمَا كان

مسار الأمة من بعد وفاة الرسول ﷺ وعبر الزمن يتجه نحو الانحدار، نحو الانحدار، نحو الانحدار، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

مظلومية الشعب الفلسطيني.. أسباب المشكلة

عندما تتأمل اليوم في واحدة فقط من مظلوميات هذه الأمة، مظلومية واضحة ومعترف بها بين الجميع، ليست محلَّ إشكال أو جدل في الواقع الداخلي في الساحة الإسلامية، فقط يراد لها من الآن فما بعد أن تتحول إلى مسألة جدل وإشكال، وإلَّا فكانت معترفًا بها في الساحة الإسلامية بكلها، ولدى كل العرب، **مظلومية الشعب الفلسطيني**، على مدى كل هذه العقود من الزمن، أكثر من سبعين عامًا، مظلومية واضحة ومؤلمة وكبيرة، فيها كل أشكال الظلم: القتل والاستباحة لحياة الناس، القتل اليومي، الذي لا يكاد يمر يومٌ من الأيام إلَّا ويتكرر، جريمة ومأساة متكررة، ومشهد واضح أمام جميع العرب، وأمام جميع المسلمين، الاستباحة للأرض، اغتصاب الأرض، ومصادرة الأراضي والمزارع والمساكن، واقتلاع المزارع، اقتلاع شجرة الزيتون، والسيطرة والسطو على ممتلكات الناس وحقوقهم، و**كذلك** الاضطهاد الديني، معاناة حتى في الصلاة، على مستوى المسجد الأقصى، وتهديد لهذا المقدس، وتهديد للمشاعر المقدسة هناك والمعالم المقدسة، المقدسات بشكلٍ عام هناك تهديد مستمر لها، كل أشكال الظلم، وكل أشكال المعاناة قائمة، وتمسّ بالناس هناك في حياتهم وفي كل شئونهم: في شئونهم الدنيوية، وفي شئونهم الدينية، يعاني من مشكلة في أن يتمكن من أداء الصلاة في المسجد الأقصى، ويعاني من مشكلة في أن يصل إلى مزرعته التي هي مهددة: إما بقلع ما فيها من أشجار الزيتون، أو بمصادرتها عليه بشكلٍ تام، مشكلة القتل المستمر والاستباحة للدماء، مشكلة السجن والاعتقال التعسفي

والظالم للرجال وللنساء... كل أشكال الظلم موجودة، واستمرت، ليس فقط عامًا بعد عام، بل على مدى عقود من الزمن: عشر سنوات، ثم عشر سنوات، ثم عشر سنوات... تتفاقم، تتعاظم، تتزايد، يزداد الوضع من واقعٍ إلى ما هو أقسى، المزيد من الأراضي تؤخذ، المزيد من أشجار الزيتون تقلع، المزيد من المزارع يتم السطو عليها والسيطرة عليها، حالات الجرائم: جرائم القتل، جرائم الاغتصاب، جرائم السجن... كل أشكال الظلم تحصل.

عندما نتأمل في هذه المظلومية فحسب، ما بالك الآن كل شعوبنا مظلومة، وتتفاوت مستوى المظلوميات من شعبٍ إلى آخر، هذه مظلومية واحدة، ننظر إلى جانبين لهذه المظلومية:

هناك طرف آخر، طرف هو الذي يباشر هذا الظلم بحق هذا الشعب، هو: (الكيان الإسرائيلي)، كيف نشأ هذا الكيان؟ كيف نمت وترعرعت تلك الغدة السرطانية في وسط هذه الأمة؟ كيف تمكنت أن تصل إلى ما وصلت إليه هي في نفسها، وفي ما تفعله بفئة من أبناء العالم الإسلامي، جزء من الأمة العربية والإسلامية، قطعة من المنطقة الإسلامية، كيف تمكنت من كل ذلك، وبكل بساطة على مدى كل هذه العقود من الزمن؟

لا تنظر إلى هذه المشكلة إلى أنها مشكلة عادية أبدًا، لا يوجد سبب لأن يتمكن ذلك العدو من أن ينمو، ويترعرع، ويبني نفسه، ويصل إلى ما وصل إليه، ويفعل كل ما يفعله من دون أن يكون ذلك بسبب خللٍ في واقع هذه الأمة الإسلامية بنفسها، في واقع هذا المحيط الكبير العربي والإسلامي، الذي شعب فلسطين جزءٌ منه، وأرض فلسطين جزءٌ من جغرافيته، انظر إلى أن هناك مشكلة في هذا الطرف الآخر، كيف بقي كل هذا المحيط الواسع الذي

هو مُشَكَّل من مئات الملايين من الناس، والذي يمتلك من القدرات البشرية والمادية والإمكانات ما بإمكانه لو اتجه برؤية جادة، وتوجه جاد، وبمسؤولية فعلية، وبصدق إرادة، إلى أن يعالج هذه المشكلة في أسرع وقت، وأن ينهي تلك المظلومية في أقرب فرصة، المشكلة ليست طبيعية، المشكلة تدعو إلى التأمل، إلى أن ندرك أنَّ وراء هذا الخلل خلل يعود إلى مبادئ، إلى قيم، إلى منظومة نُسِفت، منظومة من: المبادئ، والأخلاق، والقيم، والتعليمات، نُسِفت وقوِّضت من واقع هذه الأمة، أضاعتها الأمة؛ **فضاعت**، وتحوَّلت إلى أمة لا فاعلية لها في مواجهة التحديات والأخطار الحقيقية والفظيعة والرهيبة، والتي لا يمكن أن نتجاهلها، إن تجاهلناها لم تحل المشكلة، تبقى المشكلة قائمة، بل تتعاظم، وتكبر، وتعظم، وتصل إلى مستويات خطيرة **جدًّا**.

عندما تشاهد كل تلك المآسي على الشعب الفلسطيني، وترى واقع هذا المحيط بكله، المحيط العربي، المحيط الإسلامي المتشكل من أكثر من مليار مسلم، والذي يمتلك من القدرات والإمكانات المادية الهائلة ما يمكنه من مواقف كبيرة **جدًّا**، من حضور عالمي كبير، من التصدي لأخطار كبيرة **جدًّا**، لماذا هذه الأمة الكبيرة في إمكاناتها وقدراتها، والكثيرة في عددها وعديدها، والواسعة في جغرافيتها، لماذا هي ضعيفة إلى هذا الحد الذي عجزت فيه عن التصدي لتلك المشكلة وتلك المظلمة، وحل هذا الإشكال، وتخليص ذلك الشعب، الذي هو جزءٌ منها، جزءٌ من هذه الأمة، مما يعانيه من هذا الظلم على مدى كل هذه العقود من الزمن.

هذه الأمة فيما تعانيه من ضعف في الفاعلية، في الأداء، في الموقف، من انعدام الاحساس بالمسؤولية، من ضعف في الوعي، من اهمال كبير **جدًّا** وصل بها أن هبطت دون مستوى بقية الشعوب والأمم، **يعني**: عندما نتَّجه

بأنظارنا إلى البلدان الأخرى، إلى الشعوب الأخرى، إلى الأمم الأخرى، إلى الصين **مثلًا**، أو ليست الصين تسعى اليوم إلى أن تكون في قدرتها، في استقلالها، في قوتها، في حريتها، في إمكاناتها، في حضورها العالمي... منافسًا وندًّا لأمريكا، أو ليست تسعى لذلك؟ بلى، تسعى. وهل واقع الصين- **مثلًا**- كأمة، وكمجتمع، وكدولة في مسار حياتها، فيما هي عليه من: تعزز، واستقرار، وتمكّن، واقتدار، ونهضة، يمكن أن نساوي بينه وبين الواقع العربي، الذي يتجه إلى الأسوأ في مشاكله وتعقيدات وضعه؟!

إذا جئنا لنتأمل- مثلًا- الواقع الروسي، لماذا العرب- **مثلًا**- ليس لديهم مسار كهذا، أن يتجهوا ليكونوا أمة موحَّدة، أمة مقتدرة، أمة قوية، أمة عزيزة، أمة ذات مَنَعَة، أمة في مستوى مواجهة التحديات والأخطار، أمة تتصدى للسيطرة الأمريكية، والهيمنة الأمريكية، والطغيان الأمريكي؟ بل أكثر بلدان المنطقة العربية يتجهون اتجاهًا مختلفًا كليًا: الإذعان، الخضوع، الاستسلام لأمريكا، إعطاء أمريكا كلما تريده... الخ. هذا الواقع ليس واقعًا طبيعيًا أبدًا.

عندما ترى أشجار الزيتون تقلع في فلسطين، عندما ترى الأراضي تؤخذ وتغتصب، عندما ترى القتل اليومي لذلك الشعب المستضعف المظلوم، عندما ترى المقدسات مهددة، وتقتحم يوميًا، وعلى رأسها المسجد الأقصى الشريف، عندما ترى كل أشكال الظلم هناك، اعرف أنَّ السبب في واقع هذه الأمة التي تنظر إلى تلك الأحداث- ومع الوقت- إلى أنها أحداث روتينية، والكثير يتعامل معها ببرودة، وينظر إليها نظرة الاستبساط واللامبالاة والتجاهل، اعرف أن هناك مشكلة، هذه المشكلة تعود إلى بُعدِ هذه الأمة عن مبادئ وقيم ومعالم أساسية، حينما أضاعتها ضاعت، وحينما فرَّطت فيها وصلت إلى ما وصلت إليه من المشاكل التي هي كثيرة **جدًّا**، وتعقيدات كثيرة، وخلل، وعندما ترى

التعافي يدبُّ في جسد هذه الأمة، وترى كيانات نهضت، هذه الكيانات التي تنهض في وسط هذه الأمة؛ إنما نهضتها هذه بقدر ما عادت إليه من تلك المبادئ والمعالم الرئيسية، ومن يعود من أبناء الأمة إلى تلك المعالم الرئيسية- فعلًا- سيرى واقعه يبدأ بالتغير: في طبيعة التوجه، في طبيعة الموقف، في طبيعة المسار الذي يتحرك على أساسه.

كيف غابت تلك المعالم والقيم من أوساط الأمة؟

طبعًا، إذا جئنا لنقول: كيف غابت تلك المعالم والقيم من أوساط هذه الأمة، ما هو السبب، هل لأن حضورها- **مثلًا**- في القرآن الكريم، الذي هو المنهج الأساس المفترض لهذه الأمة، كان حضورًا ضعيفًا، بسيطًا، **مثلًا**: مجرد إشارات في نصوص قرآنية، تُلمِّح من بعيد إلى أهمية الجهاد، إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أهمية العمل لإقامة الحق والعدل والقسط في هذه الحياة، إلى ضرورة أن تكون هذه الأمة أمة موحدة ومعتصمة بحبل الله، وأن تترك التنازع والاختلاف فيما بينها، وأن وأن... الخ. هل إعطاء مسألة الوعي، والبصيرة، والفهم، الصحيح، والحكمة، والرشد، والنضج الفكري، هل هي مسألة ها مشية في القرآن الكريم، وقليل من الآيات تشير من بعيد البعيد إليها، أم أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم **كذلك** لم يركِّز على هذه المسائل والأمور، ولم تكن بارزة في سياساته، في أعماله، في مساره العملي، في حركته؟ الأمر ليس **كذلك**.

العودة إلى القرآن- كما قلنا- يرى الإنسان في القرآن الكريم حضورًا كبيرًا، ومساحة كبيرة **جدًّا** تركِّز على جانب المسؤولية، على المبادئ الرئيسية، على المعالم الأساسية، وتعطيها أهمية كبيرة **جدًّا**، وأهمية

قصوى، كثير من الآيات القرآنية، وبأكثر من أي مواضيع أخرى.

عندما تعود إلى الرسول ﷺ ترى أنَّ الرسول ﷺ كان أكثر اهتمامًا عمليًا وفعليًا وقوليًا، وفي نشاطه وحركته بتلك المسائل أكثر من أي مسائل أخرى، وأنها بارزة **جدًّا** وواضحة **جدًّا** فيما وثَّقه القرآن الكريم بشكل توجيهات أتت إلى الرسول، أو فيما تحدث به عن الرسول، أو فيما نقلته السِّير ونُقِل لنا عبر التاريخ، كل ذلك يظهر فيه رسول الله ﷺ أنه عمل بشكلٍ أساس على أن يبني الواقع الإسلامي تحت قيادته، وتحت رايته، ليكون واقعًا مستقلًا وحرًا، ومبنيًا على تلك المبادئ والأسس العظيمة والمهمة، كان يبذل كل جهده لأن تكون الأمة- تحت قيادته- أمة متحررة كليًا، ومستقلة بشكلٍ خالصٍ وتام عن أي تأثيرات وارتباطات بالأمم الأخرى والاتجاهات الأخرى، فلم يكن لليهود أي تأثير لا في رسول الله، ولا في حركته، ولم يكن يقبل، وكان يحارب أي تأثير يصل إلى أطراف هنا أو هناك في الساحة الإسلامية، ثم **كذلك** بقية الفئات والجهات؛ فكان الإسلام- تحت راية الرسول- إسلامًا مستقلًا، الأمة فيه تخضع وتتجه بناءً على معالم هذه الدين وأسس هذا الدين بشكلٍ مستقل، طبعًا كانت تبرز بعض الظواهر السلبية من هنا أو هناك في داخل المجتمع الإسلامي، لكنها ظواهر سلبية تبقى محسوبة على تلك الجهات: فئة المنافقين، فئة الذين في قلوبهم مرض، فئة ضعيفي الإيمان، ناقصي الوعي، وكان النبي ﷺ يحارب تلك الظواهر، ويسعى لاحتوائها، ويعمل على معالجتها، ويسعى للحد من تأثيرها في الساحة الإسلامية، والنصوص القرآنية الكثيرة **جدًّا** تأتي- **كذلك**- وتتجه بالنقد، وتتجه- أيضًا- بالموقف تجاه هذه الظاهرة أو تلك، هنا أو هناك.

فمثلًا: عندما عمل الرسول ﷺ أن يتحرك بالأمة لتجاهد، كان هناك من يعترض على ذلك، كان هناك من يسعى إلى تقويض هذه المساعي والجهود لتحريك الأمة، لتكون أمة قوية ذات مَنَعَة، تتصدى لأعدائها، تواجه الأخطار والتحديات، ومن يسعى إلى تثبيط الناس، وإلى توهين عزائمهم، وإلى الإرجاف عليهم، وإلى السعي لمنعهم عن التحرك، من الذي كان يسعى هذا السعي، من الذي كان يتحرك هذا التحرك؟ فئة سمَّاها القرآن الكريم بالمنافقين، الذين كانوا يطلقون كل عبارات التثبيط والإرجاف؛ بغية تثبيط المجتمع عن التحرك للجهاد في سبيل الله. عندما يعمل الرسول على إقامة العدل وإقامة الحق في أوساط الأمة، كان البعض من هنا، أو البعض من هناك يعترض، يشكك، حتى الإساءة إلى الرسول كانت تحصل من البعض، بحسب ما ورد في سورة التوبة، حتى إطلاق الشائعات والدعايات من شخصيات وأطراف وفئات تنتسب للإسلام، تنتسب، تقول: [أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله]، أبرز هذه الفئة هي فئة المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١﴾[المنافقون]، فئة المنافقين، فئة الذين في قلوبهم مرض، فئات أخرى كان يحصل عندها نقص وعي، ضعف إيمان، قصور في جوانب معينة؛ فتتراجع عن مواقف، تتأثر بمواقف، تتأثر بشائعات، فالظواهر السلبية كانت تحصل وتحدث، والاعتراضات والانتقادات والشائعات والدعايات كانت تحصل في داخل المجتمع الإسلامي، لكن تُعَبِّر عن مَنْ؟ عن منهج الإسلام؟ إلا. عن الرسول؟ إلا. عن القرآن؟ إلا. والرسول كان يتحرك بالقرآن لاحتواء تلك الظواهر، والتصدي لها، والعمل على الحد من تأثيرها في الساحة الإسلامية وفي المجتمع المسلم، إلى درجة أنَّ الله أمره بمحاربتها، وإلى درجة أن يصل في مرحلة

من المراحل إلى مواقف حاسمة **جدًّا**، من مثل قول الله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب]، إلى هذه الدرجة وصلت الأمور في العمل على الحد من تأثير تلك الفئات، وخلخلتها للساحة الإسلامية من الداخل، وصلت إلى هذا الحد من المباينة الشديدة، إلى درجة أن الله قال للنبي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: من الآية٧٣]، يأتي الحديث عن الجهاد ضد المنافقين إلى جانب الحديث عن الجهاد ضد الكفار، ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

وهكذا نجد أنَّ الظواهر السلبية التي سعت إلى التأثير على الأمة في استقلالها وحريتها، وإلى زرع ولاءات في داخل الأمة لأعدائها، وخلخلة استقامة الأمة في الولاء، في الموقف، في الاتجاه، في المشروع العملي، في برنامج الحياة... الخلخلة في كل هذه الأشياء كانت في العصر الأول في عهد الإسلام، في الصدر الأول للإسلام، في عصر رسول الله ﷺ بشكل ظواهر سلبية تتبناها فئات محددة، مسمية بمسميات قرآنية، أمَّا الرسول فكان يواجهها، ويتصدى لها، ويتغلب عليها، يتغلب عليها فيواصل برنامجه في الحياة، واصل المسار الجهادي، لم تتمكن من تعطيل هذا المسار، واصل العمل على بناء قواعد الإسلام؛ ليسود هو في شرعه، وفي نهجه، وفي سياسته، وفي أخلاقه، وفي قيمه، ويهيمن في الساحة، ويسيطر في الساحة، ونجح في ذلك نجاحًا عظيمًا.

الانحراف الكبير الذي صنعه بنو أمية

فما الذي حصل في واقع الأمة حتى حصل هذا التدهور الذي وصل بنا إلى مستوى أن مئات الملايين من أبناء الأمة اليوم غابت عنهم هذه المبادئ، ليس عندهم مشكلة لا من تبعية، ولا من سيطرة طاغوت، ولا من ولاء لليهود والنصارى، ولا من خنوع للطغاة والمجرمين، وباتت أزمة الوعي تمثِّل أزمة كبيرة **جدًّا** في واقع الأمة، والأفكار الظلامية تطغى على أذهان الكثير من الناس، وعلى تفكير الكثير من الناس، وو...الخ. وبات الظلم والمعاناة يطغى على واقع الأمة، ما الذي حصل؟ هناك انحراف كبير حصل، ليس ما يحدث اليوم هو وليد هذا العصر، أننا فجأة استيقظنا في هذا الجيل، فوجدنا أنفسنا- في يومٍ من الأيام- وقد تغيَّر كل شيء، كان هناك عدل قائم في واقع الأمة، في كل واقع الأمة، وبسرعة، مجرد أن استفاقت الأمة- في يوم من الأيام- من نومها فإذا هي تغرق في كل هذا الظلام والظلمات، والمعاناة والمظلومية، إلا.

هناك مشكلة متقادمة، يمكننا القول: أنَّه منذ أن وصل بنو أميَّة إلى السيطرة على مقاليد الحكم في الأمة، وتولوا هم إدارة شئون هذه الأمة، فإنَّما حدث نتيجة ذلك كان كارثة في حق هذه الأمة، كان مصيبة كبرى، وأسس لتحول سلبي **جدًّا** في مسار الأمة، استمر في سلبيته، وتعاقب في سلبيته جيلًا بعد جيل، إلى أن وصل إلى عصرنا هذا فيما هو عليه.

لم تكن مسألة بسيطة ولا سهلة، عندما وصل بنو أمية إلى السلطة، وتحكَّموا بشؤون هذه الأمة، وتولوا إدارة شؤون هذه الأمة، معنى ذلك: أنهم أسَّسوا لمسار جديد يُفرِّغ الإسلام من مضمونه الجوهري والمهم والعظيم والمثمر في واقع هذه الحياة، ويحوِّل الإسلام إلى حالة شكلية، وطقوس يتمكنون من

استغلالها، وتتأقلم ليتواجد معها كل شيء: صلاة، لكن يتواجد مع هذه الصلاة فحشاء، ومنكر، وظلم، وطغيان، وإجرام... صيام، ولكن لا يثمر ثمرته بالتقوى، ويوجد مع هذا الصيام كل أشكال الفجور في واقع الأمة، وهكذا إسلام يقبل بالظلم، ويجعل طاعة الطغاة والظلمة والجائرين جزءًا من تشريعاته وتعليماته، وهذا زورٌ على الإسلام، وليس بحقيقة على هذا الإسلام، لكن عملية تزوير، عملية تزييف، عملية تجوير، عملية وصفها الرسول ﷺ- بما ذكرناه من كلامه كثيرًا في كثيرٍ من المناسبات- أنَّهم عندما يتمكنون ماذا سيفعلون بهذه الأمة؟ **(اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ دَغَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَمَالَهُ دُوَلًا)**، هذه الكارثة في الاتجاهات الثلاثة، بدءًا بالدين نفسه؛ لفصل الأمة عن كل المفاهيم المهمة، المصلحة في واقع الحياة، التي تشكِّل عائقًا وحائلًا بين الطغاة وبين سيطرتهم على هذه الأمة، وبين تقبل هيمنتهم واستغلالهم وسيطرتهم على هذه الأمة.

ولذلك نحن سنسير- إن شاء الله- في حديثنا خلال هذه الأيام، بعد أن نعود- **أيضاً**- إلى مسار الرسول ﷺ ضمن المعالم الرئيسية للإسلام، وما ورد عنها في القرآن الكريم، ثم نتحدث بالتالي فيما يصل بنا إلى الحديث عن ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عن نهضته وجهاده وما عاناه، وعن تضحيته، وعن أسباب ما حدث في عاشوراء.

استنهاض القرآن والرسول للأمة

نعود الآن إلى ما قلناه في حركة الرسول ﷺ فيما كان بارزًا وواضحًا وظاهرًا وبينًا فيما يتعلق بتلك المعالم الأساسية، ومنها ما يتعلق بالمسؤولية، بالجهاد، عندما نرى أنفسنا اليوم والكثير منا يعيش في واقعه حالة التنصل التام عن المسؤولية، وكأننا أمة لسنا معنيين بشيء، وليس علينا أي مسؤولية

تجاه ما نعانيه في واقعنا من ظلم، ومن معاناة، ومن استهداف، وما نواجهه من تحديات وأخطار، وما تعانيه الأمة هنا أو هناك، الكثير من أبناء الأمة الإسلامية يعتبر نفسه غير معنيٍ بشيء، فئة واسعة من أبناء الأمة تنظر هذه النظرة السلبية والخاطئة.

حينما نعود- كما قلنا بالأمس- إلى سورة واحدة من سور القرآن الكريم، هي سورة التوبة، كيف هو الاستنفار للمسلمين في مواجهة التحديات والأخطار؟ الرسول واجه الروم كخطر يهدد الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وتحرَّك، وأتت الكثير من الآيات لاستنهاض المسلمين، اليوم يواجه المسلمين ما هو أخطر من الروم في ذلك الزمن: (الخطر الامريكي، الخطر الصهيوني) بنفسه، وبما معه من أذرع، وأيادٍ إجرامية، وعملاء يتحركون معه من أبناء الأمة.

في مواجهة هذا الخطر، هل من الصحيح أن نتجه إلى السكوت، والجمود، والاستسلام، والخنوع، والتجاهل لهذا الخطر، أم أنَّ القرآن الكريم يربينا كمسلمين على أن نحمل الشعور بالمسؤولية، وأن نستشعر المسؤولية على نحوٍ عظيم، على نحوٍ لا مثيل له أبداً؟ لو اتجهنا إلى القرآن الكريم هذا الاتجاه الإيجابي: بالتفهم، والتأمل، والتقبل، والاهتداء بآيات الله، والحذر من الإعراض عن القرآن الكريم ونصوصه؛ **لاتجهنا** في هذه الحياة بكل جدية، ولكنا فعَّالين، ومهتمين، ونشطين، ومتحركين في تحمل المسؤولية، وفي التصدي لكل هذه الأخطار، ولما كانت ظاهرة الجمود هي الظاهرة الغالبة، والمسيطرة والمتحكمة بكثير من أبناء الأمة.

الله ﷻ حينما قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [التوبة]، هذه التربية في النص القرآني، هذ الاستنهاض يُحيي فينا روح المسؤولية، والاستشعار للمسؤولية، والتربية على التحمل للمسؤولية؛ فننظر إلى أهمية المسؤولية فوق كل أهمية، فوق أهمية حتى الحفاظ على هذه الحياة، حتى الحرص على أن تبقى سليمًا، بعيدًا عن الأخطار، ألَّا تدفع ثمن تحمل المسؤولية، حتى لو كان الشهادة في سبيل الله، إنك تنظر إلى أنَّ قيمة المسؤولية وأهمية المسؤولية حتى فوق قيمة وجودك في هذه الحياة، وأنَّ وجودك في هذه الحياة، وسلامتك من احتمال القتل، أو الجرح، أو الضرر نتيجة تحملك للمسؤولية، أنَّ هذا الوجود الذي عطَّلت فيه جانب المسؤولية لا قيمة له أبدًا، لا قيمة له نهائيًا؛ لأنه سيتحول إلى وجود ذلة، استسلام، استباحة للعدو، وقد تخسر- في نهاية المطاف- حياتك، وتخسر كل شيء، ومن دون مقابل، من دون أثر، من دون فائدة، من دون أي نتيجة، والنتيجة هي أن تخسر- أيضًا- مستقبلك في الآخرة، إذا اتجهت لتعطيل المسؤولية، وتنصلت عن هذه المسؤولية، وفررت منها، وتهرَّبت منها بهدف الحفاظ على وجودك في هذه الحياة؛ **لأنك** تخشى الشهادة، حينها أنت تخسر مستقبلك الأبدي، حياتك السعيدة للدائم والأبد، أنت تخسر آخرتك، أنت بهدف الحفاظ على هذه الحياة الدنيا تخسر آخرتك، والإنسان المؤمن يُرَبَّى في القرآن أن يعطي أهمية- قبل كل شيء- لحساب مستقبله الدائم عند الله سبحانه وتعالى.

ثم أنت مهدد بالوعيد الإلهي، ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وهذا العذاب في الدنيا قبل الآخرة، وما تخشاه من الناس فعطَّلت به مسؤوليتك، وعصيت الله؛ أنت تعرِّض نفسك لما هو أخطر منه، وهو عذاب الله سبحانه وتعالى إذا

كنت تخشى عذاب الناس، إذا كنت تخشى ما يحدث من جانبهم، من ضُرِّهم، من شرِّهم، فتتنصل عن المسؤولية، وتعصي الله ﷻ وتخالف توجيهه، وترمي بتوجيهه عرض الحائط، وتتجاهل أوامره من أجل أولئك الطواغيت والمجرمين؛ فأنت هنا تسبب لنفسك سخط الله، وعذاب الله، وهو يتوعدك بالعذاب، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: من الآية١٣]، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

علاقة الأمة المؤمنة بالجهاد في سبيل الله

عندما نأتي إلى نصٍ آخر في القرآن الكريم، وهو يربينا على أن نكون في وعينا وإدراكنا لقيمة التحمل للمسؤولية، وما له من نتائج وآثار مهمة وعظيمة في الدنيا والآخرة، إلى درجة أن نحب هذه المسؤولية، أن نتعلَّق بها، أن نتجه فيها بكل رغبة، بكل انشداد نفسي ووجداني، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة]، هذه الآية تتضمن موضوعًا مهمًا **جدًّا**، هي تدُّلنا، تعرفنا، تبين لنا، كيف **يجب** أن نصل في مستوى وعينا بأهمية القيام بالمسؤولية، والنهوض بالمسؤولية، هذه المسؤولية بحساب أنها تقربنا من الله، وهذا موضوع مهم عند كل إنسان مؤمن، كل إنسان مؤمن يهمه كل عمل يحظى من خلاله بمرضاة الله، يقربه إلى الله ﷻ أضف إلى ذلك أنَّ لها أهمية كبيرة في واقع الحياة، الأمة إذا كانت أمة متحرك، تواجه الأخطار والتحديات، تتحمل المسؤولية وتجاهد، والجهاد في سبيل الله ليس عملًا

عدوانيًا إجراميًا على نحو ما عليه القوى التكفيرية. |الا، هو عمل تتحرك به الأمة لتدافع به عن نفسها، عن مبادئها، عن كرامتها، عن حريتها، عن استقلالها، عن أرضها، عن عرضها، هو التحرك الذي تتحرك به لتواجه التحديات والاخطار الآتية- **أصلًا**- من قوى الشر، من قوى الإجرام، من قوى الطاغوت، من قوى الطغيان، التي تبتدأ هي بعدوانها، وتتجه إلى الناس- ابتداءً- بشرها، تتجه الأمة حتى تتمكن من أن تحوط نفسها، وتحافظ على عزتها واستقلالها وكرامتها، وتدفع عن نفسها ذلك الخطر؛ تنطلق بهذه الفريضة، بهذه المسؤولية: بآدابها، بمبادئها، بقيمها، بأخلاقها، بتشريعات الله فيها، هذا هو الجهاد في سبيل الله، ليس معناه: دفاع عن الله ﷻ .|الا، الله غنيٌ عن العالمين، وغنيٌ عن عباده، بإمكانه أن يسلب أولئك حياتهم، كل قوى الطاغوت والإجرام، كل المجرمين، والمضلين، والفاسدين... كل قوى الإجرام يمكن أن يسلب منها حياتها في طرفة عين، يمكن أن يسلط عليها جراثيم لا ترى بالعين المجردة؛ فتفتك بها وتقضي عليها، يمكن أن يفعل بهم أيَّ شيء، نحن من نستفيد من الجهاد، الذي يمثِّل وسيلة دفع لتلك الأخطار، للشر من قوى الشر...الخ.

فإذًا، نحن عندما نعود إلى النص القرآني: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، كل من تربطنا بهم أواصر القرابة، هذه الأواصر والروابط الإنسانية، وهم أغلى الناس عندنا، والأحب إلى قلوبنا وأنفسنا، ثم بقية الإمكانات المادية، أهم ما ترتبط به في هذه الحياة في محيطك بكله: أقرباؤك، مالك، منزلك... كل هذه لا ينبغي أن تكون أحب إليك من الله؛ وبالتالي في الاستجابة لله، أنت تستجيب لله ﷻ وتجعل استجابتك لله فوق كل اعتبارٍ آخر، ولا أحب إليك من رسوله، ولا أحب إليك من الجهاد في سبيله.

أمة يفترض فيها بتربية القرآن أن يكون الجهاد في سبيل الله أحب إليها (أحب: تتحول إلى علاقة محبة)، كيف تتحول إلى علاقة محبة تفوق الحب لأي شيءٍ آخر في هذه الحياة؟ عند إدراك قيمة المسؤولية، أهمية المسؤولية، ثمرة المسؤولية، في علاقتنا بالله ﷻ وفي القرب من الله، وفي المنزلة عند الله، والأثر في واقع هذه الحياة، هذه المسؤولية التي إن عُطِّلت نتج عن تعطليها أن تمتلئ حياتنا بالظلم، والهوان، والذل، والقهر، والمسكنة، وأن تتحول حياتنا هذه إلى جحيم، أن تتحول بيئة مفتوحة لتلعبات وإجرام قوى الطغيان والإجرام والظلمة والمفسدين.

إدراك قيمة هذه المسؤولية فيما يترتب عليها من نتائج في الدنيا، وفيما لها من نتائج في الآخرة أيضًا، ما نكسبه في آخرتنا، فيما وعدنا الله به: من رضوانه، من الفوز بالقرب منه، من الكرامة عنده والزلفى لديه، من الجنة التي عرضها السماوات والأرض، بل حتى ما وعد به الشهداء أن يمنحهم حياةً سعيدةً بالعاجل، حتى قبل يوم القيامة، إلى حين قيام الساعة...وهكذا.

يفترض في واقعنا هذا الذي نعيشه، أنَّ الله فيما تحدث به، وهو حديث واسع في كتابه الكريم، يحبب إلينا القيام بهذه المسؤولية؛ فنتجه فيها برغبة، ندرك جدوائيتها، أهميتها، الحاجة الملحة والماسة إليها؛ فنتعلق بها هذا التعلق، فتكون أحب إلينا حتى من الآباء، والأبناء، والإخوة، والزوجة، والعشيرة، والمسكن، والتجارة...إلخ.

هناك نص- أيضًا- في القرآن الكريم يبين لنا كيف **يجب** أن نكون في واقعنا كأمة تدرك أن عليها مسؤولية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندما يقول الله ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة]، **(الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)**: بينهم هذه الرابطة التي يتحركون فيها كأمة واحدة، متآلفة، متعاونة، تتحرك للنهوض بهذه المسؤولية **(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)**، ولا يتحولون هم إلى ساحة مفتوحة أمام قوى الشر والمنكر والطغيان، لتفعل في ساحتهم ما تشاء وتريد، مسؤولية أساسية، تعطيل هذه المسؤولية يحوِّل الساحة إلى ساحة مليئة بالمنكرات، والمنكرات ما هي، هل هي أشياء عادية، أشياء طبيعية، أم هي كوارث ونكبات، أم هي ذات أثر سلبي **جدًّا** في واقع الحياة: في تفكيك المجتمع، في الفتك به، في إلحاق أبلغ الضرر به في اقتصاده، في أمنه، في استقراره؟ المنكرات منها ما نفقد بسببه أمننا، منها ما يفكك مجتمعاتنا، منها ما يؤثر على اقتصادنا، كل المنكرات هي تمس بالناس في حياتهم، ليست مسألة فقط تؤثر علينا لعالم الآخرة، تسبب لنا آثامًا هناك في الآخرة، هذا يحصل، ولكن لها آثار وأضرار تتجه إلى واقع الحياة في جانب الأمن والاستقرار، في الجانب الاقتصادي، في الاستقرار الاجتماعي، الاستقرار السياسي، الاستقرار في كل شؤون وواقع الحياة.

فإذًا، يمكننا أن ندرك أنَّه حصل انحراف كبير في واقع الأمة، عطَّل في هذا الواقع المعالم الأساسية والمبادئ الرئيسية التي تصلح واقع الحياة وتحمي الأمة: تحمي الأمة من الظلم، تحمي الأمة من الطغيان، تحتوي كل الظواهر السلبية، وتقلص منها، وتحد من أن تكون هي الحالات المسيطرة في الواقع العام؛ لأنه للأسف بدلًا من أن تكون في عصر النبي صلى الله عليه وآله مجرد ظواهر تظهر هنا أو هناك في الساحة، ثم تحارب وتحتوى، ويتم السيطرة عليها، ولا تصل إلى درجة التعطيل لمسيرة الأمة، في نهاية المطاف ومنذ أن حكم بنو

أميَّة، وتحكَّموا بالأمة؛ تمكَّنوا من العمل على حذف وشطب تلك المعالم من الساحة الإسلامية، وبرزت تلك السلبيات البديلة، تلك البدائل عن تلك المعالم، بدائل ظلامية، بدائل خطيرة **جدًّا**، لتتحول هي إلى حالة مسيطرة في الساحة الإسلامية، وحاكمة في الساحة الإسلامية، ومتحكمة بالساحة الإسلامية، ومؤثرة على المجتمع المسلم؛ فأوصلته إلى ما وصل إليه.

وطبعًا، في مسيرة الأمة بكلها بقي هناك خط يمثِّل الامتداد الأصيل للمنهج الإلهي، لحركة الرسول صلى الله عليه وآله **متمثلًا** بالإمام علي عليه السلام **متمثلًا** بالإمام الحسن عليه السلام **متمثلًا** بالإمام الحسين عليه السلام **متمثلًا** بأهل البيت والصالحين من أبناء هذه الأمة عبر التاريخ، لكنه كان مسارًا محاربًا، حفظ للحق وجوده، وحفظ للحق امتداده في الأمة جيلًا بعد جيل، ولكن الطرف الآخر سيطر من موقع السلطة، من موقع القرار في الأمة، من موقع السيطرة على هذه الأمة في مواردها وإمكاناتها؛ فكان له نتائج سلبية **جدًّا** لها أبلغ الضرر، ولها الأثر السلبي **جدًّا** في واقع الأمة، هو الذي نراه اليوم فيما نراه من مظلومية كبيرة على شعوبنا المظلومة، ومعاناة بكل أشكال المعاناة؛ فندرك أن تحركنا لإحياء تلك المعالم البارزة والأساسية في حركة الرسول والقرآن، وفي امتدادها الأصيل المعبِّر عنها في أخيار هذه الأمة عبر التاريخ، هو تحركٌ ضروريٌ لنواجه ما نواجهه وما نعاني منه من أخطار وتحديات تمس بحياتنا وواقعنا وشؤوننا بشكلٍ مباشر: في الوضع الاقتصادي، في الوضع الأمني، في الوضع السياسي، في الواقع الاجتماعي، في كل مجالات الحياة.

نكتفي بهذا القدر...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا، وأن يعيننا على طاعته، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

المحاضرة السادسة

٦ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

موقع المسؤولية في الإسلام

نستمر في حديثنا عن جانب المسؤولية، في موقعها المهم ضمن المعالم الرئيسية، والمبادئ الأساسية في دين الله ﷻ التي هي بارزة وحاضرة بشكل كبير **جدًّا** في القرآن الكريم، وفي حركة الرسول -صلى الله وسلم عليه وعلى آله- في مسيرته الرسالية، وحركته بالرسالة الإلهية، وإقامته للدين الإسلامي، **وكذلك** هذا الجانب المهم **جدًّا** من تلك المعالم، وأهميته الكبرى المتصلة بواقع الأمة في صلاحه إن أقيمت كما ينبغي، أو فساده ودخول سلبيات كبيرة **جدًّا** في هذا الواقع إن عُطِّلت هذه المسألة، وإن هُمِّشت هذه المسؤولية.

وعندما نتحدث عن المسؤولية نعني بها في جوانبها بكلها: المسؤولية في إحقاق الحق وإقامة العدل، المسؤولية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

المسؤولية في الجهاد في سبيل الله ﷻ ومواجهة أعداء الله وأعداء الأمة، أعداء البشرية بكل ما يمثِّلونه من خطورة على الأمة...الخ.

هذه المسؤولية- كما قلنا- حاضرة في النص القرآني، وموقعها في الدين الإسلامي موقعٌ أساسيٌ، فتجاهلها من البعض لا يجديهم شيئًا، ولا ينفعهم بشيء أبدًا، من يحاول أن يتهرب من هذه المسألة بكلها، ويحاول أن يشطبها من اهتماماته الدينية والتزاماته الدينية، هو يدخل نفسه هو في مشكلة كبيرة **جدًّا**، عندما نرى الوعيد بالعذاب والعقاب لمن يفعل هكذا، لمن يعمل على شطب جانب المسؤولية، ويتحوَّل إلى اتجاهٍ آخر يتعامل مع الإسلام من جهة واحدة فقط: الجهة التربوية والأخلاقية، أو الجهة الروحية في طقوس عبادية فصلها عن جانب المسؤولية، والجوانب العملية، والالتزامات المهمة.

المسؤولية معيار لصدق الانتماء الإيماني

إنَّ الموقع الذي تحتله المسؤولية- كما قلنا- في مجالاتها المتعددة: في إقامة العدل، وإحقاق الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله ﷻ والمصداقية في الولاء، وعدم الانحراف في الولاء، هذه المسألة موقعها في الدين الإسلامي لدرجة أنَّ الله جعلها معيارًا لمصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، لهذا المستوى من الأهمية.

ولذلك، عندما نتجه إلى النصوص القرآنية، والآيات المباركة، وما يقوله الله فيها؛ ندرك خطورة التفريط في هذا الجانب، ومساوئه، وما يترتب عليه، الله ﷻ أكَّد في القرآن الكريم في آيات كثيرة على هذه النقطة: على أنَّ النهوض بهذه المسؤولية، أو التفريط فيها إنَّما يعتبر شاهدًا ومجليًا وموضحًا وكاشفًا لحقيقة مصداقية الإنسان، فالذي يحدد مصداقيتك مع الله ﷻ هو ما أنت عليه في

مدى تحملك لهذه المسؤولية، والتزامك بها، وتفاعلك معها.

نجد أنَّ الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[آل عمران: من الآية١٧٩].

في حالة الانتماء للإيمان، المجتمع الإسلامي بمعظمه ينتمي إلى الإيمان، والكل يأتي ليقول عن نفسه: [أنَّه من المؤمنين، وأنَّه مؤمن بالله واليوم الآخر، وما أمر الله بالإيمان به]، والبعض حتى قد يأتي مدعيًا اختصاصه بذلك، وأنَّه المؤمن حقًا، الله ﷻ جعل في سنته وطريقته مع عباده أن يجلِّي واقعهم، ويبين حقيقتهم في ما هم عليه من خلال هذه السنة الإلهية، وهي سنَّة الاختبار الكاشف، الذي يجلِّي حقيقة ما كل إنسان عليه، وما ينتمي إليه، وما هو في واقعه وداخله.

هناك كثير من الأعمال يمكن لكثير من الناس أن يقوم بها، لا تحتاج إلى إيمان كبير، لا تحتاج إلى قيم راسخة، لا تحتاج إلى دافع كبير حتى يتمكن الإنسان من القيام بها، وبالذات عندما يكون الواقع العام في مجتمعٍ معين، كالمجتمع الإسلامي، يتعود الإنسان فيه منذ نشأته، منذ طفولته المبكرة على أشياء عبادية معينة، وتتحول إلى روتين اعتيادي في حياته، ولا تمثِّل- حينها- أي مشكلة عليه، بل قد يدخل في مشكلة فيما لو أخلَّ بها، **مثلًا:** في مجتمعنا الإسلامي كم نسبة المصلين؟ نسبة عالية **جدًّا،** هذا أمر جيد، والصلاة خير العمل، والمطلوب الاهتمام بها، ولكن الخطأ إذا فُصِلت عن جانب المسؤولية، أو إذا أصبحت عملًا روتينيًا اعتياديًا لا يحاول الإنسان أن ينتفع منه، أن يتأثر به، أن ينشد من خلاله إلى الله ﷻ.

في الجو الاعتيادي والروتيني الذي ينشأ عليه المجتمع المسلم منذ الطفولة، والإنسان يعتاد- **مثلًا**- أن يذهب إلى المسجد، أن يصلي... حالة عامة لدى الكثير من الناس، لا يتطلب الأمر أن يحتاج الإنسان إلى اندفاع إيماني كبير، انشداد عظيم إلى الله في: المحبة لله، والخوف من الله، والرغبة فيما عند الله، والإيمان باليوم الآخر، والتَّربية على قيم وعلى أخلاق معينة، حتى يستطيع الإنسان أن يذهب إلى المسجد للصلاة، أو أن يصلي. |لا|، **يعني**: مستوى التعود فقط يكفي في أن تصلي، ما بالك والمسألة عادية، بالذات إذا كانت الأجواء أجواء طبيعية، ليس هناك ما يمثِّل مشكلة في سبيل أدائك للصلاة، لن تدفع في مقابل ذلك شيئًا من أمنك، ولا استقرارك، ولا أي شيء آخر. وهكذا البعض من الأعمال الروتينية الاعتيادية التي يؤديها الإنسان بمقتضى التعود، وبمقتضى أنَّه استمر عليها كروتين لفترة طويلة في حياته، وألفها في واقعه الاجتماعي، يمكن أن يؤديها بشكل طبيعي، وأداؤها في مثل هذا الظرف أمر اعتيادي- كما قلنا- لا يحتاج إلى مستوى عالٍ من الإيمان، ثم تجد كثيرًا من الأعمال التي أداؤها أمر اعتيادي، ليس فيه مشقة بالغة، ولا خطورة، ولا يحتاج إلى دفع ثمن، **يعني**: لا يحتاج القيام بها إلى مخزون إيماني، إلى دافع إيماني كبير، ولا يحتاج- **أيضًا**- إلى كلفة.

لكن عندما تأتي إلى بعضٍ من الأعمال التي: إما أنَّ الإنسان سيدفع لها- **مثلًا**- من ماله، أو يعرِّض فيها حياته للخطر، أو يواجه فيها صعوبات ومشاق وتحديات، الكثير من الناس يُحجِمون عن أداء مثل هذه الأعمال، ولا يتوفر لديهم الاندفاع الكبير للقيام بها؛ **لأن** الدافع هذا هو دافع إيماني، يحتاج إلى أن تكون محبتك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على مستوى يفوق أي محبة لأي شيء آخر؛ حتى لا يمثِّل أي شيء آخر مما تحبه عائقًا بينك وبين أداء ذلك العمل، وتحمل تلك المسؤولية، أحيانًا الخوف، يمكن أن يؤثِّر عليك الخوف في ثباتك على موقف

معين، أو اندفاعك لموقفٍ معين، يحتاج هذا إلى أن يكون خوفك من الله ﷻ أكبر من خوفك من أي شيءٍ آخر؛ حتى تتفوق على عقدة الخوف في نفسك من تلك الأشياء الأخرى، التي قد تؤثر عليك وتحول بينك وبين ذلك العمل، أو تحمل تلك المسؤولية، الرغبة والأمل والطمع **كذلك**، أحيانًا يحتاج الأمر إذا كنت في سبيل موقفٍ معين ستضحي بمصلحة معينة، هذا أمر يؤثر على الكثير من الناس، يحتاج إلى أن يكون أملك في الله، ورجاؤك فيما عند الله يفوق أطماعك الأخرى، واتجاهاتك وميولك الأخرى إلى مصلحة هنا أو مصلحة هناك؛ **لأنك** في واقعك الإيماني منشد إلى مصلحة أكبر وأعظم وأبقى عند الله ﷻ حتى انشدادك إلى الله في الحالة الإيمانية والنفسية والوجدانية، في تعظيمك لله ﷻ وإجلالك لله، وتكبيرك لله ﷻ يجعلك منشدًا إلى الله فوق كل شيء.

فالأعمال التي قد تحتاج: إما إلى كلفة مالية، أو تضحية بمصالح معينة: (مادية، أو منصب، أو أي شيء من هذا القبيل)، أو مواجهة تحديات وأخطار: إما على النفس، وإما على المال، وإما على المنزل، وإما على أي شيء مما هو غالٍ لدى هذا الإنسان، وعزيز على هذا الإنسان. هنا المحك، هنا يتبين واقع الإنسان، هنا تتجلى حقيقة ما عليه من قيم وأخلاق، هل يمتلك فعلًا الإيمان بالله ﷻ الذي يستطيع من خلاله، وبهداية الله، وبمعونة الله، وبتوفيق الله... أن يتغلب على تلك المؤثرات عليه، إذا كان- **مثلًا**- سيضحي بمصلحة من هذه الدنيا: مال، أو جاه، أو منصب... في سبيل ثباته على موقف الحق، في سبيل نهوضه بمسؤولية معينة، هل يمتلك من الإيمان ما يجعله يتغلب على هذا العامل المؤثر، وهو: خوف فوات تلك المصلحة، إذا كان سيتعرض للخطر في مقابل ثباته على هذا الموقف، هل خوفه من الله ومحبته لله ستدفعه إلى أن يثبت لو حصل ما حصل، مع احتمال تعرض حياته، أو ممتلكاته، أو شيءٍ

مهم لديه للخطر، هل سيثبت؟

الغربلة.. سنة إلهية عبر الزمن

تتجلى حقيقة الإنسان أولًا في انتمائه الإيماني، ثم يتجلى واقع الإنسان لأكثر من ذلك، أكثر من مجرد الانتماء، أهم ميدان تتجلى فيه حقائق الناس وخباياهم وخفاياهم، ويخرج ما في أعماق نفوسهم إلى واقعهم العملي: فيما يقولون، وفيما يفعلون، أهم ميدان يجلِّي الناس، يكشف الناس، يوضح الناس، يبين الناس... هو ميدان الصراع، **فمثلًا:** في واقع الإيمان والقيم الإيمانية، وما عليه المؤمنون، تتجلى تلك القيم- التي هي في الأساس جذورها في أنفسهم: معتقدات، ومبادئ، ومعانٍ، ووجدانٍ إيماني: محبة لله، وخوف من الله، وتعظيم لله، ونفوس زاكية وصالحة... تتجلى تلك القيم- في الممارسات، في السلوكيات، في الأعمال، في المواقف، وما عليه الخبيثون: الإنسان الذي هو خبيث، ولو كان ينتمي للإيمان، ولو كان يقدِّم نفسه حتى متدينًا، يتجلى ويتضح وينكشف ذلك الخبث في واقعه العملي، في سلوكياته، في مواقفه، في أقواله، في أفعاله، في تصرفاته؛ فيتضح حقيقة ما هو عليه.

في ظل ظروف اعتيادية ليس فيها أمور حساسة، ولا مشاكل، ولا أخطار، ولا تحديات، ولا انفعالات، ما يثير حالة الانفعال لدى الناس، قد يظهر الكثير من الناس: [ما شاء الله العظيم من أهل الخير، وأطيابًا ومؤمنين]، ولكن عندما تأتي مثل هذه العواصف من الأحداث المزلزلة: فيها مخاوف، فيها أخطار، فيها انفعالات، فيها... عوامل تحرك هذا الركود والجمود في واقع الناس؛ فيخرج ما في نفوس الناس، وما في قلوبهم، وما في أعماق أنفسهم، ليتجلى في واقعهم العملي والسلوكي: في الأقوال، والتصرفات، والمواقف، والولاءات، والعداوات...

تظهر كل الأمور، ولهذا نجد في هذه الآية المباركة: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، آية مهمة، هذه الآية المباركة في سورة آل عمران، وهي تأتي في إطار الحديث عن هزيمة أُحد، ما ترتب عليها من: تضحيات، ومأساة، واهتزاز كبير داخل المجتمع الإسلامي آنذاك، المجتمع المسلم تسببت هزيمة أحد في إحداث اهتزاز كبير، وغربلة كبيرة لواقعه الداخلي، البعض ممن كانوا في الماضي يظهرون كمؤمنين، صالحين، صادقين، ثابتين، جادين، أوفياء، لو أن المسألة مجرد كلام- **مثلًا**- البعض يمكن أن يطلّع لك قائمة طويلة من المبادئ التي يزعم على أنه عليها، فيقول **مثلًا**: [أنا من الأوفياء، وأنا من الصادقين، وأنا من الثابتين، وأنا من الكذا، وأنا وأنا...]، يعبِّر عن نفسه بقائمة طويلة عريضة يزعم أنَّه على تلك المبادئ والقيم، لكن عندما تعصف الأحداث تكشف حقيقة الناس، تغربلهم، هذه سنَّة إلهية، وما كان الله ليترك المؤمنين في كل عصر، في كل زمن، في كل جيل، إلَّا وتمضي عليهم هذه السنة، هذه سنَّة إلهية مع كل الأجيال؛ ولهذا أتى التعبير القرآني على هذا النحو: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ ما يمكن أن يترككم على ما أنتم عليه: واقع يمكن أن يدخل فيه الخبيث مع الطيب، يمكن أن يقدِّم الجميع أنفسهم على أنهم: طيبون، وصالحون، وأبرار، وأخيار، وملائكة، ومن أهل الخير... لابد؛ **لأن** الله لا يقبل الغش أبدًا، لا يقبل الخداع، لا يمكن للإنسان أن يخادع الله ﷻ.

ولهذا عندما نأتي- **مثلًا**- إلى واقعنا في هذا الزمن، نحن في هذا الجيل وهذا العصر، عندما نشاهد هذه الأحداث التي تعصف بنا، وتنزل بساحتنا، وتأتي إلى واقعنا، وهي أحداث تعنينا نحن، متى نتصور أنَّ الاختبار الإلهي سيأتي؟ أم أنه سيأتينا هذا الاختبار الإلهي يوم القيامة؟! **مثلًا**: البعض من الناس لم يسمح لنفسه بأن يتفهم حتى هذه المسألة: أننا نعيش اختبارًا

إلهيًا، يختبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ماذا سنكون عليه، ما هي مواقفنا، كيف هي ولاءاتنا، كيف هي قيمنا وأخلاقنا؟ وبماذا يختبرنا؟ يختبرنا بالأحداث، بالمشاكل، بالتحديات، بالأخطار، عندما يأتي إلى واقعنا مثل هذه المشاكل، وهذه الأخطار، وهذه التحديات، يختبرنا فيما إذا كنا سننهض بالمسؤولية، ويتجلى في نهوضنا بالمسؤولية كل تلك القيم، كل تلك الأخلاق، كل تلك المبادئ، أم أننا سنفشل، ولن ننهض بالمسؤولية، ويتجلى في واقعنا الشيء الآخر: الذي هو الخبث.

﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، لابدَّ من الأحداث التي تغربل الناس، وتكشف واقعهم، وتجلي حقيقة ما في أنفسهم؛ فيظهر الخبيث، ويظهر الطيب، أين سيكون الطيب، وأين سيكون الخبيث بحسب التوصيف القرآني؟ هل الطيب هو الذي يستجيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وينهض بهذه المسؤولية، يضحي، يعاني، يصبر، يثبت، يعمل بمقتضى إيمانه، بمقتضى تلك القيم، مقتضى تلك التوجيهات الإلهية في القرآن الكريم: التوجيهات الإلهية بالجهاد، والتضحية، والعطاء، والصبر، والثبات... وكل تلك التوجيهات الإلهية؛ أم هو الخبيث الذي يفعل هكذا، مَن مِن الطرفين؟ المتنصل عن المسؤولية، المتهرب من تلك التوجيهات الإلهية، أم الناهض بها، من منهما الخبيث، ومن منهما الطيب؟ المسألة واضحة في القرآن الكريم كل الوضوح.

ونجد في بقية النصوص القرآنية- مثلًا: في سورة آل عمران- أنَّه في الظروف الحسَّاسة والخطرة والاستثنائية يأتي الاختبار بشكل أكبر وأعمق، **مثلًا**: في الظروف المطمئنة يمكن للبعض من الناس أن- لا بأس- يتماشى معها، ويتظاهر بأنه في صف الحق، وأنه ضد الباطل، وضد الإجرام والطغيان والعدوان والظالمين والمجرمين، لكن عندما تكون هناك اهتزازات أكبر، البعض [لا]، كالغربال الذي كلما اهتز نقى أكثر وأكثر، وتساقطت منه الكثير من الشوائب، تتساقط منه

أكثر وأكثر، **فمثلًا** في هزيمة أحد: البعض من الناس كان ما قبل هزيمة أحد في الصف الإسلامي يظهر وكأنه من الثابتين والصالحين والمؤمنين والمقتنعين بهذا الحق، بهذه المبادئ، بهذه القيم، بهذه المواقف التي رسمها الله، والتي ينبغي أن نكون عليها، وأن نتمسك بها كمؤمنين؛ **لأن** هذا معنى أن تكون مؤمنًا بتلك: المبادئ، القيم، الأخلاق، التوجيهات الإلهية، المواقف التي رسمها الله ﷻ مقتنعًا بها، وملتزمًا بها، فعندما تأتي لتقول: [أنا مؤمن، أنا أتَّبع هذا القرآن، أنا أؤمن بهذه التوجيهات والتعليمات، أنا أؤمن بهذه المواقف، ولائي هو هذا الولاء، اتجاهي هو هذا الاتجاه]، يأتي الاختبار الإلهي، تأتي -أحيانًا- مواقف صعبة: إما تراجعات، أو انكسارات، أو مواقف تحقق فيها للعدو بعض التقدمات، يحصل شهداء، يحدث أن يكون هناك جرحى، أن يكون هناك تراجعٌ ما... فيهتز البعض اهتزازًا كبيرًا.

يقول الله ﷻ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾[آل عمران: من الآية١٤٠]، في كثير من الأحيان يكون العدو قد خسر هو **كذلك**، وقد تكبَّد الكثير من الخسائر والهزائم، وينسى البعض من الناس هذه المسألة، لا يرون إلَّا حالة الضرر، أو الألم، أو وقوع شهداء أو جرحى في صف المؤمنين؛ فيجعلون من المسألة مشكلة، ويهوِّلون من خلالها، ويرجفون، ويثبطون، ويخذلون، ويصوِّرون المسألة أنَّها: مسألة خطيرة، وأنَّه لا يمكن للناس الثبات، وأنَّ الموقف خطأ، وانظروا كيف كانت النتيجة...الخ. الله يقول: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، يحصل في الواقع البشري أن يحدث- أحيانًا- تراجع، أحيانًا ضرر، أحيانًا شهداء، أحيانًا جرحى، يحدث لاعتبارات كثيرة تعود إلى الواقع البشري.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران]، الآية المباركة تقول: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يتبين في الواقع العملي، وبالفعل، ومن خلال الأحداث نفسها يتبين من هم المؤمنون الصادقون الأوفياء، تبينهم ماذا؟ تبينهم الأحداث من خلال ثباتهم، من خلال استمراريتهم، من خلال وفائهم، من خلال صبرهم، من خلال تضحيتهم، من خلال عطائهم؛ لم يتراجعوا، لم ينكسروا، لم يهنوا، لم يضعفوا، لم يستكينوا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[آل عمران].

التمحيص الإلهي للمؤمنين

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، عملية التمحيص: عملية تنقية من الشوائب، حتى في واقع المؤمنين من خلال ما يعانونه في نهوضهم بالمسؤولية، يدفعهم ذلك إلى أن يصلحوا وضعهم أكثر، يهذبوا أنفسهم أكثر، يتداركوا أخطاءهم أكثر، يتجهوا في صبرهم والتجائهم إلى الله ﷻ وإقبالهم إلى الله، ومعاناتهم في سبيل الله، إلى أن يصلحوا، ويتخلصوا من كثير من الشوائب، **والمؤمن**- كما في الحديث عن رسول الله ﷺ - **كسبيكة الذهب كلما أوقدت عليها النار ازدادت خلاصًا ونقاءً**، في معنى الحديث ومضمونه، المؤمن **كذلك**: الشدائد، المحن، الآلام، الأوجاع، النكبات والمآسي والأحزان تنقيه أكثر، تدفعه إلى الالتجاء إلى الله أكثر، تدفعه إلى أن

يتدارك واقعه، أن يحاسب نفسه، أن يقيم عمله، أن يصلح في نفسه وفي عمله وفي سلوكه، وأن يتدارك في واقعه وقصوره أكثر وأكثر. فعملية التمحيص تجعل للأحداث أثرًا إيجابيًا في نفسية الإنسان المؤمن، وفي واقعه وأدائه العملي، حتى في تقييم أدائه في نفس نهوضه بالمسؤولية، أدائه الجهادي، أدائه في العمل في أي مجال من مجالات المسؤولية.

ثم يقول الله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، يشتوا الجنة، المصلون يشتوا الجنة، والصائمون قالوا: [نصوم لندخل الجنة]، يمكن ندخل الجنة بتلك الأعمال المحدودة البسيطة، التي نعملها بكل بساطة في هذه الحياة، بل يمكن أن التعود عليها؛ حتى تصبح أعمالًا اعتيادية **جدًّا**، لا يعبِّر أداؤنا لها عن دافع إيماني، يمكن هذا أن لا يعبِّر عن دافع إيماني، ولا **يعني** ذلك أن يتركها الإنسان؛ **لأنه** لم يصل إلى أن يعبِّر بدافع إيماني. إلا، مطلوب من الإنسان الاستمرار عليها، ولابدَّ منها، وهي أركان للإسلام يقوم عليها، الخطأ هو في فصلها عن الجوانب الأخرى، الخطأ هو في تجزئة وتقطيع أوصال هذا الدين، وأن يؤمن الإنسان ببعض ويكفر بالبعض الآخر: إما كفرًا عمليًا بالرفض لذلك الجانب العملي وتعطيله، وإما جحودًا بالتنكر له وإنكاره.

يقول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾، الجنة لابدَّ فيها من الجهاد والصبر؛ **لأن** هذا يدلل على مصداقية الإنسان في إيمانه بتلك المبادئ الإيمانية، أنت تقول: [أنا مؤمن]، طيب هل المسألة مجرد كلمة تقولها؟ إلا، ائتِ إلى أوصاف المؤمنين في القرآن الكريم، ائتِ إلى المبادئ التي تقدم على أساس أنك تؤمن بها، تلك المبادئ، تلك القيم، تلك التشريعات، تلك التوجيهات، تلك الأوامر، تلك النواهي... ما

مدى التزامك بها، إيمانك بها قناعة والتزام، أين هو الالتزام؟ الالتزام يجليه بالفعل، عندما تواجه خطرًا، أو تحديات، أو تؤثر تلك القيم والمبادئ على اعتبارات ومصالح هي رغبات للنفس وهوى للنفس، ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وليعلم المؤمنين.. وليعلم الذين نافقوا

يقول الله ﷻ **أيضًا** وهو يؤكِّد على هذه المسألة: مسألة أنَّ الأحداث، أنَّ مدى النهوض بالمسؤولية، أنَّ التحرك في سبيل الله هو الذي يجلِّي واقع الإنسان، أنَّ موقف الإنسان في مواجهة التحديات والأخطار، وعواصف الأحداث وزلازلها، هو الذي يبين حقيقة هذا الإنسان، ومصداقية هذا الإنسان، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، **(يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ)**: جيش المؤمنين وجيش الأعداء، ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾[آل عمران]، **لاحظ**، ينتج عن هذا الاختبار الإلهي فيما أصاب المؤمنين، فيما قدَّموه من تضحيات وشهداء وجرحى، فيما أحدثه ذلك من: اهتزاز وإرباك في الساحة، وتأثير في الواقع، يكون به التوضيح والكشف والتجلي لحقيقة المنتمين إلى الصف الإسلامي، إلى الإيمان، للانتماء الإيماني، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الله هو يعلمهم ابتداءً، ولكن مطلوب أن يتجلى ذلك في واقعهم العملي، لا أن يبقى حالة مخبيه في نفوس الناس، يتجلى في الواقع العملي، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والمؤمنون بماذا اتَّضحوا؟ بثباتهم، بصبرهم، بروحيتهم المعطاءة، وهم إنما ازدادوا إقبالًا إلى الله، واحتسابًا فيما قد قدَّموه من تضحيات عند الله ﷻ أولسنا نرى هذه الحالة في بعض أسر الشهداء، فيما يظهرون عليه من: روحية العطاء والتضحية، والاحتساب عند الله ﷻ لتضحياتهم؟. ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، **(نَافَقُوا)** ينكشفون، يفتضحون، ولا يكشفهم شيءٌ أبدًا مثلما هو الجهاد في سبيل الله والولاءات،

أكبر عامل يجلِّي الناس هو هذا الجانب: الجهاد والولاء.

ولهذا يقول الله في آيةٍ أخرى في سورة التوبة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾[التوبة: من الآية١٦]، يخاطب مَنْ؟ هل هو يخاطب قومًا في المريخ، أو في كوكب الزهرة، أو في عالم بعيد عن عالمنا هذا، هو يتخاطب معنا كمجتمع مسلم في كل زمن، وفي كل جيل، **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ)** بمعنى: أن الله يقول لنا: أنَّه لن يتركنا من اختبار معين محدد، ما هو هذا الاختبار يا الله الذي ستقول أنك لن تتركنا من دون أن تختبرنا به؟ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾، يتبين من خلال الواقع، يختبركم الله بأحداث، بمواقف، بظروف في الواقع العملي، تحديات تتحملون فيها مسؤولية أن تجاهدوا، ويتحتم عليكم في مقابلها أن تجاهدوا، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾، **وماذا أيضًا؟** ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾، ما هي الوليجة؟ الدخيلة في الولاء، لم يُدخِلوا في ولائهم طرفًا آخر، من هو الطرف الآخر؟ هو العدو: إما منافق، وإما كافر يتجهون بالولاء إليه، إما ظالم، إما فاسق، إما مجرم، إما طاغية يتجهون بالولاء إليه، ينحرفون ويصوِّبون ولاءهم نحوه، فالله ﷻ قرر وأكَّد على هذا بآياته البيِّنات، الواضحات، الجليات، أنَّه لا يمكن أن يتركنا من هذا الاختبار في كل جيل، يختبرنا مَنْ مِنَّا سيجاهد، ومَنْ مِنَّا سيقعد؟ مَنْ مِنَّا سيكون وفيًا في تحمله للمسؤولية، ونهوضه بالمسؤولية، في ولائه، فلا ينحرف بولائه عن الله ورسوله، **(وَلَا الْمُؤْمِنِينَ)**، ولا يوجهه نحو أعداء الله وأعداء الأمة من: المنافقين، والكافرين، والمجرمين، والطغاة. إلا، يستقيم في هذا الاتجاه ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

النفاق.. تنصل عن المسؤولية وتجرد من القيم

هنا يقول: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، كيف كان موقف الذين نافقوا؟ يوضحه الله في نفس السياق للآية المباركة: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، **يعني:** للذين نافقوا ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾، لا يليق بكم أن تقعدوا، هذا التحدي وهذا الخطر هو على أمتكم، على شعبكم، عليكم، على المجتمع الذي تنتمون إليه، هذا خطر على الجميع، لا يليق بكم تجاه هذا الخطر أن تقعدوا، وأن تجمدوا، وأن تتنصَّلوا عن المسؤولية؛ **لأن** من شأن المؤمنين أن يقاتلوا في سبيل الله كمسؤولية، وكفريضة دينية لها أهميتها الكبيرة في القرب من الله، وفي مصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، وفي دفع الخطر عن الأمة، ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾، إذا لم تريدوا أن تقاتلوا في سبيل الله، فبالحد الأدنى دافعوا عن بلدكم، دافعوا عن شعبكم، دافعوا عن أمتكم، دافعوا عن مناطقكم، **(أَوِ ادْفَعُوا)** ادفعوا هذا العدو الذي هو قادم ليحتل، وينتهك الأعراض، ويسيطر على كل شيء، فماذا فعل الذين نافقوا؛ هل استجابوا؟ إلا، تميَّز نفاقهم بتنصلهم عن المسؤولية، وتهربهم منها، ولا مبالاتهم وكأنَّه لا خطر، وكأنَّه لا شر، وكأنَّ العدو الذي يهجم، والذي يهدف إلى الاجتياح والساعي للسيطرة، كأنه وليٌّ حميم، وكأنَّه صديق وكأنَّه طرف سيقيم الحق والعدل والخير، وآتٍ بمصلحة للأمة.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾، تهرب، يقدِّمون التبريرات للتهرب، للتنصل عن المسؤولية، وما أكثر من يفعل هذا نفسه، يتصرف على هذا النحو، يقدِّم تبريرات وعناوين وتعللات؛ حتى يتهرب من أداء هذه المسؤولية، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾،

هم قد ابتعدوا عن الإيمان، لدرجة أنَّهم باتوا أقرب إلى الكفر، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝١٦٧ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[آل عمران]، **(قَعَدُوا):** لم ينهضوا، لم يتحركوا أبدًا، ولم يدفعهم لا وعي باستشعار الخطورة، ولا دافع إيماني بالاستجابة لتوجيهات الله وأوامره وآياته إلى أن يتحركوا ويقاتلوا. إلا، قعدوا، في نفس الوقت- مع قعودهم- يثبِّطون، وينتقدون الآخرين، ويسخرون منهم، يقولون: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، أولئك الذين ذهبوا إلى المعركة، أولئك الذين استجابوا لله، أولئك الرجال الذين بوفائهم، وإيمانهم، وحريتهم، وعزتهم، وقيمهم الإيمانية، وأخلاقهم الكريمة، لم يرضوا لأنفسهم بالقعود، وتحركوا، واندفعوا، واستجابوا، وانطلقوا؛ فاستشهدوا، ونالوا كرامة الشهادة، يأتي أولئك- وقد قعدوا وتنصَّلوا عن المسؤولية- ليسخروا منهم، فيقولوا: **(لَوْ أَطَاعُونَا):** [كنا قلنا له اجلس في بيتك، لا حاجة لك في هذا، لا تدخل نفسك في هذه المشاكل، دعهم وشأنهم اترك هؤلاء]، تثبيط، تخذيل، ارجاف، تهويل، تضليل، خداع، تشويه... عبارات كثيرة، الهدف منها: تجميد الناس معهم، والكثير من أولئك المنافقين لا يكتفون بأنهم قد ارتكبوا معصيةً بقعودهم، ووزرًا بخنوعهم، وأساؤوا حتى إلى أنفسهم بتنصلهم عن المسؤولية، إنما يتجهون إلى الآخرين للتثبيط بكل الوسائل والعبارات، ويطلبون من الآخرين أن يقعدوا كما قعدوا، وأن يجمدوا كما جمدوا، وأن يتنصَّلوا عن المسؤولية كما تنصَّلوا، وأن يفرِّطوا فيها كما فرَّطوا، أن يتخاذلوا كما تخاذلوا، أن يتجردوا من قيمهم: (الإنسانية، والفطرية، والإيمانية، والدينية) كما تجردوا.

(لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) يعني: فاعتبروهم خاسرين، أنهم بتضحيتهم خسروا، ﴿قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فالتهديد يطالكم، وأنتم لن تسلموا أبدًا، ولستم عباقرة للدرجة التي ستسلمون من خطر الموت، وتخلدون في هذه الحياة، إنَّ العدو يشكِّل خطورةً عليكم من جانب؛ **لأن**ه يمكن أن يطالكم بشره في أي لحظة، **وأيضًا** الموت الذي لابدَّ منه آت، ولن تدفعوا عن أنفسكم هذا الموت الذي لابدَّ منه، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[آل عمران]، فلم يخسروا؛ **لأن** الله أعطاهم عندما استشهدوا في سبيله حياةً خيرًا من هذه الحياة، وسعيدةً بدلاً من هذه الحياة المليئة بالمنغصات.

مرضى القلوب وسنة الله في كشف واقعهم.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أيضًا**- وهو يوضح في كتابه الكريم أنَّ سنَّته في هذه الحياة أن يكشف واقع الناس من خلال مسألة الجهاد والولاء، بالتحديد هذه المسألة، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝٢٩﴾[محمد]**(الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)** من المنتسبين للإيمان والمدَّعين له، ولكن في قلوبهم مرض، وطبعًا هذا المرض غير المرض الجسمي، **يعني**: ليس مرض الشرايين ولا الصمامات... ولا من أيٍّ من هذه، هذا مرض من نوع آخر، إما شك في الحق، عدم ثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خبث متجذر بأيِّ شكل من الأشكال: بخل، حقد... أي مرض من تلك الآفات والمساوئ النفسية والأخلاقية، التي تؤثِّر على الإنسان في نفسيته وأخلاقه.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، حالة من الانحراف، حالة تخالف مقتضى الفطرة، المرض: هو الحالة التي تخالف مقتضى الفطرة التي فطر

الله الإنسان عليها، الإنسان مفطور على قيم ومبادئ عظيمة، والدين إنَّما يأتي متطابقًا مع الفطرة، ولكن الإنسان- أحيانًا- ينحرف عن فطرته هذه؛ **فيؤثر** حتى على فطرته، تتأثر فطرته، يتوجه نحو أشياء أخرى، ويتربى على أشياء أخرى، ويتعود على أشياء أخرى؛ حتى تنطبع بها نفسه، وتنمحي تلك القيم الفطرية، أو تضعف- إلى حدٍ كبير- مقابل تجذر وتعمق تلك الأشياء السلبية التي دخلت على نفسيته، وعلى مشاعره، وعلى وجدانه؛ فانشد إليها بأكثر من الأشياء الفطرية، وأحيانًا يصل البعض إلى أن تنتهي وتندثر بقايا تلك الأمور الفطرية التي أودعها الله في أعماق نفسه.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد]، **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ)** من خلال الأحداث والمواقف التي يتحتم عليكم في مقابلها أن تجاهدوا، فَمَنْ جاهد أثبت مصداقيته مع الله، مَنْ جاهد وصبر أثبت مصداقيته، وتجلى ما يحمله في واقعه: من إيمانٍ راسخ، من قيم عظيمة، من أخلاق عظيمة، من مبادئ راسخة عظيمة، من التزام عملي، وصدق في الاستجابة لله ﷻ ومن لم يجاهد، وتنصَّل عن المسؤولية؛ يتضح أمام الله أنَّه يعاني من ذلك المرض الذي مَثَّلَ عائقًا أمامه، مرض في مبادئه، في انتمائه، في عمق نفسه، عنده أضغان، عنده خلل معنوي كبير مَثَّلَ عائقًا ما بينه وبين أن يستجيب لله ﷻ.

وفعلاً، تجد ما يدل على هذا المرض، طبيعة الأحداث طبيعة تجلِّي كل شيء، **مثلًا:** في ظل الصراع- نفسه- يحصل من جانب قوى الشر والطاغوت

والإجرام جرائم وممارسات بشعة وفظيعة **جدًّا**، يندى لها جبين الإنسانية، نرى اليوم **مثلًا**، في العدوان الأمريكي السعودي الإماراتي على بلدنا، ماذا يفعل أولئك بنا كشعبٍ يمنيٍ مسلم؟ أوليسوا يقتلون منا الآلاف المؤلفة من الأطفال والنساء بجرائم بشعة ووحشية للغاية، مشهد من تلك الجرائم وأنت ترى منزلًا مدمرًا، أو تجمعًا بشريًا في سوق، أو في مسجد، أو في مستشفى، أو في مدرسة، وترى كيف ألقوا قنابلهم المدمرة والفتاكة على ذلك التجمع، وقد مزقت الكثير من أولئك الأطفال والنساء والناس إلى أشلاء، وتفحَّمت جثامين أكثرهم، والبعض قد أصيبوا بجراحات كبيرة **جدًّا**، والبعض جراحات قاتلة، إنما البعض لا يصل حتى إلى المستشفى، أو ما إن يصل حتى ينال الشهادة، المشهد بنفسه مشهد مؤثر، يكفي أن تكون إنسانًا سليمًا طبيعيًا عاديًا؛ لتتأثر بذلك المشهد، مشهد مأساوي، مشهد يعبِّر عن مظلومية كبيرة **جدًّا**، الأطفال الذين لا يزالون يعانون من الجراحة، ودماؤهم تنسكب، وأجسادهم تتلوى من الألم، وهم يصرخون من الأوجاع، مشهد مؤلم **جدًّا**، يكفي أن تبقى فيك بقايا من إنسانيتك؛ لتتألم، ولتدرك بشاعة ما يفعله أولئك الطغاة المجرمون بمثل هذه الجرائم التي يرتكبونها كل يوم، هذا بنفسه كافٍ في أن يكون لك موقف، ولكن أمام هذا كله، وهو مشهد كبير ودامي ومؤلم **جدًّا**، ويتكرر يوميًا، وتكرر بكثير وكثير؛ حتى طال الآلاف، وشمل معظم المحافظات والمناطق، وشاهده الكثير، أو يمكن للكثير أن يشاهدوه، مع ذلك البعض لا يبالي، لا يكترث، لا تتحرك حتى فيه المشاعر الإنسانية، لا يأسى لذلك، ولا يتفاعل مع ذلك، نفسية كهذه، أمام مشاهد كهذه، متبلدة، وباردة، وجامدة، ومستهترة، ولا مبالية، هل هي مشاعر سليمة؟ إلا، مرض، لم يعد إنسانًا طبيعيًا، لو بقيت له فطرته الطبيعية، ونفسيته السليمة، الله فطر الأنفس أن تتألم عندما تشاهد مآسٍ كتلك، مظلومية كتلك، يتألم لها البعض من أطراف الدنيا، وترى

البعض ممن هم يتسمَّون بأنهم متدينين وإسلاميين، مثل: بعض المنتمين لحزب الإصلاح، والتكفيريين، يرتاحون لمثل تلك الجرائم، ويبررونها، ويجوزونها، ويشرعنونها باسم الدين نفسه، باسم الدين نفسه، بالافتراء على الله ﷻ ولا يرون ضيرًا- كما قال أحدهم- في أن يقتل ولو أربعة وعشرون مليون يمني، ويبقى مليون واحد أو أقل أو أكثر، في مقابل أن يصلوا هم إلى السلطة، وأن يتحقق لهم في التنكيل بهذا الشعب ما يريدونه، ما يسعون له بأحقادهم، وضغائنهم، وأمراضهم، وعقدهم.

إذًا، الأحداث نفسها يتجلى من خلالها ما الناس عليه، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، أي مرض كان هذا: شك، حقد... أي ضغينة لابدَّ أن تخرج إلى الواقع، ﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، حتى في تعبيرهم، في كلامهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد].

الإمتحان الإلهي في مدرسة الحياة

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، كيف هو هذا الابتلاء، كيف هو هذا الاختبار؟ هل في مدرسة، يتجه الإنسان بقلم، ويستلم الصفحات، ويقوم يكتب الجواب على الأسئلة؟ أجل، مدرسة، لكن ليست على ذلك النحو، هي هذه الحياة، وما فيها من أحداث، وما تكتبه بأفعالك وأقوالك، وما تحدده بمواقفك وولاءاتك وعداواتك، أين أنت، وأين تتجه؟

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾، وأمام أحداث كهذه التي نحن نعيشها، نحن في مقام هذا الابتلاء، وفي مقام هذا الاختبار، وإلَّا متى؟ البعض يتصور أنَّ هذا الابتلاء لم يأتِ بعد،

فهل ينتظر له ليأتي يوم القيامة؟ إلا، نحن في هذا الزمن نعيش أمام هذه الأحداث والعواصف هذا الاختبار، الله ﷻ **أيضًا** يوضح أنَّ ما يجلي: المؤمنين، والمنافقين، والذين في قلوبهم مرض، وهذه الفئات الموجودة- أصلًا- في داخل المجتمع المسلم، هو الأحداث، وهو التحديات، وهو مدى الموقف من هذه الأحداث.

في قصة غزوة الأحزاب، وقد أتى الأعداء بجموعهم وجيشوهم، وحاصروا المدينة المنورة، وأرادوا اجتياحها والسيطرة عليها، وتحرك رسول الله ﷺ ليتحرك بالمسلمين لمواجهة هذا التحدي، والقيام بالمسؤولية أمام ذلك الخطر، يتحدث القرآن الكريم عن ذلك، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم﴾، **يعني**: الأعداء، ﴿مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، فأحاطوا بالمدينة من كل الاتجاهات، ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠﴾[الأحزاب]، **يعني**: كان للحدث أثره في الضغط على كثير من الناس، والتأثير النفسي والمعنوي عليهم، ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ۝١١﴾[الأحزاب]، وليس المقصود **يعني**: هزات أرضية، هذا الزلزال **يعني**: مستوى ضغط الأحداث، تأثيرها، عندما يشاهدون أنَّ هناك فئات تخلخل الصف من الداخل، ومهزوزة **جدًّا** من الأحداث، لدرجة تسعى فيها للتنصل عن المسؤولية، ولتخذيل وتثبيط الآخرين، ويرون مستوى الخطر (خطر اجتياح الأعداء)، وما يمكن أن يحدث فيما لو تمكن الأعداء ونجحوا من السيطرة في سعيهم لاجتياح المدينة، فيسمى هذا زلزالًا، ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾، **يعني**: ليس المقصود هزات أرضية، هذا زلزلة المشاكل والتحديات.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴿١٢﴾﴾[الأحزاب]، المنافقون ليس عندهم ثقة بالله أبدًا، ولا يحسبون حساب التوكل على الله، والاعتماد على الله في مواجهة التحديات والأخطار، وأنَّه يمكن للناس أن ينهضوا بمسؤوليتهم، ويقوموا بواجبهم، ويتوكلوا على الله ربهم، وهو سبحانه خير الناصرين، نعم المولى ونعم النصير، وعندما يسمعون طرحًا كهذا، وحديثًا كهذا، وتذكيرًا للناس بهذا، أنَّه: يا قوم لنواجه هذا التحدي، ولنقف بوجه هذا الخطر، ولنعتمد على الله، ولنثق بالله، ولنتوكل على الله، ولنلتجئ إلى الله، وهو الناصر والمعين. يَعتَبر أنَّه لا معنى لهذا الكلام، ونقول: يا أيُّها الناس هناك وعود إلهية صادقة، إذا قمنا بواجبنا لن يخلف الله وعده، هو القائل: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[محمد]، هو القائل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[الحج: من الآية٤٠]، يعتبرون هذه الوعود الإلهية لا معنى لها، فهم اعتبروا في غزوة الأحزاب حتى وعود الله التي بلَّغ بها رسوله في النصر والفتح المبين للأمة وللدين، اعتبروها مجرد غرور- والعياذ بالله- تشكيك بها، واتهام بالمخادعة، أمر رهيب **جدًّا**.

التحرك النافقي أثناء التحديات

طبعًا، في الظروف الحسَّاسة والعصيبة، وأمام الأحداث الضاغطة، يتحرك المنافقون والذين في قلوبهم مرض؛ ليشككوا، ليثبطوا، ليخذلوا، ليرجفوا، **يعني**: يتوقع الناس منهم- في الظروف الحسَّاسة- أن يحاولوا أن ينشطوا أكثر، وأن يتحركوا في الساحة أكثر بهذه الطريقة السلبية.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾، يتوجهون إلى الذين يتحركون للقيام بواجبهم، للجهاد في سبيل الله، للمرابطة، من أهل

يثرب- يثرب نفس منطقة الأوس والخزرج، نفس المدينة اسمها يثرب- يقولون لهم: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾، اترك هذا العمل، لا تذهب هناك في المرابطة، ارجع لا تسر منطقة القتال، لا تذهب إلى الجبهة، لا تسر إلى الموقع، ارجع بيتك ولا تتدخل، اهتم بنفسك وأسرتك وحياتك واترك هؤلاء، ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب]، سعي للهروب والتنصل عن المسؤولية من البعض، وتثبيط واضح، وتخذيل بشكل كبير من البعض الآخر، إلى آخر الآيات، يقول فيها **أيضًا**: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، البعض يشتغل بهذه الطريقة، أمام الأحداث، أمام التحديات والمخاطر التي يتوجب على الأمة أن تتحرك فيها بالموقف الصحيح الذي أمر به الله ﷻ ويفرضه الانتماء الإيماني، يأتي البعض ليثبط، ليخذل، ليضع العوائق أمام تحرك الآخرين بما يثبطهم به، ويخذلهم به، ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، أقبلوا إلينا، ارجعوا إلينا، اتركوا هم، تعالوا اجلسوا عندنا نتحدث نحن وأنتم ونجلس سواء، واتركوا هؤلاء، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب]، إن اضطروا في موقف واحد، ويبدل هذا الموقف بكثير وكثير من التثبيط والتخذيل.

إلى أن يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، رسول الله سيد الجهاد، وسيد المواقف، سيد الثبات، سيد الحق، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، **يقول أيضًا**: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾، شاهدوا وعاينوا جموع الأعداء وقد وصلت ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾،

في مقابل أنَّ أولئك قالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴿١٢﴾﴾[الأحزاب]، هؤلاء قالوا: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، ثقة بوعد الله ﷻ ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴿٢٢﴾﴾[الأحزاب]، سبحان الله كيف أثر الأحداث الإيجابي في نفوس المؤمنين الصادقين، يزدادون إيمانًا ويزدادون تسليمًا.

الطليعة الصادقة

ثم يقول -جلَّ شأنه-: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾﴾[الأحزاب]، وفي الروايات: أنَّ أول مصداق وأول طليعة لهذه الفئة من المؤمنين الصادقين هم: (علي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب)، وتشمل كل المؤمنين الصادقين الأوفياء، الذين يلقون الله بالوفاء، وهم قائمون بواجباتهم ومسؤولياتهم، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾، ما تأثَّروا لا بالأحداث، ولا بالظروف، ولا صدمتهم المتغيرات ليتراجعوا عن مواقفهم؛ **لأن** مواقفهم نابعة من إيمانهم، ليست مواقف زائفة، فتجد كيف يتجلى موقف المؤمنين بثباتهم، بصبرهم، باستمراريتهم، بتحملهم للمسؤولية، وكيف يتحركون بناءً على هذا الأساس، لا يؤثر فيهم الإرجاف أبدًا.

نجد قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾، حشود آتية، وجيوش جرارة، ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[آل عمران] **(فَزَادَهُمْ إِيمَاناً)، أيضًا** عند المعاينة لجموع الأعداء وقوتهم لم يتراجعوا، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً

وَتَسْلِيماً ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب]، **كذلك** عند الشدائد، والمحن، والآلام؛ يزدادون ثباتًا ونقاءً، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤١]، خلصوا من الشوائب أكثر، بدلًا من أن تغرقهم، أو تعصف بهم تلك الشوائب فتخرجهم عن طريق الحق ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

ثمرة الاستجابة لله ﷻ هي صدق وعد الله، أن يحقق الله وعده، يمكن للناس أن يمروا بمتعرجات، بظروف صعبة، بتحديات، فإذا تجاوزوا الاختبار، وتجاوزوا تلك المراحل الصعبة بثباتهم، وإيمانهم، وتضحيتهم، ووفائهم مع الله ﷻ؛ فالله يفي معهم، ولا يمكن أن يخلف وعده، هو قد وعد بالنصر، ولكنه يختبر ويمتحن، كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾، **اختبار أولًا:** في من سيجاهد، **واختبار ثانيًا:** في من سيصبر، يصبر في المحطات والظروف الصعبة، من لدية روحية العطاء والثبات في كل المراحل، لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾، قناعتهم ثابتة، مواقفهم ثابتة، مسارهم العملي ثابت، ما هناك تبديل أبدًا، هذه الروحية الراقية المطلوبة. **في الحالة الثانية:** حالة التراجع التي تكشف عن خبث لدى الإنسان، وخلل كبير، ولا مصداقية في انتمائه، هذا جانب من الجوانب المهمة.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لنكون من عباده الصادقين المؤمنين.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المحاضرة السابعة

٧ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

ضرورة العودة إلى أصالة الإسلام ومعالمه الأساسية

يتضح لنا من خلال المحاضرات الماضية، ومن خلال العودة إلى القرآن الكريم، والتأمل في سيرة رسول الله ﷺ والتأمل فيما يعبِّر عن الامتداد الأصيل للإسلام في حركة الإمام علي عليه السلام وحركة الإمام الحسن، في نهضة الإمام الحسين عليه السلام يتجلى لنا أهمية مبدأ المسؤولية في الإسلام، ويتضح لنا- **أيضًا**- من خلال العودة إلى واقع الأمة عبر التاريخ، وفي هذا العصر، في زمننا نحن، يتجلى لنا بوضوح ما يمثِّله هذا المبدأ من أهمية كبيرة **جدًّا** تتصل وترتبط بواقع حياة الناس، باستقامة دينهم، واستقامة دنياهم، المسؤولية في كل جوانبها المتعددة: المسؤولية في إحقاق الحق، وإقامة العدل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله...الخ. المسؤولية في هذه

الاتجاهات تشكِّل جانبًا أساسيًا، ومعلمًا رئيسيًا في الإسلام أضاعته الأمة على مدى أجيال، على مدى قرونٍ من الزمن، وكان لإضاعته آثار سلبية ومدمِّرة في واقع الأمة وبشكلٍ رهيب **جدًّا**.

باستعراض النصوص القرآنية تبين لنا حتى موقع هذا المبدأ من الدين، وتجلَّى لنا أنَّه يشكِّل جزءًا رئيسيًا، الإخلال به إخلالٌ بالدين، وإفقادٌ للدين من أثره وثمرته في الحياة، وتفريغٌ له من مضمونه الجوهري والأساسي؛ ولذلك سعى الطواغيت والمجرمون والمضلون والمفسدون إلى التركيز على هذه الجوانب، مع الابقاء على جوانب أخرى، ولكن على نحوٍ مستغل ومفصول: عن الأسس، ومفصول عن الثمرة، كما بيَّناه في الكلمات الماضية.

فيتجلى لنا أنَّ هذا المبدأ الذي ارتبط به في النص القرآني التأكيد على أنَّه إحدى الواجبات الأساسية والرئيسية والدينية، وأنَّه لابدَّ منه في تحقيق الإيمان، وفي أن يتحقق لنا في واقعنا مصداقية انتمائنا الإيماني، وأنَّه- **كذلك**- لابدَّ منه في أن نكسب رضى الله، لابدَّ منه للأخذ بأسباب الرحمة الإلهية، وأنَّ الله قدَّم بشأن هذا الأمر كثيرًا من الوعود وكثيرًا من الوعيد، الوعود في حالة الاستجابة، والطاعة، والانطلاقة على أساس توجيهات الله في ذلك، والوعيد عندما تفرِّط الأمة في هذه المسؤولية، وتقصِّر في هذا الواجب، كما قرأنا قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران]، وقرأنا قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة]، وكم في القرآن مما يتصل بهذه المسألة من وعد أو وعيد من جانب الله ﷻ.

يتضح لنا في واقع الحياة، بحسب ما تعانيه أمتنا اليوم، مشاكل كبيرة **جدًّا**، كما قلنا: لا يزال الدين الإسلامي في بعض شعائره، وفي بعض أعماله، في بعض سلوكياته حاضرًا بشكل كبير في ساحتنا الإسلامية، هذه نعمة، ولكن الخطأ هو- كما كررنا- في فصل هذا الجانب عن الجوانب الأخرى؛ **لأن** فصله عن الجوانب الأخرى أعدمه الكثير من آثاره الإيجابية في واقع الحياة، وجعله على نحوٍ يمكن استغلاله من جانب قوى الطاغوت والإجرام. الإسلام في صلاته- **مثلًا**- لا يزال- بفضل الله وبحمد الله- حاضرًا بشكل كبير في ساحتنا الإسلامية، وشعائر الصلاة تؤدَّى بشكل كبير من الملايين، وهناك الكثير **جدًّا** من المساجد، والملتزمين بأداء هذا الواجب الملايين من أبناء الأمة الإسلامية. الصيام- **كذلك**- لا يزال كثير من أبناء الأمة الإسلامية يؤدُّون هذا الركن وهذه الفريضة من فرائض الله ﷻ جوانب معينة بارزة في ساحتنا الإسلامية، في الوقت نفسه نعاني- كأمة إسلامية في معظم أقطارها ومعظم بلدانها وشعوبها- من ظلم شديد **جدًّا** على كل المستويات، كل أنواع وأشكال الظلم: فساد بشكل رهيب **جدًّا**، اختلاف وتمزق، حالة رهيبة **جدًّا** من التخلف وانعدام الوعي... مشاكل كبيرة **جدًّا** تعاني منها الأمة، ومنكرات كثيرة موجودة في الساحة، وغياب- إلى حد كبير- لثمرة الإسلام في أثره في الناس، وفي أثره في الحياة فيما يحققه: من عدل، من خير، من رحمة، من صلاح لحياة الناس، لدينهم ودنياهم، لشؤونهم، وتعاني الأمة- إلى حد كبير- في معظم بلدانها من سيطرة قوى الشر والإجرام والطاغوت، وهيمنة فئات النفاق والعمالة والارتهان لأعداء الأمة: للأمريكيين، والإسرائيليين...الخ.

طبعًا، هذا لا ينسجم مع الإسلام بأي حالٍ من الأحوال، بمعنى: الإسلام كدين في قرآنه، وبحركة وسيرة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- ليس مصممًا ليكون على هذا النحو فحسب، على هذه الشاكلة التي عليها الأمة الإسلامية- في معظم أقطارها- في هذا الزمن، شعب مسلم يصلي ويصوم، ينتمي للإسلام، جزء لا بأس به من الشعائر الإسلامية موجود في واقعه، ولكن يخضع بالمطلق للسياسات الأمريكية والإسرائيلية، ويتحرك النظام فيه، أو السلطة فيه لخدمة أمريكا بكل ما تستطيع، وتأقلم واقع البلاد في الاتجاهات، في الثقافات، في المواقف، في التوجهات... في أشياء كثيرة بما يتناسب مع السياسات الأمريكية الشيطانية، أو بما يهيئ ذلك البلد، أو ذلك الشعب لتقبل التحالف مع إسرائيل، والعداوة لآخرين من أبناء الأمة الإسلامية، والتآمر على آخرين من أبناء الأمة الإسلامية، وظهور كثير من المفاسد والمنكرات التي تدمِّر أخلاق المجتمع المسلم، وغياب للاهتمامات الكبرى، وانعدام للإحساس بالمسؤوليات ذات الأهمية الكبرى في القرآن، وفي حركة رسول الله ﷺ ليست المسألة مبنية على هذا الأساس، لا في القرآن، ولا في حركة الرسول وسيرته -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-.

مبدأ المسؤولية في القرآن الكريم

لاحظوا، عندما نعود إلى القرآن الكريم، ونجد الحضور الكبير في آيات كثيرة **جدًّا** حول مبدأ المسؤولية في كل جوانبه، بأكثر من أي فريضة عملية أخرى، ونرى أنَّه ارتبط بهذا المبدأ كثير من النصوص القرآنية التي تعطيه أهميةً قصوى، أهميةً كبيرةً **جدًّا**، ومن موقعه في الدين، لدرجة أنَّه لا يمكن أن يقبل منَّا الدين إلَّا به، بدون هذا المبدأ بقية ما نأخذ به من الدين لن يدخلنا الجنة، ولن ننجو به من النار، هذا ما يؤكِّده القرآن الكريم، وإلَّا ما فائدة

أن يقول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾، ما قيمة أن يقول: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة: من الآية ١١١]، ما قيمة أن يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]، ثم على أي أساس يمكن للإنسان، سواءً باسم: عالم، أو أمير، أو ملك، أو رئيس، أو زعيم... أو بأي صفة، أو شخص عادي، بأي صلاحية يمكنه أن يشطب بكل بساطة جانبًا أساسيًا من دين الله، أتى هذا الجانب حتى بأكثر من: الصيَّغ، والتوجيهات، والتشريعات، والأوامر، والآيات القرآنية، والنصوص النبوية، وحركة الرسول، بشأنه بأكثر من المسائل الأخرى التي نراها إلزاميةً علينا في واقع الحياة، نرى الصلاة إلزامية، هي إلزامية، ولا يمكن تركها، وإذا تركها الإنسان ترك عمود الإسلام، وأخلَّ بركن رئيسٍ في الإسلام، لكن جانب المسؤولية- **كذلك**- جانبٌ أساسيٌ، كلما يمكن أن تقرأه عن الصلاة في الإسلام، أن الله أمر بها، رغَّب فيها، توعَّد على تركها...الخ. هو موجود عن جانب المسؤولية: عن الجهاد، عن الأمر بالمعروف، عن النهي عن المنكر...الخ. موجود وبكثرة، فما الذي يبرر للإنسان أن يتهرب من واجبٍ كهذا، من مسؤوليةٍ كهذه، من جانبٍ أساسيٍ من الدين، الإخلال به يؤدِّي بالإنسان إلى الضياع، إلى الهلاك، إلى الخسران، إلى أن لا يقبل منه ما بقي من الدين، فالمسألة مهمة **جدًّا**، مهمة في موقعها من الدين كما قلنا، وكما قرأنا في النصوص القرآنية، وهي جزء يسير مما ورد في القرآن في مئات الآيات القرآنية.

أثر غياب المسؤولية على الأمة الإسلامية

ثم في واقع الحياة- كما أكدنا وكررنا وذكرنا أمثلة- في واقع الحياة اليوم تعاني أمتنا الإسلامية من الظلم، أمة مظلومة، وشعوبنا شعوب مظلومة، ومشكلتنا- كشعوب عربية **مثلًا-** أننا أتينا كأجيال لم ننعم بالعدل، لم نتذوق العدل الذي جاء به الإسلام، ولذلك كثير من الناس لأنه لم يجرب أن يعيش واقع العدل كما قدَّمه الإسلام؛ لا يدرك الفارق، لا يدرك طبيعة ما تعانيه الأمة، ومدى معاناتها فيما هي فيه؛ **لأنه-** أصلًا- لم يتذوق عدالة الإسلام، ولم يعرف البعض- حتى عبر التاريخ- كيف كان الإسلام تحت قيادة رسول الله ﷺ وما تحقق، **مثلًا:** كيف أُقيم العدل في ظل ولاية الإمام علي عليه السلام في ظل مراحل من التاريخ محددة **جدًّا**، فالكثير من الناس لمَّا لم نخض- كشعوب- هذه التجربة: تجربة الإسلام في عدالته، تجربة الإسلام في مسؤوليته، تجربة الإسلام في مبادئه تلك العظيمة، التي تصلح واقع الحياة، وتبني واقع الحياة... فالكثير من الناس يرتضي الحال الذي هو فيه؛ **لأنه** يظن أن الحال هكذا، لا مناص منه، وهذا أفضل ما يمكن أن نصل إليه في واقع الحياة أن نكون هكذا: على هذا النحو البئيس كشعوب عربية، وكأمة مسلمة، على هذا الواقع البئيس المتخلف حتى عن سائر ما في الدنيا، عن بقية ما عليه أمم الأرض الأخرى من: يهود، ونصارى، وبوذيين... وفئات أخرى لها عقائدها، لها قناعاتها، لها اتجاهاتها التي تنتمي إليها، سواءً دينيًا، أو لها رؤيتها السياسية التي بنت عليها واقع حياتها.

الواقع الذي نعيشه- كأمة مسلمة- واقع مأساوي، ومظلومية كبيرة **جدًّا**، وَأتِ إلى واقع كثير من شعوبنا ترى ما تعيشه من ظلم: إما ظلم شامل في كل

نواحي حياتها، وإما في جوانب معينة، ومظلومية بارزة وبينة، وغبن فاحش على المستوى التربوي والتثقيفي، على مستوى الحرية والكرامة، على مستوى قيم أساسية، وصحيح هناك كيانات بدأت تظهر في الساحة وتتحرك، آخذة بهذه المعالم وهذه المبادئ المهمة **جدًّا**، وتقارع قوى الطاغوت، وهي محاربة في داخل ساحتنا العربية والإسلامية، كما هو الحال في الحرب التي يشنها العدوان الأمريكي السعودي على بلدنا، وعلى شعبنا اليمني المسلم لمَّا تحرك، لمَّا تحرر، لمَّا انطلق ليكون حرًّا.

فنحن عندما نتأمل الواقع الذي نعيشه كأمة مسلمة، وكشعوب مسلمة، والمظلومية الكبيرة التي نعاني منها في فلسطين وفي غير فلسطين، في ميانمار، في اليمن، في العراق، في... دول كثيرة ظُلِمت وعانت بفعل هذا الطرف أو ذاك، وكل الأطراف تلك من ورائها أمريكا وإسرائيل.

من المعني برفع الظلم وإقامة العدل؟

لو نأتي لنقول: مَن المعني برفع الظلم عنا، من هو المعني؟ من هو الذي ننتظر منه أن يؤدي هذا الدور؟ من المعني بإقامة العدل فينا؛ حتى ننعم بالعدل، حتى نتخلص من الظلم في ساحتنا العربية والإسلامية؟ هل- **مثلًا**- نعوِّل على الأمم المتحدة وننتظر لها أن تكون جهة تأتي لتحقق العدل، وتقيم العدل، وترفع عنا الظلم، وتصلح لنا واقع هذه الحياة؟ حينها كَمَن يعلِّق أمله على سراب، كالذي يطلب السراب يريد أن يشرب منه، وهو ظامئ، وليس الذي يراه إلَّا سرابًا، ليس ماءً، القضية واضحة **جدًّا**، الأمم المتحدة ليس لها حتى صلاحية لنفسها، تعطي نفسها صلاحية أن تكون قراراتها- كأمم متحدة- ملزمة، أو أن تكون فيها أطراف تتجه بجدية كبيرة **جدًّا** لإحقاق حقٍ

ما، أو لدفع ظلمٍ ما، أو لإقامة عدلٍ هنا أو هناك، لا تمتلك العدالة لا في آلية عملها، ولا في قدرتها، ولا في اتجاهاتها، دول كثيرة، عندما تجد واقع هذه الدول متفرقة، جزءٌ منها ظالم، وجزءٌ منها مظلوم، والظالم هو ذلك الظالم الذي لا ننتظر منه أن يقيم العدل، والمظلوم هو ذلك الضعيف، المغبون، الذي ليس له هناك في تلك المؤسسة الدولية صلاحية أن يفرض شيئًا أو يقرر شيئًا، ماذا فعلت الأمم المتحدة للشعب الفلسطيني على مدى سبعين عامًا وأكثر، ماذا فعلت؟ لا شيء، ومظلومة واضحة **جدًّا**.

مجلس الأمن، ائتِ إلى مجلس الأمن: أبرز الدول الأساسية التي لها أعضاء دائمون في مجلس الأمن، هي ما يعبَّر عنه بالدول الكبرى، **يعني**: ذات النفوذ الأوسع في الأرض، في العالم، في الواقع البشري، من حيث قدرتها العسكرية، ومكانتها السياسية، و**كذلك** إمكاناتها الاقتصادية، بنفوذها الواسع، بثقلها السياسي والاقتصادي، بقدرتها العسكرية، تصبح ذات نفوذ كبير في الساحة العالمية، يأتي في الترتيب لهذه الدول: رقم واحد أمريكا، ماذا تنتظر من أمريكا؟! أن تقيم العدل، وهي منبع الظلم، منبع الشر، منبع الإجرام! تأتي لتنتظر الأمريكي ليقنع بقية أعضاء مجلس الأمن، يقنع البريطاني، يأتي البريطاني الذي كان المستعمر ما قبل الأمريكي، وورث عنه الأمريكي دور الاستعمار للشعوب، والاضطهاد للمستضعفين، والتآمر على الشعوب المستضعفة: السيطرة عليها، ونهب ثرواتها، والتلعُّب بأوضاعها، تأتي إليهم: إلى الأمريكي والبريطاني، ومن مع الأمريكي والبريطاني ليقيموا عدلًا هنا! أكبر من ساند الكيان الإسرائيلي في فلسطين مَنْ هو؟ أولًا من عمل كل ما يلزم لإنشاء هذا الكيان على أرض فلسطين؟ هي بريطانيا، ورثت أمريكا الدور عن بريطانيا في تقديم رعاية شاملة وكاملة، وحماية للإسرائيلي، من بعد البريطاني الدور لعبه الأمريكي، فكيف

تنتظر من الأمريكي؟! عندما تتأمل هذه الأيام ما يفعله ترامب بشكل مباشر، أمريكا تتدخل بشكل مباشر ضد الشعب الفلسطيني، تصبح شريكًا مباشرًا لإسرائيل في الأذى للشعب الفلسطيني، في مصادرة أراضي الشعب الفلسطيني، في استهداف المقدسات في فلسطين، في التآمر على الشعب الفلسطيني بكل أشكال التآمر، ليس فقط دور الحماية والدعم المفتوح لصالح الكيان الإسرائيلي، بل إلى جانب الدعم المفتوح والكبير للكيان الإسرائيلي التدخل المباشر، والعمل المباشر مع الكيان الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني، هل يمكن أن تقول عن أمريكا: [راعية السلام]، أم منشأ الفتن والعدوان والإجرام؟

ائتِ إلى مظلوميتنا- كشعبٍ يمني- مَن الذي يشرف على هذا العدوان، ويرعاه، ويبرره، ويوفر له كل أشكال الحماية والدعم والغطاء السياسي، ويقدِّم له الدعم اللوجستي، ويشترك فيه على مستوى: التخطيط، والتدبير، والإشراف بكل أشكاله، وعلى مستوى التدخل المباشر في كثيرٍ من الأحيان؟ الأمريكي. ويأتي وزير الخارجية الأمريكي- قبل أيام- ليتحدث في الكونجرس ويقدِّم شهادة- يشهد هو- على أنَّ هذا العدوان يتحاشى- إلى حد كبير- استهداف المدنيين، في ظل عدد هائل **جدًّا** من الجرائم، في ظل الجرائم اليومية بحق المدنيين، بحق المصالح العامة، بحق الشعب اليمني في كل أشكال وأنواع حياته ومقدراته ومتطلباته، كل أشكال الضرر يحصل بهذا الشعب من جانب أمريكا بالدرجة الأولى، قبل أن يكون النظام السعودي الذي هو مجرد أداة، أو النظام الإماراتي الذي هو مجرد أداة- **كذلك**- بيد الأمريكي.

عندما تعاني شعوبنا من وطأة الظلم، وتحس بمرارة الظلم، عندما تشتد وتيرة الظلم، وتصل إلى مستويات ساخنة، بمعنى: لمراحل معينة وشعوبنا المظلومة تتأقلم- إلى حد كبير- مع ما تعانيه من الظلم، ولكن الظلم والشر

والفساد والإجرام والطغيان لا يبقى- في واقع الحال- عند مستوى معين، هذه قاعدة مؤكَّدة، تشهد لها الحياة، وقائع الحياة، التاريخ في حاضره وفي ماضيه يشهد لها، الطغيان والإجرام، الشر والفساد لا يبقى عند مستوى واحد معين، يتعاظم، يكبر، يكثر، يزداد.

شعوبنا اعتادت- في مراحل معينة- أن تتأقلم مع حالة تعيشها، لا يتوفر فيها إلَّا أقل القليل من العدل، أشياء بسيطة **جدًّا**، والمساحة الهائلة قد تكون أكثر من خمسة وتسعين بالمائة من الظلم بكل أشكاله، إن لم تكن أكثر بكثير، نسبة العدل الذي يتحقق لشعوبنا نسبة ضئيلة للغاية، مع ذلك كانت شعوبنا تتأقلم مع تلك النسبة الضئيلة؛ **لأنك** احسب حساب الظلم، وما تعانيه الأمة من ظلم في كل مجالات حياتها، ليس فقط اقتصاديًا، أو أمنيًا، أو عسكريًا، حتى على المستوى الثقافي والفكري، من أكبر ما ظلمت به الأمة هو التضليل الثقافي والفكري؛ لأنه ترتب عليه مآسٍ كبيرة **جدًّا**، دخول الأمة في حالة من: العمى، والتيه، والتخبط، وانعدام الرؤية، وحالة رهيبة **جدًّا** من المعاناة والإحباط واليأس لدى الكثير من أبناء الأمة.

مصير المتطلعين إلى الأمم المتحدة

فعندما نأتي إلى حجم المظلومية التي تتكاثر وتزداد إلى أن يضطر شعبٌ هنا أو شعبٌ هناك للتحرك، عندما تصل الأمور إلى مستويات كبيرة **جدًّا**، معاناة هائلة؛ فيحس بوطأة الظلم، ومعاناة ومرارة الاضطهاد، وحينها يتطلع إلى الأمم المتحدة ينتظر لها! من ينتظر إلى الأمم المتحدة فهو ينتظر للسراب، كما قلنا: واقع الشعب الفلسطيني شاهد، والشعوب التي تحررت، تحررت بجهدها مع اعتمادها على الله، وليس بالأمم المتحدة أبدًا، ما هناك شعب تحقق له

العدالة التامة والخلاص الكامل بمجرد اهتمام الأمم المتحدة، أو من مجلس الأمن، لم يحصل ذلك أبدًا، بل هناك أحداث مأساوية **جدًّا** لشعوب راهنت على الأمم المتحدة؛ **فأسهمت** في وقوع جرائم كبيرة **جدًّا** بحقها، كما حصل **مثلًا**: في البوسنة والهرسك، كانت بعض المدن يجمع سكانها في مكان بجوار المدينة **مثلًا**، أو خارج المدينة، يجمع أعداد كبيرة من السكان، ويطلب منهم أن يسلِّموا كل ما بحوزتهم من أسلحة، وتكون أحيانًا حتى بأعداد بسيطة، وعلى أساس أن تتوفر لهم حماية كاملة من الأمم المتحدة، وجُمِعت بعض المدن في (البوسنة) على هذا الأساس، اجتمع سكانها في معسكرات كلاجئين، تحت حماية الأمم المتحدة، ثم ترفع الأمم المتحدة يدها عنهم، بعد أن سلبت منهم حتى سلاحهم، ويأتي- آنذاك- الصرب في (البوسنة) ليقوموا بارتكاب أبشع جرائم القتل والإبادة، وقامت الأمم المتحدة- حينها- بالتجميع، جمعت للصرب أعدادًا كبيرة (آلافًا من المسلمين)، ونزع أي أسلحة متبقية لديهم، وتجهيزهم للإبادة، ثم تنسحب عنهم وتتركهم، ليأتي الصرب فيعملوا على إبادتهم آنذاك، وهناك شعوب أخرى لها تجارب مأساوية وكارثية من خلال الأمم المتحدة. فلا يعوَّل أبدًا لا على الأمم المتحدة، ولا على أي طرف هنا أو هناك.

إقامة العدل مسؤولية المسلمين

القرآن الكريم يعلِّمنا الله فيه بأنَّ المسؤولية في إقامة العدل، وتحقيق العدل، وتحقيق القسط في هذه الحياة، هي علينا نحن كمسلمين، الذين آمنوا، الناس هذه مسؤوليتهم، لا يمكن أن يتطلعوا إلى قوى الشر لتكون هي من تحقق الخير والعدل في هذه الحياة، ولا يمكن حتى أن ينتظروا من الله ﷻ أن يقوم هو بما هو مسؤولية عليهم، مسؤولية هي عليهم، جزء من التزاماتهم الدينية والإيمانية والعبادية، يتعبدون الله بها، الله هو

غني، ليس بحاجة إلى ذلك، ولا يمكن أن يتدخل بشكل مباشر ليقوم هو بمسؤولياتنا العملية والتزاماتنا الدينية بدلًا عنا، ماذا **يعني** ذلك؟ هو الربُّ -جلَّ شأنه- هو الملك والخالق، وليس هو المأمور، الذي تصل إليه الأوامر وينفذ، نحن مَنْ علينا ذلك، ولهذا لا يمكن- **مثلًا**- أن ننتظر ليومٍ من الأيام نستيقظ فيه فجرًا، أو في الصباح الباكر، فإذا بالأرض قد امتلأت عدلًا، وزال عنها كل ظلمٍ وجور، وكل طغيان وإجرام، وصلحت أمور الحياة، كيف؟ تدخل في الليل والناس نيام، وأصلح الله كل شيء! |لا|، المسألة ليست **كذلك** أبدًا، الله -جلَّ شأنه- يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[النساء: من الآية١٣٥]، يقول هو -جلَّ شأنه-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد: من الآية٢٥].

الناس هم المعنيون بإقامة القسط، مسؤولية عليهم، يدخل ضمنها كثير من الأعمال، من الجهود، من الأنشطة، من الاهتمامات العملية، وتحتاج- قبل ذلك- أن تكون ضمن اهتمامات الناس على المستوى التثقيفي والتعليمي، وعلى المستوى التربوي، وأن تكون جزءًا رئيسيًا من برنامجهم العملي في هذه الحياة، وجزءًا أساسيًا من التزاماتهم الدينية في هذه الحياة، كما هي الصلاة، كما هو الصيام، كما أي التزام ديني آخر.

فالمسألة مرتبطة بأدائنا، وكما قلنا: يتضح أصالة هذا الموضوع بالنظر إلى حضوره الواسع في النصوص القرآنية، في آيات الله، في أوامر الله الكثيرة **جدًّا** بهذا الشأن، في مئات الآيات في القرآن الكريم، وبأكثر حتى من الصلاة، آيات أكثر بكثير، ثم في حركة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الذي كان جزء كبير من أعماله، واهتماماته، وأنشطته، وبرنامجه، وحركته: جهادًا، وأمرًا بمعروف، ونهيًا عن

منكر، وما يتصل بذلك، إقامة للعدل...الخ. حركة واسعة، مساحة واسعة في حركة رسول الله، في حياة رسول الله، في أعمال رسول الله، في جهود رسول الله، في اهتمامات رسول الله ﷺ كما هي واضحة **جدًّا** وحاضرة في سيرته، فيما عبَّر عنه القرآن، وفيما رواه التاريخ، فكيف غابت على مدى زمن طويل لدى فئات واسعة من أبناء الأمة، لا أقول غابت لدى الجميع، بل لدى فئات واسعة من أبناء الأمة، وإلى اليوم الحال هو نفسه، لا يزال الكثير من أبناء الأمة: كثير من الشعوب، كثير من البلدان، كثير من المناطق، حتى في القطر الواحد، **مثلًا**: عندنا في اليمن ليست كل منطقة يحضر فيها في العمل التثقيفي والتعليمي والتربوي الحديث عن هذه المسألة الدينية المهمة، كما هي في القرآن، كما هي في حركة رسول الله، وسيرة رسول الله، وأعمال رسول الله، وأقوال رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- هل هي حاضرة بمستوى أهميتها، بمستوى حضورها في القرآن، بمستوى حضورها في السيرة النبوية؟ إلا، غائبة إلى حد كبير **جدًّا**، بل عندما غابت- إلى حد كبير **جدًّا**- في الساحة الإسلامية؛ وصل الحد إلى أن يكون أي تحرك يخالف هذا المزاج العام مستغربًا لدى الكثير من الناس، وغير مرغوبٍ فيه، في بعض المناطق لا يرغب الناس حتى أن يسمعوا كلامًا بهذا الشأن، حتى أن يسمعوا آيات من القرآن الكريم، حتى أن يسمعوا **مثلًا**: سورة الصف، أو أن يسمعوا سورة التوبة، أو أن يسمعوا سور من القرآن الكريم تتحدث عن هذه المسائل بشكل واسع، ليس عندهم رغبة أبدًا بهذا الشأن.

أسباب غياب المعالم الأساسية عن واقع الأمة

نحن عندما نلحظ اهتمامًا كبيرًا في حركة رسول الله، حضورًا واسعًا في النص القرآني، تأكيدًا كبيرًا **جدًّا** في أوامر الله وتوجيهاته، ثم نجد فجوة كبيرة بين هذا وبين ما هو السائد في الساحة الإسلامية من جمود لدى أكثر الأمة، وحالة من التنصل الكامل عن المسؤولية، بل حالة من الانفصال عن هذه المسؤولية، شطب لها بالكامل من الالتزامات الدينية والبرامج العملية، هذه الفجوة كيف حدثت؟ من المسؤول عن إيجاد هذه الفجوة؟

كما قلنا: هذا وراءه شغل كبير، لم يأتِ من فراغ، هناك من اشتغل، عندما أتى بنو أميَّة إلى السلطة، وأداروا شؤون الأمة الإسلامية، أدروها بناءً على أسس جديدة، غير ما كان عليه رسول الله، وليس امتدادًا لما كان عليه رسول الله، ولما أتى به القرآن، بل بنقائض: البديل عن العدل الظلم، الفساد، المنكر... [وسنتحدث عن هذا- إن شاء الله- ابتداءً من المحاضرة القادمة، التي نسلِّط الضوء فيها على هذه المسألة]. وجهد واسع بُذِل، وترافق معه أنشطة واسعة، ولذلك عندما نأتي لنتحدث عن الأسباب:

أولًا: هناك جهات اشتغلت على الموضوع بشكل مقصود، بهدف إبعاد هذه المسائل والمعالم الرئيسية عن واقع الساحة الإسلامية؛ للتمكن من السيطرة عليها بشكلٍ مريح.

ثانيًا: غاب في الساحة الإسلامية الاهتمام بهذا الموضوع، بالرغم من حضوره- كما قلنا- في القرآن وفي حركة الرسول، هذا الغياب على مستوى المناهج التعليمية، التثقيف، الخطاب الديني، وعلى مستوى المسار التعليمي،

كم مدارس في الساحة الإسلامية، في المنطقة العربية وفي غيرها، بلدان كثيرة؟ كم هناك من خطباء؟ كم هناك من مساجد؟ كم هناك من منابر؟ كم هناك من أنشطة تثقيفية وتعليمية وتوجيهية؟ ولكن يغيب منها بشكل كبير **جدًّا** الحديث عن الجهاد بمفهومه الصحيح، عن إقامة العدل، عن إحقاق الحق، عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن مواجهة الفساد، عن السعي لإصلاح واقع الأمة وبناء واقعها كما ورد في القرآن الكريم، وبالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله يغيب هذا إلى حد كبير **جدًّا**.

فالغياب في التثقيف، في التعليم، في الإرشاد لدى كثير من الناس، يجلس البعض من علماء الدين يُدرِّس طول عمره، ويخطب، ويعلم، ويرشد، ويعظ... ولا يتحدث عن هذه المسائل نهائيًا، يتجاهل كل النصوص القرآنية المتصلة بهذا الشأن، كل الآيات القرآنية ذات العلاقة، ويتجاهل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويتجاهل كل ما هو قائم في الساحة- في الواقع- من مظالم ومعاناة، وعن واجب الأمة تجاه ما هو حادث وحاصل، كم هناك من كُتب كتبت وأُلِّفت؟ كم هناك- كما قلنا- من أنشطة تقدم في هذا الزمن، حتى عبر وسائل حديثة: من قنوات، من إذاعات، من برامج سُجِّلت، من وثائقيات كثيرة... يغيب هذا الموضوع نهائيًا، يغيب عند أكثر أبناء الأمة، ليس عند الجميع، عند أكثر أبناء الأمة، غياب هذا الجانب وصل- كما قلت- إلى درجة أن يصبح مستغربًا وغير مرغوب، عندما يسمعون من يتحدث، فهناك الكثير مما لا يرغبون أن يسمعون ما يقال بهذا الشأن أبدًا.

بدأ الإسلام غريبًا إلخ.. ماذا تعني الغربة؟

وعندما نأتي مثلًا: إلى نص عن رسول الله ﷺ روي عنه أنَّه قال فيما معناه: (**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلغُرَبَاء**).

تلاحظ أنَّ غربة الإسلام هذه ليست غربته في صلاته، ولا في صيامه، وليست غربته في عناوينه العامة الأولى، هذه يمكن أن تكون قائمة، ويمكن أن تكون موجودة، ويمكن أن تكون غير مستغربة، فليس غريبًا أن يدعو إنسانٌ ما إلى الصلاة، أو أن يُشَاهَد إنسانٌ يصلي، وليس غريبًا أن يأتي من يحث الناس على صيام شهر رمضان، أو أن يجد الناس إنسانًا يصومه... وأمور كثيرة **يعني** ليست غريبة في الساحة.

لكن هناك- فعلًا- غربة للإسلام في معالمه الرئيسية، الإسلام الذي يستنقذ الناس من العبودية لغير الله، ويحررهم من الطاغوت، ويستقل بهم في شؤون حياتهم من التبعية للمستكبرين، هذا إسلام غريب، وهذا خطاب غريب، وهذا منطق غريب لدى كثيرٍ من الناس، لدى فئات واسع من أبناء الأمة، الإسلام الذي يربط الأمة بمصادر الهداية، ويعطي لمسألة الوعي أهمية كبيرة **جدًّا**، ويركِّز على تنوير الناس بالقرآن الكريم، وتبصيرهم ببصائره، وأن يحملوا الوعي تجاه حياتهم، والواقع من حولهم، وأعدائهم، وما يتصل بذلك من مسؤولياتهم...الخ. هذا خطاب غريب، غير مألوف، وغير مرغوب فيه لدى فئات كثيرة من أبناء الأمة، والإسلام الذي يلزم بإقامة العدل، ودفع الظلم، ومواجهة الطغاة والطغيان، وإصلاح واقع الحياة بناءً على توجيهات الله وأوامره وهديه، **كذلك** غير مرغوب وغريب **جدًّا**، الإسلام الذي فيه جهاد- بمفهومه الصحيح- في مواجهة العدوان على الأمة، في دفع الأخطار عن الأمة،

عن المستضعفين... غريب وغير مألوف، والبعض لا يعرفه أصلا، مثلما يشاهد مسألة لا يعرف ما هي نهائيًا، مجهولة نهائيًا، وليس فقط مستغربة، والإسلام في هذه المعالم الرئيسية هو الذي شهد الغربة في واقع الساحة الإسلامية، وبات الكثير من الناس ينظرون باستغراب، ويعتبرون المسألة هذه ليست مسألة مهمة، ولا يريدون أن تكون حاضرة وأن تكون موجودة، يريدون لها أن تُقصى، أن تُبعد، أن تُحذف، أن تُشطب، أن لا يسمعوها، وأن لا يشاهدوا شيئًا عنها، غربة الإسلام في هذه، غربته في هذه.

ولهذا حينما قال رسول الله: (فَطُوبَى لِلغُرَبَاء، قيل: من هم يا رسول الله، قال: الذين يصلحون عند فساد الناس)، يصبحون- كما يقال- عكس التيار، الاتجاه والمزاج العام مزاج يعيش حالة التبعية التي ينتج عنها الفساد: التبعية للطغاة، والمجرمين، والمنافقين، والضالين، والفاسدين؛ فيفسدون الآخرين بفسادهم، هؤلاء يأتون- كما يقال- ليسبحوا عكس التيار، لديهم اتجاه مختلف عن المزاج العام الذي لدى كثيرٍ من الناس.

فنحن نتحدث عن أنَّ من أهم الأسباب في غياب هذه المعالم الرئيسية، وهذه المسألة المهمة للغاية، هو:

١- فصلها عن الاهتمام التعليمي في: (المناهج، والأنشطة، والبرامج، والخطاب الديني)، وعن التثقيف، وعن الإعلام في زمن الإعلام.

٢- فصلها عن برنامج واجبات الأمة والتزاماتها الدينية: دائمًا في الخطاب الديني والتعليم الديني يقال للناس: [واجباتكم هي التالي: أن تصلوا خمسكم، أن تزكوا مالكم، أن تصوموا شهركم، أن تحجوا إلى بيت ربكم]، واكتملت المسألة، كمل الدين، نفدت بقية الالتزامات، يأتي البعض ليضيف قسطًا

يسيرًا من الالتزامات الأخلاقية في المعاملة، وفي المحرمات **كذلك**، جزءًا محدود منها، وتنتهي المسألة، ثم لا تذكر ضمن هذه القائمة من الالتزامات الدينية والواجبات: لا أن تجاهدوا، ولا أن تأمروا بمعروف وتنهوا عن منكر، وطبعًا بالمفهوم الصحيح القرآني، وليس بالمفهوم الداعشي، ولا بمفهوم الجامدين الذين يجمِّدون كل النصوص القرآنية بتحيُّلاتهم، ولا- **كذلك**- يقال للناس: (وأن تقيموا العدل في حياتكم)، هذا يحذف: إقامة العدل في الحياة، الأمر بالمعروف، الجهاد، الإنفاق في سبيل الله ... إلخ، تحذف في كثير من المناطق، في كثير من المدارس، في كثير من الأنشطة التثقيفية والتعليمية، في الخطاب الديني لدى الكثير من الناس، تحذف هذه، وكأنها ليست من الواجبات، لا وردت بشأنها نصوص قرآنية، ولا كان لها حضور ولا وجود في حركة رسول الله ﷺ حتى بات البعض ينظر إلى المسألة أنَّها فقط بهذا المستوى: واجباتنا الدينية والتزاماتنا الدينية هي: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة... تلك الأشياء الاعتيادية الروتينية، قد تم سقوطه بأساليب وحيل جعلت منه أمرًا غير إلزامي، وغير واجب، ولم يعد مطلوبًا، وهو كان حالة استثنائية للعصر الأول، وكأنَّه لا حاجة إلى العدل، ولا حاجة إلى العزة، ولا حاجة إلى الخير، ولا حاجة إلى المَنَعَة، ولا حاجة إلى القوة؛ إلَّا للمسلمين الأوائل في عصر رسول الله ﷺ هم فقط من كانوا يحتاجون إلى العدل، إلى الخير، إلى العزة، إلى الكرامة، إلى الاستقلال، إلى الحرية، بقية المسلمين- في كل عصر وجيل- ليسوا بحاجة لا إلى عدالة، ولا إلى حرية، ولا إلى استقلال، ولا إلى كرامة، ولا إلى عزة، ولا إلى أي شيء من هذه، وطبيعي أن يكونوا ضحية ضعفهم، وشتاتهم، وتفرقهم، وانعدام كل عوامل النهوض بالمسؤولية لديهم! إلا، المسألة كل البشرية بحاجة إلى العدل، بحاجة إلى الكرامة، بحاجة إلى هذه المبادئ العظيمة والمهمة.

فعلى كلِّ حال، في الذهنية العامة فيما يقدَّم للناس على أنه يمثِّل العناوين من واجباتهم والتزاماتهم الدينية، كان يشطب منه عند كثير من الناس مثل هذه المسائل.

تحريف المفاهيم الإسلامية واستغلالها

أيضًا من الأسباب الخطيرة جدًّا، والمؤثرة بشكل سلبي: التحريف لهذه العناوين بتطبيقها على غير مصاديقها، وباستغلالها في غير مواضعها، كما هو الحال بالنسبة للتكفيريين، يرفعون عنوان (الجهاد في سبيل الله)، ولكن أين يتحركون بهذا العنوان؟ يتحركون به في غير مصاديقه، في نهاية المطاف يصبح الأمر في حقيقته: **التحرك في خدمة أمريكا**، هذا هو واقعهم، **في مصلحة إسرائيل**، هذا هو حقيقة ما هم عليه، ليس ما هم فيه جهادًا في سبيل الله، **هو تحركٌ في خدمة أمريكا واسرائيل، واستهداف للأمة، وتوجهٌ نحو كل ما يمكن أن يساهم في تقويض هذه الأمة، والإضرار بهذه الأمة.**

التحريف هذا ليس جديدًا، يعني: منذ زمن بعيد وهو يستخدم من فئات الضلال نفسها، ولكن المسألة ليست معقَّدة لتعرف هل يُستخدم هذا العنوان بحق أو بغير حق، ليست معقَّدة، المسألة يمكن أن تكون واضحة، لا تحتاج إلى أن تكون غامضة للغاية، **مثلًا**: هناك باطل من المؤكَّد أنَّه باطل، أمريكا باطل، أمريكا شر، إسرائيل شر وباطل، جهات كلنا نعرف أنَّها جهات على باطل، وأنَّ تحركها حتى في ساحتنا الإسلامية لا يمكن أن يكون لخيرٍ، ولا بخير، ولا لصلاح، ولا بحق، ولا لحق أبدًا، جهات نعرف جميعًا أنَّها جهات شر، جهات ضلال، جهات فساد، جهات طغيان، فاعرف أنَّ كل ما هو امتداد لها، ومرتبطٌ بها، ومتصلٌ بها: أنَّه لن يكون إلَّا شرًا،

وفسادًا، وضلالًا، وباطلًا، مهما حمل من عنوان: سواء أتى بعنوان ديني، أو أتى بعنوان علماني، أو أتى بعنوان قومي... بأي عنوان، افهم أنَّه يكذب في عنوانه، وأنَّ العنوان الذي حمله، إنَّما حمله للخداع والتضليل للسذج والمخدوعين، والذين- **أيضًا**- يريدون أن تقدَّم لهم عناوين للتغطية على حقيقة ميولهم، وعلى طبيعة انحرافهم؛ **لأن** البعض من الناس تكون الصورة واضحة لهم، ولكن يرغب أن يكون للموضوع عنوان يتستر به، وهو يعرف أنَّه عنوان مزور، وأنَّه لا ينطبق على واقعه بأيِّ حالٍ من الأحوال.

العناوين الزائفة

عندما تأتي لتتأمل كثيرًا من الوقائع والأحداث التي تحرك فيها التكفيريون، وحملوا عنوان الجهاد، بدءًا من حرب أفغانستان، كان من الطبيعي أن يكون هناك- **مثلًا**- جهاد في أفغانستان؛ لإخراج المحتل السوفيتي، ولكن ليكون تحركًا صادقًا، نابعًا من إرادة تحرر، وليس من استغلال لصالح أمريكا، آنذاك ما الذي حصل؟ أمريكا كانت ترغب، وضمن حربها الباردة مع الاتحاد السوفيتي السابق، أن تعمل على إضعاف الاتحاد السوفيتي، وتنتقم منه ضمن برامج وأنشطة واسعة لها واستهدافات متنوعة؛ تسعى إلى تقويضه، والتخلص منه، والدفع به إلى حافة الانهيار؛ فتحركت بوسائل وعناوين وطرق متعددة، واحدة من هذه الوسائل التي تحقق لها هدفين:

الهدف الأول: الإضعاف- آنذاك- للاتحاد السوفيتي، والاستنزاف له.

الهدف الثاني: العمل على السيطرة على أفغانستان بشكل مباشر من جانب أمريكا، فما الذي عملت أمريكا؟ اتجهت إلى النظام السعودي، ومعه بعض دول الخليج، على أساس أن يقوموا بالآتي:

أولًا: يعملون على توفير طاقة بشرية، وتغطية الموارد البشرية بتجميع عشرات الآلاف، أو مئات الآلاف من المقاتلين الذين يذهبون إلى أفغانستان ليقاتلوا هناك باسم (الجهاد في سبيل الله)؛ لإخراج الاتحاد السوفيتي بعد استنزافه، وفي النهاية تتمكن أمريكا من المجيء وتحتل، فيرفع عنوان الجهاد؛ **لأنه** عنوان سيحاط بفتاوى دينية من علماء البلاط لدى السعودية وأمثالها، والمرتبطين بها في العالم الإسلامي، ثم يدفع بالشباب من كافة المناطق والبلدان العربية والإسلامية للتحرك إلى هناك، تحت عنوان الجهاد المقدس والواجب، والذي صدرت به فتاوى من فلان الذي هو من هيئة كبار العلماء، وفلان مفتي دولة كذا، وفلان الذي هو كذا، و... بألقابهم، وأسمائهم، وأساليبهم المعروفة للترويج والإقناع، ثم أن تقوم **أيضًا** بالتمويل لمستلزمات هذه الحرب، التمويل المادي، توفير المال اللازم، وتحمل الكلفة اللازمة لتلك الحرب.

قام النظام السعودي ومعه بعض الأنظمة- لكن هو الذي تولى المسألة بالدرجة الأولى- قام بكل هذا الدور، وبقيادة هذا الدور، كلفة مادية، زخم بشري، تحشيد كبير **جدًّا** من مختلف البلدان التي انطلق منها الكثير والآلاف من الشباب، في بعض الإحصائيات أنَّ الذين تحركوا من اليمن للمشاركة في أفغانستان: - تقريبًا- ستون ألف مقاتل، تحت عنوان (الجهاد في سبيل الله)، آنذاك قالوا: [أفغانستان بلد محتل، وبما أنَّ الاتحاد السوفيتي احتل أفغانستان؛ يلزم- وجوبًا- كل شعوب المنطقة أن تذهب للجهاد في أفغانستان حتى تطهر أفغانستان، وتعمل على تنظيفها بالكامل من سيطرة الاتحاد السوفيتي]، انتهت المسألة، تحققت أهداف أمريكا في الاستنزاف الهائل للاتحاد السوفيتي، وإلحاق نكبة كبيرة به على المستوى الاقتصادي، وأن تستنزف الأمة الإسلامية، وتقدِّم الشعوب العربية تضحيات كبيرة **جدًّا**،

وتقدم تلك الدول العربية مبالغ هائلة **جدًّا**؛ لتمويل تلك الحرب والقيام بتكلفتها، العنوان كان عنوان (الجهاد في سبيل الله).

لماذا لم يجب هذا الجهاد بنفسه في فلسطين؛ لإنقاذ الشعب الفلسطيني، لدحر إسرائيل؟ لماذا لم يصدر علماء النظام السعودي في هيئة كبار العلماء ومفتوه وغيرهم- آنذاك- نفس الفتوى لتحرير فلسطين من سيطرة إسرائيل؟ واضح؛ **لأن** المسألة باعتراف الأنظمة العربية، وباعتراف الأمريكيين أنفسهم، وباعتراف بعض قادة تلك الجماعات التكفيرية، الثلاثة اعترفوا : (**المُخَطِّط، والمُمَوِّل والمُحَرِّك، والمُنَفِّذ**)، ثلاثتهم اعترفوا: أنَّ مسألة التحرك للقتال في أفغانستان- آنذاك- كانت بإرادة أمريكية، ورغبة أمريكية، وطلب أمريكي، إذًا لا تتوقع من أمريكا أن تطلب منك خيرًا، أن تطلب منك ما هو رضى لله، وهو في نفس الوقت يمثِّل مصلحة حقيقية لها؟ ألم يكن بالإمكان أن يكون هناك جهاد غير مرتبط بأمريكا، ولا يحظى بالتمويل- طبعًا- الخليجي من النظام السعودي وغيره، ولا يحظى بذلك الإقبال، والالتفاف الواسع، والزخم الكبير من الفتاوى ونحوها؟.

ثم ماذا كانت النتيجة؟

في النهاية ما الذي حدث؟ بعد الاستكمال لإخراج السوفيت من أفغانستان، والسيطرة التامة عليها، فيما بعد وبعد وبعد، أتت أمريكا، احتلت أفغانستان، وأصبحت أفغانستان بلدًا محتلًا من أجنبيٍ كافر، بحسب التسميات التي يركِّز عليها أولئك، فما الذي حصل؟ لم يأتوا من جديد ليقولوا: [وَجَبَ نفس الجهاد الذي وَجَبَ- آنذاك- أيام احتل الاتحاد السوفيتي أفغانستان]، لماذا؟ لأن المحتل اليوم هو الأمريكي، تلك الفتاوى، ذلك التحرك النشط في مختلف

البلدان العربية والإسلامية، أولئك الخطباء، والمرشدون والمفتون، وغيرهم، كل أولئك سكتوا، ولم يأتوا من جديد بمثل ما فعلوا أيام الاتحاد السوفيتي، لماذا لا يفعلون مثلما فعلوا- آنذاك- ويتحركون في ساحتنا العربية والإسلامية لاستنفار المسلمين، والوجوب الحتمي واللازم والفوري للجهاد ضد أمريكا في أفغانستان؟ **لأن** المحتل هو الأمريكي، والقوم يتحركون وفق البوصلة التي يحددها الأمريكي، **يعني**: أنَّهم يتحركون بعنوان (الجهاد) أين ما أرادت منهم أمريكا أن يتحركوا، لم يجعلوا من فلسطين أولوية لتحركهم نهائيًا، لا آنذاك، ولا اليوم، ولا قبل اليوم، ولن يجعلوها بعد اليوم، فلسطين وفيها مساجد مقدَّسة، فيها ثالث الحرمين الشريفين (الأقصى الشريف)، مكان مقدس، يعترف المسلمون بقدسيته، وأرض مباركة، وفيها الكثير- **أيضًا**- من المشاهد و**كذلك** المقدسات المتعددة، ومع ذلك بمكانتها حتى داخل الثقافة الإسلامية لم يجعلوها من أولوياتهم أبدًا، لم يجعلوا إسرائيل العدو رقم واحد، يرفضون ذلك نهائيًا، مع أن الله يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ [المائدة: من الآية٨٢]، مع ما يفعله اليهود الصهاينة، وما فعلوه عبر كل هذا التاريخ من بداية غزوهم لفلسطين وإلى اليوم، ومؤامراتهم على الأمة بكلها، ولم يقبلوا أن يجعلوا أمريكا في تصنيفهم هي العدو بشكلٍ جاد وحقيقي؛ فيتحركون وفقًا لذلك، ولمناهضتها بالفعل. إلا، جعلوا بوصلتهم تمامًا في سوريا إلى حيث تريدهم أمريكا وإسرائيل أن يكونوا، وكان موقفهم متطابقًا مع الأمريكي والإسرائيلي، والفارق لم يكن إلَّا في العناوين، وإذا لم يكن الفارق إلَّا في العناوين، والمضمون واحد، والتوجه واحد، والموقف واحدٌ في أصله؛ فاعرف أنَّ ذلك من الباطل.

قوى الشر.. تعدد العناوين ووحدة الموقف

اتجهت بوصلتهم في العراق بوصلة واحدة، اتجهت بوصلتهم في اليمن لتكون بوصلة واحدة، وإذا بموقف- **مثلًا**- الزنداني، صعتر... بعض علماء التكفيريين، لا يختلف- نهائيًا- عن موقف مَنْ؟ نتنياهو! الموقف لنتنياهو، الموقف للداعشي، الموقف للقاعدي، الموقف للأمريكي تجاه الحرب على شعبنا اليمني نفس الموقف، وكلٌ منهم يسعى إلى إبادة هذا الشعب، وإلى ضرب أحراره، وإلى القضاء عليهم، كلٌ ينادي: نتنياهو ينادي، الزنداني ينادي، صعتر ينادي، فلان وعلان... كم من خطبائهم، كم من قادتهم، كم من رموزهم ينادي؟ ترى الموقف واحدًا، ويتحركون في جبهة واحدة، تأتي القاعدة لتقول: [نحن نقاتل الحوثيين في إحدى عشرة جبهة]، **يعني**: يقاتلون الشعب اليمني في إحدى عشرة جبهة، إلى جانب مَنْ؟ أيّ جبهات هذه؟ هي نفسها تلك الجبهات التي يديرها السعودي، ويشرف عليها الأمريكي، وترى الجميع يتحركون في اتجاه واحد، العدو واحد، والموقف واحد، فقط تختلف العناوين: الأمريكي له عنوانه، السعودي له عنوانه، والداعشي له عنوانه، والموقف هو واحد، يتجهون في جبهات موحَّدة للعداء ضد أطراف معينة هنا أو هناك؛ فاعرف أنَّهم على باطل، وأنَّ الموقف القاعدي، الداعشي، التكفيري بكل أشكاله، هو امتداد للموقف الأمريكي والإسرائيلي، وما كان امتدادًا للموقف الأمريكي والإسرائيلي من اليقين والمؤكَّد أنَّه باطل، لن يكون أبدًا حقًا ولا بحق نهائيًا. فالمسألة ليست مستعصية على الفهم.

فإذًا، عملية التحريف من خلال استغلال هذا العنوان، وتشغيله في غير مواضعه، وإطلاقه على غير مصاديقه: هو واحدة من الوسائل التي تؤثِّر سلبًا في التفاعل مع العناوين هذه في مضمونها الحقيقي، ومضمونها الصادق،

ومفاهيمها الصحيحة المتطابقة مع القرآن الكريم، من حق شعبنا اليمني المسلم- بهويته الإيمانية- أن ينطلق في الدفاع عن نفسه، وهو معتدىً عليه من قوى ظالمة ومعتدية وباغية، وترتكب بحقه أبشع الجرائم، من حقه أن ينطلق بعنوان (**الجهاد في سبيل الله**)؛ فيتحرك بدافع إيماني، ويلتزم بالضوابط والأخلاق والتشريعات والتوجيهات التي يلزم بها المسلمون في قتالهم، وهم يقاتلون من يعتدي، من هو ظالم، ومجرم، وطاغية، ومستكبر، ومتجبر... يتحركون للتصدي له بتلك الضوابط والأسس، وفق الطريقة التي رسمها الله في كتابه وسمَّاها (**جهادًا**)، طريقة لها دوافعها النبيلة والمشرِّفة، لها منهجها الراقي والعظيم والعادل.

تجد حتى على مستوى الممارسات، يأتي أولئك بكل أشكالهم الذين في صف العدوان، ويثبتون بممارساتهم الإجرامية: إنْ من خلال القصف العشوائي بقنابل الطائرات وصواريخها للمدنيين وللمصالح العامة، وارتكاب أبشع المجازر الجماعية بحق الناس، وإنْ بممارساتهم مع الأسرى: من تعذيب، من جرائم، من انتهاكات، وصولًا إلى الفظائع التي باتت اليوم معروفة عنهم، وتتحدث بها حتى التقارير الدولية والأممية، من: (انتهاكات للأعراض، من اغتصاب، من جرائم بشعة **جدًّا**...)، كيف يمكن أن نقول عن أولئك أنَّهم جهات في حق وعلى حق؟!

الاستغلال السلبي للعناوين الرئيسية وضرورة المواجهة

فنحن في هذا الزمن نلحظ كيف ظُلِمت الأمة فيما فصلت به عن المسؤولية الرئيسية المهمة التي تنطبق مع المفاهيم القرآنية، ومع ما عليه رسول الله ﷺ وينبغي أن نكون متنبهين أنَّ الاستغلال السلبي من البعض لهذه العناوين لا **يعني** أن نعطِّل هذه العناوين، ولا **يعني**

أن نتركها، ولا أن نهجرها، ولا أن نبتعد عنها فيما هي عليه كعناوين، وبمضامينها الصحيحة، بمضامينها الصادقة، بمصاديقها في الواقع، بالالتزام بما يتعلق بها من: منهج، ومبادئ، وتعليمات إلهية من الله ﷻ في الواقع؛ حتى لا نقبل بأن تكون مشوهة، وبالتالي محذوفة ومشطوبة، فلا نجد لها وجودًا إلّا في القرآن، ثم تُغَيَّب عن الواقع. |الا|، لتستخدم بصدق في واقعها، ولا تعطل لاستغلال أولئك لها بشكلٍ سلبي.

الأعداء أنفسهم هم رغبوا في ذلك: أن تستخدم بشكل مشوه؛ حتى يشمئز الإنسان عندما يسمع مفردة (**جهاد**)، أو مفردة (**أمر بمعروف**)، ينطبع في ذهنيته عندما يسمع كلمة (**جهاد**): التصرفات التي يمارسها التكفيريون، الجرائم الوحشية والبشعة التي يرتكبونها، أو ينطبع في ذهنيته عندما يسمع (**أمر بمعروف ونهي عن منكر**): ما عليه- **مثلًا**- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية، التي لديها اهتمامات هامشية، وأشياء عجيبة وغريبة **جدًّا**، وتمارسها بحق المواطن العادي فقط، وتعطِّل قضايا رئيسية وكبيرة، وعناوين عظيمة ومهمة تصلح واقع الحياة، أو ينطبع في ذهنيته- **كذلك**- في مسألة (**إقامة الحق والعدل**) ينطبع في ذهنه: تنظيم داعش، أو ينطبع في ذهنه فئة هنا أو هناك، كل أولئك أُرِيد منهم- من جانب أعداء الأمة الإسلامية- أن يحملوا هذه العناوين، ليشوهوا هذه العناوين في ذهنية الناس؛ حتى يفصلوا الناس عن هذه العناوين في مضامينها الصحيحة، كما وردت في القرآن، وفي حركة رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- أُرِيد لهم ذلك، وفعلًا أثَّروا في ذلك في ذهنية الكثير من الناس الذين لم يفهموا بعد كيف هي المضامين الصحيحة لتلك العناوين؛ فتأثروا تأثرًا سلبيًا.

فنحن معنيون أن نعود إلى هذه المعالم، وأن نعرف أن الأصالة في الإسلام هي: أن نلحظ هذه المعالم الرئيسية كما هي في القرآن، أنَّ الإنسان الصادق، وأنَّ العالم الرباني- الذي هو عالم حقيقي- هو من يتحرك ويعطي هذه المعالم الأساسية نفس مستواها من الأهمية، بحسب ما وردت في القرآن، وبحسب ما كانت في حركة رسول الله ﷺ وأنَّ الذي يهمِّش هذه المسائل ويتجاهلها؛ هو يظلم نفسه ويظلم الناس، هو لا يتجه في الاتجاه الصحيح المنسجم مع القرآن، والمقتدي برسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- هو يؤثِّر على الناس سلبًا؛ حينما يغيب عن ذهنيتهم ومن واقع اهتماماتهم مسائل أساسية، لا تجاهلهم لها، ولا تغييبهم لها، ولا تنكرهم لها سيفيدهم، إنما سيضرهم، إنما تكون النتيجة التمكين للطغاة، التمكين للأعداء، التسليط للأعداء، وهذه نتائج كارثية **جدًّا**.

نتيجة التجاهل للمعالم الأساسية في الإسلام

الأمة مكثت- في كثيرٍ من أبنائها- على مدى أجيال تتجاهل هذه المسائل: لا عدل، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا ولا... إلخ. بل يروَّج للمفاهيم الأخرى: أنَّه لا مانع من استحكام سيطرة الطاغوت والظالمين والمجرمين، وأن يديروا هم شؤون الأمة، وأن وأن... وشطبت تلك المسائل من برنامج الأمة كلها، من موقع السلطة والقرار إلى المواطن العادي شطبت مسألة: (العدل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد في سبيل الله...)، كل ما يتصل بذلك وفق مفاهيمها الصحيحة شطبت، خرجت عن دائرة الاهتمام، يأتي لك الأمير، أو الزعيم، أو الملك، أو... بأي مسمى والموضوع مشطوب عنده، خلاص، مسألة ما لها لزوم عندهم، ليست من الدين، ولا لها أهمية عندهم، وشطبت في أنشطة واهتمامات كثير من العلماء، يسمى عالمًا كبيرًا، ويطلق عليه- **أيضًا**-

ألقاب معينة: البعض قاضي القضاة، البعض شيخ الإسلام، البعض... كم من الألقاب، ويشطب المسألة، لا تدخل ضمن أنشطته، ولا تثقيفه، ولا تعليمه، ولا نصحه، ولا مواعظه، ولا اهتماماته بأي شكل من الأشكال، ثم في بقية واقع الأمة، وصولًا إلى الإنسان العادي الذي هو ضحية ما هناك وهناك، النتيجة ما هي؟ النتيجة: أن تستحكم المظالم، ينعدم العدل إلى حدٍ كبير، تكثر المفاسد إلى حد كبير **جدًّا**، ثم على المستوى التربوي: تُربَّى الأمة تربية لِتَقَبُّل الظلم، تألف المفاسد ولا تشمئز منها، كثير من المفاسد والمنكرات و**كذلك** المظالم تحصل وتتأقلم مع ذلك الواقع إلى أن يصل إلى مستوى فظيع **جدًّا جدًّا**.

عندما نأتي إلى القرآن الكريم لنرى العواقب السيئة لهذا التجاهل، لهذا الإعراض، لهذا الإهمال الذي هو عصيان لله ﷻ في مسائل مهمة **جدًّا** أمر بها، وألزم بها، وأكَّد عليها، ووعد وأوعد بشأنها: وعد فيما إذا أطيع فيها، وتوعَّد فيما إذا عصي فيها، المسألة ليست سهلة، الله ﷻ قال في كتابه الكريم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]، تجد سخطًا كبيرًا **جدًّا**، لعنًا من أنبياء الله، ومن الله ﷻ ووعيدًا شديدًا بالعذاب، وبالسخط الإلهي، والعذاب الأبدي: الخلود في جهنم، ومن أبرز ما حصل وتسبب في ذلك كله، (**لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ**)، و(**يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**)، انحراف كبير **جدًّا** في مسألة التناهي عن المنكر؛ هيأ الساحة لأن تمتلئ بالمنكرات، وتكبر فيها المنكرات، وتعظم فيها المنكرات، إذا ما هناك نهي، و**كذلك** فيما

يتعلق- **أيضًا**- بالتولي للأعداء؛ هذا ينتج عنه- حتى- تبعية لهم في كثيرٍ من المواقف والسياسات، ويدخل أثر ذلك إلى واقع الأمة، إلى كل شؤون حياتها: إلى اقتصادها، إلى إعلامها، حتى إلى السلوكيات الاعتيادية في الحياة، اليوم ألا نرى آثار هذه التبعية في ساحتنا الإسلامية، حتى في قَصّة الشعَر، حتى في الملابس والزي، حتى في أشياء كثيرة، ترى الكثير يتطلع إلى هناك، من كبير الأمور إلى صغيرها، تبعية بشكل أحمق حتى، وبشكل غريب وساذج.

فإذًا، المسألة عندما نأتي لنقول: لا لزوم لكل هذه المسائل، ما الذي ينتج عنه؟ في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (**لَتَأمُرُنَّ بِالمَعرُوفِ وَلَتَنهُنَّ عَن المُنكَرِ**- وفي بعض الروايات: **ولَتَنهَوُنَّ عَن المُنكَرِ- أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيكُم شِرَارَكُم، ثُمَّ يَدعُوا خِيَارُكُم فَلَا يُستَجَابُ لَهُم**)، النتيجة: هي التسليط للأشرار، وهذا الذي حصل في واقع الأمة، أشرار الأمة هم المتسلِّطون عليها في كثيرٍ من المناطق، وهم المسيطرون عليها، وهم المتحكمون في شؤونها، وهم على قمة زعامتها وإدارة شؤونها بما يخدمهم، وما يضر بالناس، بما له أبلغ الأثر والضرر وأقساه في واقع الناس، وفي حياتهم، في كل شؤون حياتهم.

فنحن معنيون- اليوم- من واقع ما نعاني كشعوب مظلومة تتطلع إلى العدل، تحتاج إلى العدل، تحتاج إلى الخير، تحتاج إلى التربية الإسلامية والإيمانية الصحيحة، التي تزكو بها النفوس، التي تنمِّي معنى الكرامة ومعنى الحرية في أعماق النفوس، التي تربينا على الخير والصلاح والزكاء والطهارة، التي تعود بنا إلى قيمنا وأخلاقنا القرآنية والإسلامية، التي تعيدنا إلى الصراط المستقيم؛ فنتمسك بالقرآن منهجًا، ونقتدي بالرسول صلى الله عليه وآله قائدًا وأسوةً ومعلمًا، نحتاج إلى هذا كله، ونحتاج **أيضًا** إلى استعادة المَنَعَة والقوة لنواجه التحديات؛ **لأننا** إن رضينا لأنفسنا بالضعة، والهوان، والضعف، والعجز؛ النتيجة أن نخسر كل

شيء: دنيانا وآخرتنا، فتكون المسألة كارثية علينا **جدًّا**، إذا أردنا أن نستعيد القوة، والعزة، والكرامة، والمنعة، وأن نكون في مواجهة التحديات في موقع القوة، **يجب** أن نعود أولًا إلى تلك المبادئ، إلى تلك الأخلاق، إلى تلك المعالم الرئيسية؛ لنبني عليها حياتنا، حينئذٍ سنستعيد القوة، بل سنكون في مواجهة التحديات والأخطار من واقعٍ قوي، قوَّتنا ستبدأ أولًا بقوة إيماننا، بقوة وعينا، بقوة إرادتنا، بصحة وسلامة نظرتنا، بفهمنا الصحيح والواقعي للحقائق من حولنا، وفي حياتنا، وفي إدراكنا للتحديات والأخطار القائمة والموجودة، والتي لا يجدينا أن نغمض أعيننا عن مشاهدتها، أو عن التنبه لها، ولا أن ندسَّ رؤوسنا في التراب كالنعامة. إلا، لابدَّ أن نستيقظ، أن نستشعر المسؤولية، أن نتحرك، أن نعي جيدًا أننا بحكم إسلامنا وقرآننا والاقتداء بنبينا المعنيون أولًا وأخيرًا لنتحرك بتلك المبادئ والقيم للدفاع عن أنفسنا، وعن حريتنا، وعن كرامتنا، وعن استقلالنا، ولإقامة العدل في حياتنا، ولدفع الظلم عن أنفسنا ومن واقعنا **أيضًا**، نحن المعنيون بذلك، مسؤولية علينا أمام الله ﷻ يسألنا عنها يوم القيامة، يعاقبنا على التفريط بها وفيها في الدنيا والآخرة.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

المحاضرة الثامنة

٨ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

بغياب المعالم الأساسية في الإسلام

خسرت الأمة موقعها

بناءً على ما سبق في المحاضرات الماضية، وبالنظر إلى القرآن الكريم، وإلى حركة ومسيرة رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- يتجلى لنا الفداحة الكبيرة لخسارة الأمة، خسارة رهيبة، وخسارة فادحة تكبدتها بغياب تلك المعالم الرئيسية والمبادئ العظيمة عن واقع الحياة، عن مشروع الأمة، عن حركة الأمة، عن واقع الأمة، وبالنظر لطبيعة مشروع الإسلام التربوي والحضاري والثقافي الذي يصلح حياة البشرية، والذي يُبنى عليه في الواقع، في كل مسارات الحياة، وفي كل اتجاهات الحياة، ما يصلح هذه الحياة، ما

ينعكس أثره، ويتجلَّى أثره في واقع الحياة استقرارًا، وخيرًا، وحلًّا للمشاكل التي تعاني منها البشرية، يتجلَّى لنا بالابتعاد عن ذلك ما وقعت فيه أمتنا الإسلامية من معاناة ومشاكل كثيرة، وما وصلت إليه في واقعها وظروفها، وبالتالي خسارة البشرية من حولها؛ **لأن** الأمة الإسلامية لو بقيت مرتبطة بتلك المعالم في القرآن الكريم، وفي حركة رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- وبنت واقع حياتها، ومسارات حياتها على أساس تلك المبادئ؛ لصلح واقعها، ولكان لها دورها الريادي، الخيِّر والمؤثِّر والإيجابي في مسيرة البشرية جمعاء، فامتد أثر هذا الخير إلى أرجاء المعمورة، وإلى أوساط البشرية كافة، ولكن فرَّطت، وضاعت وأضاعت البشرية من حولها.

وكما قلنا: هذا الضياع الذي وصلت إليه الأمة، هذه الفجوة الهائلة والكبيرة بين الأمة وبين تلك المبادئ العظيمة، البارزة والحاضرة بشكل كبير **جدًّا** في القرآن، وفي أداء الرسول وحركته وتطبيقه، هذه الفجوة لم تأتِ من فراغ، كان هناك مَنْ عَمِل، مَنْ صَنَعَ هذه الفجوة، ومن أسس لابتعاد الأمة عن هذه المبادئ والمعالم العظيمة، وامتد هذا التفريط، وهذا التقصير، وهذا الابتعاد جيلًا بعد جيل؛ حتى وصلت الأمة إلى ما وصلت إليه.

سبق الحديث في الإشارة إلى بني أميَّة، والتأكيد على أنَّهم لعبوا دورًا رئيسيًا في هذا الانحراف، وسنتحدث اليوم عن هذا الدور، على أساس الوقائع التاريخية من جانب، وقبل الوقائع والحقائق التاريخية على ضوء ما قدَّمه رسول الله ﷺ.

نظرت رسول الله للمستقبل بتنوير الله ورعايته

من الأشياء المهمة التي ينبغي الالتفاتة إليها: أنَّ رسول الله ﷺ كان يفكر في مستقبل الأمة؛ فهو بالتالي هو نبي الأمة إلى يوم القيامة، هو رحمةٌ للعالمين، وعبر ما تبقى من أجيال، وعبر ما بقي من فترة البشرية، **يعني:** لم يكن نبي عصره فحسب، ولا رسول زمنه فقط، هو رسول الله ﷺ للبشرية، وإلى البشرية كافة، للناس كافة بشيرًا ونذيرًا منذ عصره وإلى قيام الساعة؛ وبالتالي نظرته إلى المستقبل هي نظرة مرتبطة- **أيضًا**- بطبيعة مسؤوليته ودوره، وبالتأكيد ذات صلة لما يأتيه من وحي الله ومن هدى الله ﷻ **يعني:** ليست نظرة شخصية، ولا ينطلق فيها من استشراف للمستقبل بدافع شخصي واهتمام شخصي، ومن واقع شخصي منفصل عن الوحي الإلهي. إلا؛ **لأن** الله رب العالمين وأرحم الراحمين -جلَّ شأنه- هو لا يلحظ فقط- مثلًا- واقع البشر في عصر النبي فحسب. إلا، إنَّ الله- الذي هو ربُّ العالمين- هو -جلَّ شأنه- سيشمل برعايته، ويشمل برحمته البشرية كلها إلى قيام الساعة، بحيث يتيح لهم فرصة الخلاص، ويتيح لهم ويهيئ لهم فرصة النجاة، **بمعنى:** أنَّ الله ﷻ لا تأتي رحمته مرتبطة بزمن معين، ورسول الله رحمة الله للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، هذه الرحمة للعالمين ليست مزمنةً لثلاثة وعشرين عامًا في عهد النبي محمد ﷺ ومن بعد ذلك تقفل هذه الرحمة، وتنتهي هذه الرحمة. إلا، رحمة تمتد إلى قيام الساعة، ما بقي للبشرية باقية، وما دام التكليف قائمًا في هذا الواقع في الحياة، ولكن هذه الرحمة لها امتداداتها، التي سنأتي إلى الحديث عنها، امتدادها كمشروع يمتد، تضمَّنه القرآن الكريم، وامتدادها من موقع القدوة والقيادة، بمثل ما سبق لنا في الحديث عن الإمام علي عليه السلام وعن الإمام الحسن، عن الإمام الحسين،

عن أهل البيت عليهم السلام عن الصالحين والأخيار من أبناء الأمة.

فهذا الامتداد الذي هو امتداد لخط الهداية، للمشروع الإلهي، لبرنامج الإسلام المقدم للأمة، فيه ما يزوِّد هذه الأمة بالرؤية التي تبني عليها حياتها، وفيه ما يقدِّم لها التربية اللازمة التي تصلحها؛ لتكون بمستوى النهوض بمسؤوليتها، الإسلام مشروع عظيم، فيه تربية، وفيه تعليم، فيه حكمة، وفيه رشد، وفيه ما يساعد على الاستقامة على المستوى السلوكي والعملي، وفيه برنامج متكامل للحياة في كل اتجاهاتها، ليس فقط مجرد طقوس لا نعثر على هذا الإسلام إلَّا من خلالها، نعيش الإسلام في جوها فحسب في داخل المساجد، وانتهى كل شيء. إلا، برنامج متكامل، وهذا البرنامج يتجه إلى الإنسان فيصلحه، يزكيه.

جانب التزكية جانب أساسي جدًّا في القرآن الكريم، آيات كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع، وقُدِّم كمهمة رئيسية في حركة رسول الله، وللقرآن نفسه: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾[البقرة: من الآية١٢٩]، بهذا التعبير القرآني وهو يعدد المهام الرئيسية لرسول الله صلى الله عليه وآله تجد **كذلك** في حركة الأنبياء السابقين، تجد في النصوص القرآنية المتعددة تركِّز على موضوع التزكية، ومسار حياة الإنسان في فلاحه يتوقف على هذا الجانب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾[الشمس]، النفس البشرية فلاحها متوقف على مسألة التزكية؛ لكي تبقى الأمة مرتبطة بهذا المشروع في كل جوانبه: فيما يقدِّمه كرؤية، فيما يقدِّمه كتشريعات، فيما يقدِّمه من: (بصائر، وتوعية، ونور، وهداية شاملة)، فيما يقدِّمه- **أيضًا**- من تربية لهذا الإنسان، وتزكية لهذا الإنسان، **يجب** أن تبقى الأمة مرتبطة بهذا المشروع من واقع حياتها، لا تنفصل بشؤون حياتها في اتجاه، وتترك هذا المشروع بكله هناك في اتجاهٍ آخر؛ وإلَّا ابتعدت عنه تلقائيًا، وخسرت الارتباط به، وما يترتب على هذا الارتباط من: آثار إيجابية، ومن نتائج عظيمة في

واقع الحياة، ومن استقامة في واقع الحياة.

الخطر الذي شكله بنو أمية على الأمة بعد وصولهم السلطة

الذي عمله بنو أميَّة منذ وصولهم إلى موقع السلطة والقرار، وهذا أخطر موقع يمكن أن يؤثِّر سلبًا على الأمة، عندما يصل إليه أمثال بني أمية، عندما يصل إليه جائرون، ظالمون، مفسدون، الموقع الأهم الذي ينبغي أن تدار شؤون الأمة من خلاله، بناءً على منهجها، على شرعها، على تلك المبادئ، على أساس تلك المبادئ والقيم والتشريعات والتوجيهات الإلهية. بنو أميَّة عندما وصلوا إلى هذا الموقع كان هذا يمثِّل خطورة كبيرة **جدًّا** على الأمة.

الرسول صلى الله عليه وآله وبالنظرة المستشرفة للمستقبل على أساسٍ من الوحي الإلهي، كان يستشعر هذه الخطورة على مستقبل أمته، ونبَّه عليها، وحذَّر من هذا، وهذا تمام الحجة، الرسول صلى الله عليه وآله يؤدِّي هذا الدور من موقعه كنذير؛ **لأنَّه** منذر ومبشر، وإنذاره ليس فقط إنذارًا من العذاب بالنار فحسب، هذا جانب رئيسي في إنذاره، ولكنه ينذر تجاه المخاطر الكبرى المحيطة بالبشرية بشكلٍ عام، و**أيضًا** المخاطر التي ستواجهها أمته.

ولهذا أبرز الأخطار التي يمكن أن تواجهها الأمة سبق له صلى الله عليه وآله أن حذَّر منها، أن أنذر منها، ضمن وظيفته كمنذر، ضمن مهامه الرسالية، والتي منها أنَّه النذير المبين، وخطر بمستوى خطر بني أميَّة، وتهديد للأمة بمستوى ذلك التهديد، لن يغيب عن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله وعن ما يزوِّده الله به، والله هو عالم الغيب والشهادة، والعليم بمستقبل الأمة؛ فلذلك علَّم نبيه

ﷺ بأبرز الأخطار والمحطات الفاصلة والمصيرية التي يمكن أن تواجهها الأمة، وأتى منه بشأنها هداية، منها نصوص في القرآن الكريم، ومنها- **كذلك**- نصوص نقلتها الأمة، وتوارثتها الأمة، وبقيت في أوساط الأمة، حتى بالرغم من حساسيتها، **يعني**: بعض النصوص حسَّاسة للغاية، ومحاربة **جدًّا**، وبُذلت جهود كبيرة في سبيل التخلص منها؛ حتى لا تبقى متوارثها في أوساط الأمة، أو تنقل عبر أي جيل، ونُقِلت كثير من النصوص المهمة، يُنقل الإنذار **مثلًا**، ويُنقل- في مقابله- ما يمثِّل خلاصًا منه: (المشكلة، والحل)، الرسول نبه الأمة إلى المشاكل، عبَّر عنها، وضَّحها، كشفها، بيَّنها... التي يمكن أن تعترض هذه الأمة في مسيرتها في الإسلام، ومسيرتها في الحياة، **وكذلك** الحلول اللازمة، والوسائل التي قد تكفل لها الوقاية من كثير من هذه المشاكل.

فتنة بني أمية في النص القرآني

ورد في القرآن الكريم قول الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[الإسراء: من الآية٦٠]، هذه الآية تتحدث عن مسألتين:

المسألة الأولى: رؤيا أراه الله لنبيه في المنام، وهذه الرؤية تضمنت الكشف لفتنة خطيرة مقبلة على الناس، وتشير الآية القرآنية إليها: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

المسألة الثانية: في الفقرة الثانية من الآية المباركة نفسها: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، **يعني**: في نفس السياق الشجرة هذه فتنة، **(الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ)**، **كذلك (فِتْنَةً لِّلنَّاسِ)**، فما هي هذه الرؤيا؟ وما هي

هذه الشجرة؟ هل هي من النباتات البرية، وأصبحت شجرة خطيرة **جدًّا** على البشرية وعلى الناس؛ فأتى التحذير من القرآن حتى لا يأكل أحد من هذه الشجرة، أو من ثمارها، أو من غصونها؟

ورد في الأخبار والروايات أنَّ رسول الله ﷺ رأى في منامه رؤيا ملفتة **جدًّا**: رأى بني أميَّة وهم ينزون على منبره نزو القردة، يصدون الناس عنه، وكان المشهد مشهدًا رهيبًا، فظيعًا لهم وهم يصعدون إلى منبره- منبره فيما يعبِّر عنه كمصدر هداية- ويتحركون بنفس الحركة التي تتحرك بها القردة، ويصدون الناس عنه، عن نهجه، عن مشروعه، كمصدر هداية، والشجرة هذه التي قال الله عنها: ﴿الْمَلْعُونَةَ﴾، هل الله ﷻ يلعن الأشجار مثلما يفعل البعض إذا استاء من شيء لعنه، لو كان حجرًا أو شجرًا أو أي شيءٍ آخر؟ إلا. الله هو الحكيم.

كذلك ورد في الأخبار والروايات أنَّ هذه الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أميَّة، وهناك الحالة الاستثنائية في بني أمية لشخصية واحدة مختلفة بالنسبة لأمرائهم طبعًا، كان عمر بن عبد العزيز هو الشخصية الاستثنائية فيما بينهم في سلوكه ومواقفه، بقية أمراء بني أميَّة منذ أول أمير منهم إلى آخر أمير كان اتجاههم سلبيًا في هذه الحياة، فهذا أولًا على مستوى النص القرآني في الرؤيا التي رآها النبي، ويقال في الروايات والأخبار: أنَّ رسول الله ﷺ لم يُرَ ضاحكًا بعد هذه الرؤيا، بات بقية أيام حياته حزينًا على مستقبل الأمة، وغير غريب عليه هذا، عندما نتأمل في النصوص القرآنية أنَّ الله يقول عنه في أسفه على قومه لماذا لا يؤمنون: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ [الكهف: من الآية٦]، **(لَعَلَّكَ بَاخِعٌ): يعني** تكاد أن تهلك نفسك من الغم أسفًا عليهم كيف لا يهتدون بهذا الهدى، الذي فيه فلاحهم وخيرهم في الدنيا والآخرة، غير غريب عليه أن يبقى حزينًا بعد ما رأى هذه الرؤيا التي عبَّرت وكشفت عن

الواقع المحزن، وعن هذا الدور التخريبي الخطير لأولئك في مستقبل الأمة. فرسول الله ﷺ في الروايات لم يُرَ ضاحكًا بعد هذه الرؤيا، وبقي حزينًا إلى وفاته، لم يضحك بعد هذه الرؤيا فيما ورد.

النصوص النبوية تكشف مستقبل بني أمية

على مستوى النصوص عن رسول الله ﷺ هناك جملة من النصوص المروية، ليست فقط- مثلًا- مروية عند الشيعة. إلا، هي مروية في تراث الأمة بمختلف مذاهبها وفرقها، في مصادر معتبرة لديها، مصادر لدى كل مذهب معتبرة، ومحترمة، ويعتمد عليها، جملة من النصوص التي كشفت عن هذ الدور التخريبي، نكتفي هنا بنص رئيس حتى نتحدث على ضوئه، وإلَّا هناك جملة من النصوص، سواءً عن أشخاص معينين من بني أميَّة، أو بشكلٍ عام، أحد النصوص تحدث عنهم، أنَّهم: **(إذا بلغوا أربعين رجلًا اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ دَغَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَمَالَهُ دُوَلًا)**، طبعًا اخترنا هذا النص؛ **لأنه** نص جامع، وعبَّر- بشكلٍ واضح- عن طبيعة هذا الدور التخريبي، ومسارات هذا الدور التخريبي، وطبعًا هم وصلوا إلى السلطة واستحكم دورهم عندما بلغوا إلى هذا العدد، ويعتبر هذا النص من معجزات الرسول ﷺ التي تضمنت- فيما تضمنته- حديثًا عن المستقبل، واستشرافًا بالوحي الإلهي للمستقبل، وكان ذلك متطابقًا.

(اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ دَغَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَمَالَهُ دُوَلًا)، وهذا كان هو مسارهم، هذا هو ما فعلوه بالضبط في واقع هذه الأمة، اتجهوا إلى الأمة من واقع ما وصلوا إليه من سيطرة ونفوذ من موقعهم في السلطة، وكانت هذه سياستهم.

أول جناية جنوها على الأمة، وأكبر جناية وأخطر جناية كانت: هي في دينها، الدين هو الذي به صلاح الأمة، وإذا استقامت الأمة على دينها صلح

لها كل شيء، وصلح في واقعها كل شيء، الدين هو الأساس، فإذا تغيَّرت مفاهيم محسوبة على هذا الدين، وحُرِّفت مفاهيم محسوبة على هذا الدين، وأصبح الناس يتدينون بتلك المفاهيم المحرفة، والمفاهيم الخاطئة، والمفاهيم التي تم انتاجها لتكون محسوبة على الدين وما هي من الدين، ويتدين الناس بها تدينًا؛ تصبح هذه مشكلة خطيرة **جدًّا جدًّا** على الأمة، وبدلًا من أن يكون الدين مصدر خيرٍ وصلاحٍ وفلاح وإصلاح لها، تتحول تلك المفاهيم- المحسوبة عليه- مصدر إفساد للأمة، وهذا هو الدَّغَل: **يعني** الإفساد، وهذا ما عمله بنو أميَّة: هم شاهدوا أنَّ الأمة مرتبطة بالدين، بنو أميَّة كان لهم تجربة في محاربة الإسلام والرسول لمدة عشرين سنة، منذ بعثة الرسول بالرسالة حاربوه في مكة بالإعلام، والدعاية، والتعذيب للمسلمين... ووسائل كثيرة، وحاربوه بعد الهجرة النبوية لثمان سنوات حربًا عسكرية، إضافة إلى بقية الوسائل.

فتجربتهم لحربهم مع الإسلام لعشرين عامًا: أنَّ هذا الإسلام تَقَوَّى وانتشر وتمسكت به الأمة، وأنَّهم عاجزون- نهائيًا- عن فصل الأمة الفصل الكلي عن هذا الإسلام؛ فاتجهوا- في النهاية- بعد فتح مكة، بعد أن أُرغِموا على الدخول في هذا الإسلام، نتيجةً للتحولات من حولهم، ونتيجةً لوصولهم إلى حالة الاستسلام والعجز التام عن محاربة هذا الدين، دخلوا فيه بغير رغبة، التاريخ ينقل لنا كلمة: [وفي النفس منها شيء]، عندما أُرغِم أبو سفيان على الشهادة بالشهادتين، فقيل له: [وأنَّ محمدًا رسول الله]، قال في الأخير: [وأنَّ محمدًا رسول الله وفي النفس منها شيء]، عبارات أخرى معروفة في تاريخهم، لرموز بارزة منهم، تُعبِّر عن الكفر الذي استسره البعض منهم، وبقي كامنًا

في أنفسهم يعبِّرون عنه بين الحين والآخر.

الأمويون ومساراتهم في تحريف مفاهيم الدين

فاتخاذهم لدين الله دَغَلًا: هو أنَّهم يئسوا من فصل الناس عن هذا الدين بشكلٍ تام؛ فدخلوا بمدخل آخر، واشتغلوا بطريقة أخرى، مختلفة عن حربهم المباشرة ضد الإسلام وضد الرسول، إلى حرب بطريقة مختلفة، وباتجاهٍ آخر.

كيف يتم اتخاذ دين الله دَغَلًا؟ كيف يتم تحويل الانتماء إلى هذا الدين، والاستفادة من هذا الدين إلى حالة تساهم في إفساد الأمة والتأثير السلبي عليها، بدلًا من أن تكون حالة تُصلِح هذه الأمة؟ كما قلنا: المسألة تتجه إلى المفاهيم الدينية، إلى التشريعات الدينية.

نأتي إلى الدين: الدين جملة مفاهيم وتشريعات، مفاهيم وعقائد ومبادئ وتشريعات: هذا حلال، هذا حرام، هذه المسألة كذا، هذه العقيدة كذا، هذا المبدأ كذا... فمفردة مفاهيم تعبِّر- بالإجمال- عن هذه المبادئ، والتشريعات، والتوجيهات... ونحوها.

فعمدوا إلى التحريف بوسائل متعددة، واستغلوا البعض من علماء السوء ومن رواة الأكاذيب، الذين يختلقون ويفترون على الله وعلى رسوله الكذب، واعتمدوا عليهم.

مسار من مساراتهم: كان إنتاج مفاهيم باطلة من الأساس، وتُحسَب على الدين: مثلًا: يكلِّفون البعض لأن يصنع رواية وحديثًا مكذوبًا بالكامل، حديثًا لا أساس له من الصحة، يقول: [حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن

رسول الله أنه قال: كذا وكذا وكذا]، ويكون هذا بالافتراء التام، **يعني**: لا أساس لذلك، وطبعًا هذا كان يحصل حتى في عصر رسول الله ﷺ ومن بعد عصره، مشهور في السير والتواريخ والحديث أنَّه: كثر الكذب على رسول الله ﷺ في أيام حياته؛ حتى انزعج **جدًّا**، وخطب الناس على المنبر، وقال كلمته الشهيرة: (**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوأ مَقعَدَهُ مِن النَّار**)، بعد أن كثر الكذب عليه حتى انزعج، واستدعى الأمر إلى خطاب عام، يصعد إلى المنبر ويتحدث بهذا الكلام، واستمرت هذه الأكاذيب على رسول الله والافتراء عليه، والافتراء على رسول الله هو افتراء على الله، وهو كذب على الله ﷻ أي تزوير في الدين هو يعتبر افتراء على الله؛ **لأن** الدين محسوب على مَنْ؟ على أنَّه دين الله، وبالتالي أي تزوير فيه يحسب من الافتراء على الله الكذب، هذا المسار اشتغلوا عليه، وهو مسار خطير **جدًّا**.

المسار الآخر: تحريف لمفاهيم نصوص صحيحة: النص صحيح، ولكن يقدِّمون للنص مفهومًا آخر، معنىً آخر، تفسيرًا آخر، فيما يتطابق مع هوى أنفسهم، وهذا اشتغلوا عليه بشكل نشط وواسع **جدًّا**، وشغَّلوا كثيرًا ممن هم باسم علماء من علماء السوء، ومن الرواة، ومن القصاصين، وممن نسميهم في زمننا هذا بالمثقفين، شخصيات وفئات شغَّلوها بشكل كبير، والمعلمين، و...الخ. شغَّلوا فئات واسعة؛ تلقت على هذا- آنذاك- معاشات ومرتبات، واشتغلت، ومكافئات أحيانًا، البعض كان يروي حديثًا مكذوبًا على رسول الله، ويصنعه بمبلغ كذا وكذا، وهناك قصص كثيرة في التاريخ، لا يتسع الوقت للتطرق إليها، وليس المقام للتطرق إلى تلك التفاصيل.

أبشع أنواع الظلم والتضليل

حينما نأتي إلى القرآن الكريم، نجد أنَّ هذه المسألة خطيرة للغاية، خطيرة **جدًّا**، وتعتبر من أبشع أنواع الظلم، ومن أخطر أنواع الظلم: الظلم الثقافي، وهو يؤسس للظلم بكل أشكاله: للظلم بشكله العسكري، بشكله الأمني، بشكله الاقتصادي... في كل أشكاله الأخرى، أكبر ظلم وأول ظلم عندما تظلم الأمة في المفاهيم المحسوبة على الدين، عندما تُضلل الأمة، التضليل أكبر حالة خطيرة تظلم بها الأمة؛ ولهذا نجد أنَّ الله يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾، **يعني**: لا أظلم، هذه النوعية من الناس المفترين على الله الكذب هم في قائمة أظلم الناس للناس، هم في هذه القائمة، هناك فئات متعددة هي الأظلم، يأتي القرآن يعبِّر عنها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، بمثل ما نجده في هذه الآية المباركة، كل من قال عنهم القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، هم في الصف الأول من الظالمين للبشرية، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود]، يتضح لنا من هذا النص القرآني مدى خطورة هذا النوع من الظلم الذي مصدره علماء السوء، ومصدره- من نسميهم في هذا العصر- بعض المثقفين، الرواة، القصاصين، المعلمين... الذين يشتغلون على تقديم الدين إلى الناس، الذين يشتغلون في الخطاب الديني، الذين يشتغلون في التعليم الديني، الذين يشتغلون في تأليف الكتب التي تحتوي معارف باسم أنها معارف من الدين، هذه الفئة من الناس منهم من يشتغل على هذا النحو: يظلم الناس، وأيَّما ظلم! الذي ينتج مفاهيم باطلة يمثِّل كتابه الذي كتبه أخطر من سجن يسجن الناس فيه بغير حق، وأخطر-

أحيانًا- من معركة عسكرية مدمِّرة، المفاهيم خطيرة **جدًّا**، والظلم بها ظلم كبير **جدًّا**، يتضمن أولًا إساءة إلى الله ﷻ الكذب على الله من حيث هو كذب على الله أمر بشع وفظيع، وجرأة كبيرة على الله ﷻ من يكذب على الله، يقول: [في دين الله كذا وكذا، هذا من الله، من دينه] **يعني**: منه، وما هو من الله هو يعبِّر عن علمه، عن حكمته، عن رحمته، عن عزته... وما هو مكذوب يسيء إلى هذا كله: إما يسيء إلى عزة الله، أو يسيء إلى حكمة الله، أو يسيء إلى رحمة الله... أو يسيء إلى كل تلك التي تضمنتها أسماء الله الحسنى، يسيء إلى الله في كل شيء، في كل ما تفيده أسماؤه الحسنى، يسيء إلى: كمال الله، وجلاله، وعظمته، وألوهيته.

فأول مشكلة في الافتراء على الله: من حيث الجرأة على الكذب على الله ذنب فظيع وبشع، وقلة حياء من الله ﷻ ومن حيث ما يتضمنه ذلك المفتري، ما قدم باسم الله ونُطِق به عن الله، زورًا على الله، وافتراءً على الله، مما فيه إساءة إلى الله ﷻ ثم ما يترتب على الأخذ به في واقع البشرية من نتائج سيئة، فكرة معينة، قاعدة معينة، أو فتوى معينة؛ يترتب عليها مواقف باطلة، البعض من الفتاوى الباطلة يترتب عليها مظالم كبيرة **جدًّا**: تسفك بها الدماء، تنتهك بها الأعراض، تنهب بها الأموال، البعض من الفتاوى، أو من المواقف، أو من العقائد فيها- **أيضًا**- إساءة إلى الله من جوانب متعددة، وسنأتي- **أيضًا**- لمزيد من التوضيح حول هذا الموضوع.

يقول الله -جلَّ شأنه-: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[الأنعام]، لاحظوا افتراء الكذب على الله ليكون وسيلة لإضلال الناس؛ **لأن** الكثير من الناس يتقبلون حينما تكون

المسألة مسحوبة على الله، وعلى أنَّها من دينه، فيتقبلها هذا وذاك، والكثير من الناس البسطاء يتقبلون، **يقول لك:** [قال الله ، قال رسول الله كذا كذا، ويتحدث دين الله هو كذا وكذا]، ويعبِّر عن هذا بأكاذيب وتحريف: إما تحريف للمفهوم، وإما إنتاج لمفهوم باطل من أساسه، لم يرد لا في كتاب الله، ولا عن رسول الله، كلا المسألتين خطيرة **جدًّا**، كلٌ منهما يمثِّل خطورة كبيرة على الناس، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ﴾ [الزمر: من الآية٣٢]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ﴾ [العنكبوت: من الآية٦٨]، **المسألتان:** مسألة الافتراء على الله كذبًا، أو التكذيب بالصدق، أو التكذيب بالحق، كلٌ منهما جريمة في مستوى واحد، وهذا يحصل للكثير من الناس: التكذيب بالحق، والتكذيب بالصدق، ﴿انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً ﴿٥٠﴾﴾ [النساء]، إثم واضح وفظيع، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

ما الذي ساعد على نجاح المفترين؟

ولاحظوا، مثل هذه النصوص القرآنية يجب أن تصنع وعيًا كبيرًا وعاليًا في واقع الأمة تجاه خطورة هذه المسألة؛ **لأنه**- للأسف الشديد- مسائل في غاية الأهمية، وأحيانًا في منتهى الخطورة، ونظرة الناس إليها نظرة عادية، استبساط، هذا الاستبساط هو الذي يساعد على نجاح مثل هذه الأمور، نجاح كبير للمفترين الكذب على الله ﷻ فيما يأتي القرآن ليصنِّفهم في أنَّهم في مصاف وفي مستوى الأظلم: أظلم الناس للناس، وأظلم البشر للبشر، هذه الفئة من الناس- كما قلنا- هم مجموعة من علماء السوء، ومن يحذو حذوهم، توابعهم ولواحقهم من: مثقفين، وخطباء، ومرشدين... ممن يتجهون

اتجاههم؛ **لأن** هناك العلماء الربانيين، وهناك- **أيضًا**- شخصيات في هذا الاتجاه تسير في الاتجاه السليم والصحيح، وهناك إلا، من يتجهون هذا الاتجاه الذي هو اتجاه ظالم للناس، ظالم، وظلم خطير **جدًّا**، عليه هذا الوعيد الإلهي.

ولاحظوا، اليوم من المعروف في واقع الأمة لدى نخبها: العلمائية، والثقافية، و...إلخ. من المعروف جدًّا أنَّ هناك نسبة كبيرة من المرويات المحسوبة على رسول الله، وهي مكذوبة، هذا أمر معترف به إجمالًا، إجمالًا معترف به بين الأمة بكلها، هناك جملة كبيرة من المرويات المزورة والمكذوبة على رسول الله ﷺ هناك نسبة كبيرة مما قدِّم إلى الأمة باسم تفسير لنصوص قرآنية، أو تقديم لمفاهيم، أو عقائد، أو ثقافات، أو تشريعات، أو أحكام... إلخ. يصنَّف على أنَّه مفترى، على أنَّه باطل، على أنَّه غير صحيح، لا يعبِّر عن حقيقة الدين، وإنما قدِّم بطريقة خاطئة، ويمثِّل مشكلة كبيرة؛ **لأن** هناك من يأخذ به على أنَّه من الدين، وشملت هذه المسألة الخطيرة كل المواضيع المهمة والرئيسية، ومختلف المواضيع، بدءًا من التحريف للعقائد، وردت عقائد مختلة بشكل كبير **جدًّا**، فُسِّرت لها نصوص قرآنية في غير محلها، وهذا شكل من أشكال التحريف: التفسير للقرآن بطريقة مغلوطة، وتقديم النص القرآني على غير مصاديقه، و**كذلك** أفتري فيها نصوص أخرى، وكُذِبَ على رسول الله فيها، وتضمنت هذه المشكلة الكبيرة **جدًّا** الإساءة إلى الله ﷻ ما يتعلق بمعرفة الله، وردت هناك عقائد فيها تشبيه لله بخلقه، فيها التجسيم، فيها كل أشكال الإساءة إلى الله ﷻ **يعني**: الإساءة إلى قدسيته، إلى جلاله، إلى كماله... والمساس بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في هذا الجانب، أضف إلى ذلك وردت عقيدة الجَبر، وردت- **كذلك**- تفسيرات خاطئة لمفهوم القضاء والقدر، تفسيرات تضمنت إساءة فظيعة إلى الله ﷻ.

ثم نأتي إلى موضوع الأنبياء، إلى الكلام فيما يتعلق بالقرآن الكريم والكتب الإلهية، إلى الكلام عن مختلف المواضيع الرئيسية، كم وردت من روايات، ومن نصوص، من كتابات، من أقوال، من... إلخ. تسيء إساءة كبيرة: إساءة إلى الله، إساءة إلى أنبيائه، إساءة إلى كتابه، إساءة إلى دينه في كل تفاصيله، أمر فظيع **جدًّا**، وباتت الأمة متَّفقة على أنَّ هناك دسًا كبيرًا في تراثها، في المرويات، وفي كثيرٍ من الأفكار والعقائد، يسمونه (بالإسرائيليات)، وصلت المسألة إلى هذا المستوى، **يعني**: دس من بني إسرائيل إلى روايات، إلى تفسيرات، إلى أقوال، إلى عقائد، إلى أفكار؛ تصبح- في نهاية المطاف- ضمن التراث الذي تعتمد عليه الأمة في مختلف مذاهبها، أو بعض مدارسها.

فإذًا، المسألة هذه مسألة خطيرة جدًّا، واشتغل عليها بنو أمية بشكل كبير، وحرَّفوا كثيرًا من المفاهيم، وقدَّموا مفاهيم بديلة على أنَّها تعبِّر عن الإسلام، وأخذ بها كثيرٌ من أبناء الأمة، وتربت عليها أجيال؛ فكانت للمسألة آثار سلبية ومدمِّرة **جدًّا**، وقدِّمت- حتى- تشريعات معينة باسم أنَّها من شرع الله، وهي تسوِّغ لهم ما يفعلونه في الناس، وتسوِّغ للناس أن يذعنوا لهم، بالرغم من كل ما يفعلونه، وأن يطيعوهم فيما هم عليه من: إفساد، وظلم، وجور، وطغيان، وإجرام.

عاقبة كتمان الحق وأثره في ضياع الأمة

كذلك هناك جانب آخر- أيضًا- يمثِّل خطورة كبيرة **جدًّا**، ويصل في خطورته إلى مستوى مقارب لهذه المشكلة، وهو **مشكلة الكتمان للحق وللهدى**: هناك من يأتي ليشتغل بافتراءات- بحسب ما وضحناه- في اتجاه اختلاق لما يقدم كمحسوب على الإسلام وتحريف للمفاهيم، وهناك- **أيضًا** في المقابل- من

يسكت، من يصمت، من يكتم الهدى والحق، في المقام الذي تكون فيه الأمة أحوج ما تكون إلى التبيين، إلى التوضيح، وإلَّا إما ضلت، أو ظلمت، وظلمت بالضلال، أو ظلمت في الواقع العملي والحياتي.

الكتمان- أيضًا- يمثِّل مشكلة خطيرة جدًّا، وعانت الأمة بسببه معاناة كبيرة **جدًّا**، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة]، كيف تحصل حالة الكتمان هذه؟ عندما يكون هناك ضغط كبير أو إغراء، **يعني**: في المرحلة التي تتجه فيها قوى الضلال- مثلما فعل بنو أميَّة- إلى تعميم ثقافة معينة، أطروحات معينة، يقدِّمون بدائل معينة باسم الدين، ينزلون للناس مناهج أو أفكارًا معينة؛ ويعتمدونها في واقع الأمة، يشتغلون- في الوقت نفسه - حتى لا يصل الحق إلى الناس، ولا يبقى منهجًا قائمًا تربَّى عليه أجيال الأمة، يشتغلون في اتجاهين للعمل على إسكات الآخرين عن أن يقولوا الحق:

حالة التخويف والتهديد والوعيد: وتؤثِّر هذه الحالة بشكل كبير على كثيرٍ من الناس، فعندما يرى أنَّ القول بالحق، وأنَّ التبيين للموقف الحق، أو العقيدة الحقة، أو المبدأ الحق، أو المفهوم الحق الذي يعبِّر عن حقيقة الدين، ويتطابق- تمامًا- مع ما يقدِّمه القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ يرى أنَّه من المحتمل أن يدفع ثمن ذلك، يتعرض للخطر، يتعرض للسجن، أو يتعرض للشهادة، أو للمضايقة، أو اللوم والتوبيخ، أو يفقد مكانته المعتبرة في الساحة، وتوجه إليه: الإهانات، والاتهامات، و...إلخ. فالبعض من الناس يسكت، يتفادى ما يمكن أن يحصل له من مشكلة، في مقابل أنه صدع بالحق، وقال بالحق، ونطق

بالحق، وقدم ما يعبر عن حقيقة الإسلام؛ يتفادى ما يمكن أن يحصل له من مشاكل، أو خطورة تهدده في حياته، أو تهدده في وضعه الاقتصادي، أو تهدده في مكانته الاجتماعية... أو نحو من ذلك.

البعض- أيضًا- بالإغراء: تقدَّم إليه الإغراءات المادية؛ حتى يصمت عن قول الحق في مسائل معينة، ويحصل كلا الأمرين، ولهذا قال الله ﷻ في آيةٍ أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾، هذه الفئة أثَّر عليها الإغراء المادي، أُعطي مرتَّبًا معينًا، أموالًا معينة؛ وبالتالي يصمت عن قول الحق، وعن تقديم الهدى الذي في كتاب الله كما هو، وتقديم الدين من كتاب الله كما هو، يأتي ليسكت عن أشياء مهمة، أشياء حسَّاسة، أشياء تزعج قوى الضلال والباطل؛ فيصمت عنها، ويسكت عنها، مثلما سكت الكثير ممن قد عرفوا وعلموا من كتاب الله ما قامت الحجة به عليهم أولًا قبل غيرهم، وسكتوا، سكتوا عن الجهاد، وفي القرآن الكريم مئات الآيات تتحدث عن الجهاد، البعض لا يتكلم بآية حول هذا الموضوع، عن المسؤولية في جوانبها الأخرى، عن الموقف من أعداء الله، عن مسائل مهمة **جدًّا**، يصمت البعض عنها، ويسكت، ويكتم، هذا الكتمان يساعد على تغييب الحق من الساحة، يظل الناس لا يسمعون كلامًا عن هذه المسألة: عشر سنين، عشرين سنة، خمسين سنة وهم لا يسمعون كلامًا عن هذا الموضوع، حتى يغيب من ذهنية الناس، وكأنه ليس من الدين، ومعروفة هذه الحالة في كثير من الأوضاع والظروف حصلت.

هذه الفئة من الناس (الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ)، لأن المسؤولية في تقديم ما أنزل الله كما هو، القرآن تحدَّث عن جانب المسؤولية، قدِّمه

مثلما تقدِّم بقية المسائل، أنت شخصية علمائية، أو مثقفة... أو نحو ذلك، قدِّم ما أنزل الله كما هو، وبمستواه من الأهمية، لا تهمش مسألة رئيسية وتقدمها وكأنها مسألة هامشية، وهي أساسية، والقرآن أعطاها ما أعطاها من الأهمية، تحدث بشكل صحيح، هذه الفئة موعودة بهذا العذاب الإلهي: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى﴾[البقرة]، لمَّا أخذوا المال، وأخذوا مصالح معينة مقابل أن يسكتوا عن قول الحق؛ كان حالهم على هذا النحو: ﴿اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى﴾، ﴿وَالْعَذَابَ﴾، اشتروا لأنفسهم عذابًا، ﴿بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾[البقرة].

بين الصمت وبين تقديم البدائل.. غابت المعالم الأساسية

بين أن يكون هناك كتمان، وصمت، وسكوت عن أمور مهمة من دين الله، عن حقائق مهمة من دين الله، عن مواقف عملية مهمة من دين الله، نزلت بها آيات الله، ونطقت بها كلمات الله، وتضمنتها مساحة واسعة من كتاب الله، وكانت بارزة ورئيسية وأساسية فيما فعله وقاله رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يسكت عنها، وتهمَّش، ولا يسمعها الناس في كثيرٍ من المناطق، لا يعتادون أن يسمعوا شيئًا عنها، وبين أن يكون هناك نشاط لتقديم بدائل: بدائل ضالة مضلة باطلة تحسب على الدين، هذه كارثة، المحصلة واحدة: كتمان من جانب، وتقديم بدائل من جانب آخر؛ تنجح تلك البدائل في أن تنتشر هي ضمن مناهج دراسية، ضمن نشاط تثقيفي وتعليمي، من خلال المنابر، واليوم- **أيضًا**- من خلال وسائل الإعلام، وسائل هذا العصر في نشر الضلال

بأكثر من وسائل الماضي، تكون المحصلة واحدة: وهي الضلال الذي ينتشر في الأمة، والتدين بالباطل، التدين باعتقاد عقائد على أنها من عقائد الدين، وهي باطلة، والتدين- **أيضًا**- بإحلال ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله، والتدين بمواقف **أيضًا**: ولاء، وبغض، وعداوة، ومحبة، كلٌ منها باسم الدين، ولكن بطريقة مغلوطة، وغير مطابقة للحقيقة، ومخالفة لما في دين الله، مما هو حقٌ يعبِّر عن دين الله بصدق؛ فتحصل انحرافات كبيرة باسم الدين، فالدين الذي هو أساسٌ لصلاح الأمة بالمفاهيم الخاطئة، بالتضليل ببدائل، والكتمان لحقائق؛ يتحوَّل الانتماء الديني بنفسه إلى مشكلة، ويتحوَّل في واقع الأمة إلى مصدر لإفساد الأمة وتضليلها، وهكذا تمكَّن بنو أميَّة من تفريغ الإسلام من مضمونه، وقدَّموا بدائل كثيرة **جدًّا** تدجِّن لهم الأمة، وتفسد لهم الأمة، واتجهوا- بناءً على ذلك- إلى تربية مختلفة عن تربية الإسلام في أثرها، وفي نتيجتها، في واقع الحياة.

ولهذا لاحظوا، فعلًا غاب من واقع الناس هذه النظرة القرآنية إلى المضلين: إلى الكاتمين، وإلى المفترين، الكاتمين لما أنزل الله من حقائق وحق، والمفترين بتقديم بدائل محسوبة على الله وعلى دينه، وأنَّهم الأظلم والأسواء، وأنَّهم في سوؤهم وخطورتهم لهذه الدرجة التي لعنهم الله فيها: ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، هذا يدل على سخط كبير، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾، الجرائم الثقافية، الجرائم بالتضليل الذي يقدَّم عبر النشاط التعليمي والتثقيفي، ينظر الناس إليها باستبساط، وكأنها أشياء عادية، وهي خطيرة **جدًّا**، خطيرة للغاية للغاية، والكتاب الذي يتضمن باطلًا محسوبًا على الدين يمثِّل خطورة **جدًّا**، وكاتبه يعتبر عند الله من أظلم الناس وأسوء الناس، الله قد لعنه، توعده بالعذاب

وبالنار، وهكذا **يجب** أن تنظر الأمة؛ حتى تكون حذرة ويقظة من ذلك النشاط التضليلي الخطير **جدًّا**.

فهم (اتَّخَذُوا دِينَ اللهِ دَغَلًا)، ويمكننا أن نعتبر أنَّ كثيرًا من: العقائد، والمبادئ، والمفاهيم، والتشريعات، حُرِّفت منذ الزمن الأموي، طبعًا لم يقتصر الأمر على الزمن الأموي، امتدت المسألة وتوسعت، ومع الزمن كثرت وكبرت، ولكن بدايتها الكبرى، ونشاطها الرئيسي **جدًّا**، والانحراف بالأمة عن المسار بشكل كبير **جدًّا**، كان من بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وتمكَّن بنو أميَّة من السلطة، وبدأوا بالعمل النشط في ذلك، وحققوا نجاحًا كبيرًا في ذلك، امتدت آثاره إلى اليوم.

بنو أمية.. الاستعباد والاستئثار

(وَعِبَادَهُ خَوَلًا): حوَّلوا عباد الله إلى خَوَل، إلى خدم وعبيد مسخَّرين لخدمتهم ومستغلِّين، سيطروا على الناس، البعض منهم شكلوهم جيوشًا جرارة؛ لتكون ذراع بطش وجبروت يضربون بها من يريدون في أوساط الأمة، ويقمعون بها كل صوتٍ للحرية، وكل نشاط أو عمل يهدف لإعادة الناس إلى الاتجاه الصحيح، ويجعلون منهم: علماء سوء، أبواق باطل، المحدثين، الكاذبين والمفترين، القُصَّاص... إلخ. **وكذلك** منهم من يشتغل في الدعاية الاجتماعية، بكل الوسائل يجعلون الناس **(خَوَلًا)**.

(وَمَالَهُ دُوَلًا): فاتجهوا إلى السيطرة على الأمة في مواردها البشرية والمالية، السيطرة على المال، استأثروا بالمال العام، وسيطروا عليه، الذي هو مالٌ للأمة، ثم جعلوا منه هو وسيلة **لأن** يكونوا مترفين، أن يحصلوا على ثروات هائلة يتمتعون بها وينعمون بها، ووسيلة لشراء الذمم؛ ليشتروا به وجيهًا هناك،

وشخصية بارزة هناك، وعالم سوء هناك، وآخرين هناك؛ ليكونوا مقاتلين، وسيلة لشراء الذمم. وهكذا أسسوا لهذا المسلك في تحريف المفاهيم الدينية، والاستغلال لها؛ للسيطرة على الناس، والخداع للناس، والاستغلال للناس؛ لفعل ما يشاءون ويريدون، وباسم الدين أحيانًا، والاستغلال لعباد الله، والاستغلال للمال العام للتنعم به والترف به، وفي نفس الوقت لشراء الذمم والاستعباد للناس من خلاله، فكانت هذه جناية كبيرة **جدًّا** على الأمة، وانحرافًا كبيرًا بالأمة عمَّا كان عليه مسار الإسلام في عهد رسول الله ﷺ وفيما كان عليه رسول الله في حركته بالرسالة، وقيادته للأمة، وانحرافًا شمل كل واقع الأمة: الواقع السياسي، الواقع الاقتصادي، الواقع الأمني... امتد إلى كل شؤون الناس وحياتهم، وحَفَلت كتب التاريخ بالكثير من الحكايات والوقائع والأحداث التي عبَّرت عن هذا الانحراف.

نكتفي بهذا القدر في حديثنا اليوم...

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المحاضرة التاسعة

٩ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

نتائج الانحراف عن المعالم الأساسية في الإسلام

في سياق الحديث عن الانحراف الكبير في تاريخ الأمة، الذي عمل على الاتجاه بالأمة في طريقٍ متعرجة بعيدًا عن الصراط المستقيم، والزج بها نحو سبلٍ معوجة، خارجةٍ عن النهج الأصيل الذي كان عليه رسول الله ﷺ وتضمنته آيات الله في كتابه القرآن الكريم، في هذا السياق المنحرف، والذي عبَّر الرسول ﷺ بتوصيفٍ دقيقٍ ومحقٍ، فيما وصفه به **فقال**: إنَّهم سيتخذون (**دِينَ اللهِ دَغَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَمَالَهُ دُوَلًا**)، في هذا المسار المنحرف المعوج أتى الطغيان الأموي بيزيد بن معاوية، ليكون في موقع القرار والسلطة والتَّأمُّر على الأمة الإسلامية، وهذه خطوة كارثية، وفظيعة **جدًّا**، وتمثِّل انقلابًا واضحًا ومكشوفًا على حقائق الإسلام، وعلى مبادئ الإسلام، وعلى منهج

الإسلام، يزيد بما عرف به وما عرف عنه، وبما يمثّله من نقيضٍ تام مع تلك المبادئ الإسلامية، مع تلك القيم الإسلامية، مع ذلك المنهج الإلهي؛ يؤتى به ليفرض على الأمة الإسلامية في موقع القرار والسلطة، وفي موقع القيادة والإمرة، الموقع المهم، الذي تدار من خلاله شؤون الأمة بكلها، ومن خلاله تُرسم مساراتها وسياساتها واتجاهاتها ومواقفها، وإدارة كل شؤون حياتها، **وأيضًا** من خلال هذا الموقع تصبح كل قدرات وطاقة هذه الأمة تحت السيطرة: القدرات العسكرية، القدرات المادية؛ فكانت هذه الخطوة كارثية بكل ما تعنيه الكلمة، وتمثّل خطورةً بالغةً على الأمة في دينها وانتمائها وهويتها، وحتى على مستوى استقرارها، وصلاح حياتها وشأنها.

من هو يزيد؟

عُرِف عنه أولًا: استهتاره بالإسلام: وفي كثيرٍ من عباراته ومقاماته ومقالاته وأشعاره ورد ما يعبّر عن هذا الاستهتار بالإسلام جملةً وتفصيلًا، بل عبارات تعبّر عن حالة الكفر بنبوة رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- من مثل قوله:

لَعِبَت هَاشِمُ بِالمُلْكِ فَلَا *** خَبَرٌ جَاءَ وَلَا وَحيٌ نَزَل

هو يصرِّح في هذا البيت من الشعر بكفره التام بنبوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ويعتبر أنَّ ما أتى به رسول الله هو مجرد حيلة للوصول إلى الملك، وهذه نفس عقيدة المشركين التي كانوا يعتقدونها في حربهم ضد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وعبارات أخرى فيها إساءة إلى الدين الإسلامي، إساءة- **كذلك**- إلى مبادئه، إلى شرائعه، إلى أشياء كثيرة في الدين الإسلامي.

وثانيًا: كان يحمل عقدة الانتقام والحقد على رسول الله ﷺ: وكان هذا واضحًا، وتجلَّى أكثر بعدما فعله في عترة رسول الله **وبالإمام الحسين** عليه السلام فقد تجلَّى- **كذلك**- في أشعاره، وفي مواقفه، وفي كلامه، وفي أقواله ما يعبِّر عن هذا الحقد، وعن تلك العقدة من الانتقام التي يسعى للوصول إليها؛ فهو كان يسعى عمليًا لأن يتمكن من موقعٍ يحقق له فيه هذه الأمنية: الانتقام من رسول الله، هو القائل فيما بعد:

لَستُ مِنْ خِنْدِفَ إن لَم أَنتَقِم **** مِنْ بَنِي أَحمَدَ مَا كَانَ فَعَل

وهو يقول في هذا الشعر أنَّه لابدَّ وأن ينتقم من رسول الله في عترته، في ذريته؛ على أساس الثأر لأسلافه الذين قتلوا في حربهم الجاهلية ضد رسول الله ﷺ فهو كان يحمل هذه العقدة من الانتقام، ويسعى للوصول إليها في الانتقام من رسول الله من خلال ذريته، والانتقام من بقايا المهاجرين والأنصار، وخصوصًا الأنصار (الأوس والخزرج)، الذين كان حاقدًا عليهم بشكل كبير **جدًّا**، ويضمر ويُعِدُّ العدَّة للانتقام منهم شر انتقام وأشد انتقام، وفعل ذلك في نهاية المطاف، وسنأتي- إن شاء الله- إلى الحديث عن ذلك.

فإنسان يحمل عُقد الجاهلية حتى ضد رسول الله ﷺ وضد من كان لهم دور بارز في حمل راية الإسلام، **يعني**: أنَّه على نقيض تام مع مبادئ الإسلام وقيمه، وأنَّه لم ينسجم بعد مع هذا الدين لا في مبادئه، ولا في قيمه، ولا في أخلاقه، ولا في رموزه، حتى رسول الله ﷺ لا يزال حاقدًا على رسول الله ﷺ ولا مع أمته، كحالهم مع الأنصار، وكحالهم مع أخيار الأمة في أيِّ بقعةٍ كانوا، حاقد بشكل كبير **جدًّا**.

ثم هو ثالثًا: مُعلنٌ بالفسق والفجور: كان إنسانًا مشهورًا ومعلنًا وواضحًا في فسقه وفي فجوره، في ممارساته الإجرامية، في ارتكابه الفواحش، في شربه للخمور، في سكره، في عبثه، في جرائمه الأخلاقية الفظيعة **جدًّا** التي اشتهرت في الآفاق، في استهتاره بشرائع الدين وقيمه، في استهتاره- **أيضًا**- حتى بالعبادات في الإسلام؛ فكان- كما في كلام **الإمام الحسين** عنه، كما ورد **أيضًا** في كتب التاريخ عنه- كان معلنًا للفسق والفجور، واضحًا في ذلك، منكشفًا في ذلك، متبجحًا بذلك، فهو جريء في فجوره، وواضح في فسقه، ومستخف بالأخلاق الإسلامية والالتزامات الدينية، وواضح في أنَّه إنسان فاجر من الطراز الأول، فاجر بشكل فظيع **جدًّا** وبشع.

ثم هو- كذلك- مجاهرٌ بالرذائل، لدرجة لا نستطيع التعبير عن بعض ما ورد بشأنه في كتب التاريخ فيها، **يعني:** أحط مستوى يمكن أن تتخيله أو تتصوره عن إنسان مفلس إفلاسًا تامًا من القيم الفطرية والإنسانية كان عليه يزيد، حالة رهيبة **جدًّا** وفظيعة ودنيئة من الانحطاط والخسة والجرأة على ارتكاب الرذائل بكل أشكالها.

ثم كان- أيضًا- مستبيح للمقدسات، لا حرمة عنده لأي مقدس في هذا الإسلام: لا للرسول، ولا لمسجده، ولا لقبره، ولا لمدينته، ولا لأنصاره، ولا لذريته، ولا لعترته، ولا لمكة، ولا للبيت الحرام... ولا حرمة عنده لأي شيء من مقدسات الإسلام.

الهاوية التي تحرك يزيد بالأمة إليها

إنسان على هذا النحو من الاستهتار بالإسلام جملةً وتفصيلًا، من الحقد الواضح والمعلن والبين والمكشوف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإظهاره رغبته الشديدة في الانتقام من رسول الله عن الحروب التي خاضها أسلافه في

الجاهلية ضد رسول الله، وتكبَّدوا فيها خسائر، وهو يسعى للانتقام من موقع السلطة، وبالاستفادة مما يتمكن منه في هذه الأمة التي تنتسب إلى هذا الإسلام، فيسعى للانتقام من رسول الله، ويسعى لتصفية الحسابات مع الأوس والخزرج، مع الأنصار، أنصار الإسلام، أنصار رسول الله، ويسعى للانتقام منهم أشد الانتقام، وفعل ذلك في وقعة الحرَّة، التي نكَّل فيها تنكيلًا كبيرًا بأهل المدينة، وبالذات الأنصار وبقايا الصحابة، وقضى على ما بقي- آنذاك- فيها من الوجوه البارزة، مثلًا: كل من حضر معركة بدر أمر بإعدامه، قال لهم: أي واحد تشاهدونه في المدينة ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وشارك في غزوة بدر، التي كانت أول معركة ما بين المسلمين وما بين المشركين، وقُتِل فيها- آنذاك- جدُّ يزيد (والد أمه)، و**كذلك** أخو جده، وخاله، وأخوه تقريبًا، وبعض المقربين منهم، وجملة من القيادات والشخصيات الفاعلة والبارزة في مجتمع قريش- آنذاك- الذي كان يحمل لواء الشرك والحرب ضد الإسلام، أمر يزيد بن معاوية أن يقتل أي إنسان بقي ممن حضر بدرًا مع رسول الله، أن يتم إعدامه؛ انتقامًا من مشاركته في الجهاد مع رسول الله ضد مشركي مكة.

تخيلوا.. إنسان بهذا الحقد على رسول الله، وعلى أنصاره، والمجاهدين معه، وعلى المقدسات، يستهتر بها، كل المقدسات يستهتر بها كلها، سواءً في المدينة، أو في مكة، سواءً المقدسات التي هي معالم: كالبيت الحرام، كالمسجد النبوي، كقبر رسول الله صلى الله عليه وآله أو المقدسات المتمثِّلة **بالإمام الحسين**، في أعلام الهداية... كل المقدسات لا حرمة لها عنده، وكل الحرمات بالنسبة للأمة في واقعها، كل إنسان مؤمن له حرمته في دمه، في عرضه، في ماله... كل هذه الحرمات مستباحة من جانب يزيد بن معاوية.

إنسان بهذا المستوى من الإجرام، يتجاهر ويتظاهر ويعلن بالفسق والفجور، ولا يستحي أبدًا، ولا يتحرج في أن يظهر بما هو عليه من فجور وفسق وإجرام، **يعني**: إنسان مجرم من المستوى الأول من المجرمين، قُدِّم ذلك المجرم بكل ما هو عليه من: فسق، وفجور، واستهتار بالإسلام، وحقد على رسول الله وعترته وأنصاره من المسلمين، وعلى الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله، و... إلى آخر القائمة الطويلة عنه، يُقدَّم ليكون هو الآمر والناهي في هذه الأمة، والمسيطر على القرار في هذه الأمة، ولتكون بيده وتحت سلطته كل إمكانات ومقدرات هذه الأمة، وهو على نقيض تام مع مبادئ هذه الأمة، مع قيمها، مع أخلاقها، واقعه مختلف تمامًا، ويعتبر تمكينه من ذلك جريمة كبيرة جدًّا، مثلًا: الأمة في حال قبلت أن تكون تحت سلطته، وأن تكون كل إمكاناتها وقدراتها البشرية والمادية، وكل ما بيدها تحت أمره وسلطته، وتحت قراره، يتحرك بها كما يشاء ويريد، كيف سيكون برنامج هذا الإنسان في هذه الحياة، كيف ستكون سياساته؟

هو لابدَّ من أن يتحرك في الأمة في اتجاهٍ معين، لن يكون واقعه واقع جمود، مجرد اسم (أمير، أو ملك... أو بأي صفةٍ من الصفات)، لابدَّ من أن يتحرك بهذه الأمة في اتجاهٍ معين، لابدَّ أن يسير بها في اتجاهٍ معين، لن يقف، لن يجمد أبدًا، وسيتحرك من واقع ما هو عليه، في اهتماماته، كيف ستكون اهتمامات إنسان على هذا النحو؟ كيف ستكون سياساته، أولوياته، برنامجه الذي يتحرك بالأمة ليسير بها على أساسه، كيف سيكون؟ سيكون بما هو عليه بلا شك، اهتماماته ستكون مطبوعة بطابعه، أولوياته **كذلك**، برنامجه **كذلك** لن يختلف، لن يقدِّم لهم شيئًا من غير ما هو عليه.

طبعًا، فيما هو عليه هو على نقيض تام مع مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه؛ فلا يمكن أن يسير بالأمة على أساس تلك المبادئ وهو على نقيضها، ولا على أساس تلك الأخلاق وهو- **كذلك**- يختلف معها، ولا على أساس تلك التشريعات وهو أول من يخالفها، لا يمكن أن يسير بالأمة على أساسٍ من ذلك، وبالتالي في بنائه لواقعٍ جديد ينسجم معه، وينسجم مع ما هو عليه: من قناعات، من توجهات، من اهتمامات، من رغبات... لابدَّ أن يغيِّر في واقع الأمة، ويتجه هذا التغيير إلى مبادئ أساسية وجوهرية في الإسلام؛ حتى يتأقلم معه واقع الأمة بشكلٍ تام، ويتطابق مع توجهاته المنبثقة، والناشئة، والناتجة عن ما هو عليه هو في نفسه من: اتجاهات، واهتمامات، ورغبات... الخ. سيتجه إلى تغيير هذا الواقع؛ حتى يتأقلم معه بشكلٍ تام، وهذا **يعني**: أن يكون هناك تحويل وتغيير وتبديل في واقع الأمة، في مبادئها الأساسية في هذا الإسلام.

ولماذا تغير مبادئ أساسية من الإسلام، من دين الله، من نهج رسول الله صلى الله عليه وآله تشطب مبادئ، وتزاح أخلاق، وتلغى تشريعات، وتفرض مسارات وتوجهات جديدة، منحرفة ونقيضة-كليًا- لتلك المبادئ الإسلامية، وتلك الأخلاق الإسلامية، وتلك التشريعات الإسلامية؟ لماذا هذه التضحية بأعظم ما لدى هذه الأمة، بأغلى وأعز ما تمتلكه هذه الأمة، وهو دينها الذي هو هدية، عطاء إلهي، دينها الذي يمثِّل صلتها بالله سبحانه وتعالى وصلاحًا لواقعها، وفلاحًا وخيرًا لها في الدنيا والآخرة؟ كل هذا من أجل مَنْ؟ من أجل طاغية، مجرم، منحط، دنيء، خسيس، متجرد من القيم الإنسانية والفطرية والدينية والإلهية، إنسان من أسوء المجرمين، من أظلم الناس، من أفسد الناس، من أجرم الناس! بأي منطق يمكن أن نقول: نعم تغيَّر هذه المبادئ الإسلامية، يشطب هذا المبدأ الإسلامي، تحذف هذه القيم، تزاح هذه الأخلاق، وهذه التشريعات

بكلها تلغى، وهذه النصوص القرآنية تجمَّد، والأمة تترك الاقتداء برسول الله، وتقتفي أثر يزيد بن معاوية، كل هذا من أجله، لماذا؟! **يعني** هذا أمر غريب **جدًّا جدًّا!** مسألة فظيعة **جدًّا**، فظيعة **جدًّا**.

خطوات التمهيد لولاية يزيد

وللتمهيد لها كانت هناك خطوات فظيعة كذلك، في الوقت نفسه تمهيد لهذه المسألة احتاجت إلى خطوات كبيرة، ما قبل يزيد، وللتهيئة ليزيد كان هناك جملة إجراءات، كلها إجراءات إجرامية وخطيرة وهدَّامة بكل ما تعنيه الكلمة:

أُزيحت شخصيات بارزة من الساحة الإسلامية، عن طريق تصفيتها واغتيالها بالسُّم، وفي المقدِّمة الإمام الحسن عليه السلام حيث تم اغتياله بواسطة السُّم، وبعض الشخصيات من الصحابة، وبعض من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله **كذلك** تم تصفيتهن واغتيالهن بالسُّم.

خطوة أخرى كان فيها شراءٌ للولاءات والذمم، وجاهات، وشخصيات اجتماعية، وشخصيات بارزة في الساحة الإسلامية، ممن قد تأثَّرت بالواقع الجديد في سياساته الجديدة ومتغيراته؛ فتم شراء بعضها بالمال، وبمبالغ بعضها مبالغ محددة، في مقابل موافقتها على يزيد، والبعض الآخر تم شراؤهم بمناصب حُدِّدت لهم، والبقية الباقية بالترهيب والتخويف والتهديد والوعيد، وكل هذه الإجراءات- كما قلنا عنها- إجراءات هدَّامة، مفسدة، فشراء الولاءات والذمم ليقف هذا أو ذاك في صف الباطل، هذا إجراء مفسد وهدَّام، ومضر بالأمة في قيمها وأخلاقها، ومتناقض مع تربية الإسلام التي تربي الإنسان أن يكون مبدئيًا ومسؤولًا في قراراته، في ولاءاته، في مواقفه، أن لا يشترى منه ولاؤه أو موقفه بمالٍ أو منصب. إلا، فهذه مسألة تعود إلى إنسانيتك، إلى دينك، إلى

إيمانك، إلى أخلاقك... يتحدد موقفك كمسلم على أساس هدي ربك، هدي الله ﷻ توجيهات الله ﷻ لا أن يباع بالمال.

فالخطوات التي نُفِّذت كانت خطوات هدَّامة؛ لتمهد لمجيئ يزيد، وتقديمه ليكون في موقع السلطة، **كذلك** الترويع للناس والتخويف لهم، والتهديد والوعيد، والسعي لأن تكون حالة الخوف مسيطرة على الساحة الإسلامية، ومكبِّلة للناس عن تحديد أي موقف صحيح، أو تحرك صحيح، أو اتجاه صحيح؛ معنى ذلك: السعي للسيطرة على الناس لصالح الباطل بهذه الطريقة: طريقة التخويف والوعيد، فكانت هذه إجراءات- **فعلًا**- هدَّامة وخطيرة **جدًّا**.

رفض الأمة لمسار يزيد المنحرف

ومجيئ يزيد في موقع القرار والسلطة بكل ما هو عليه- فيما تحدثنا عن عناوين منه- وبكل ما يمثِّله من تناقض مع هذا الإسلام، له مشكلة مع هذا الإسلام: له مشكلة مع نبيه، ومع أنصاره، وله مشكلة مع مقدساته، وله مشكله مع مبادئه العظيمة، وأخلاقه العظيمة، وتشريعات العظيمة... يختلف معها كلها، له موقف من رسول الله، وله موقف من البيت الحرام، وله موقف من المدينة المنوَّرة، له موقف من الأنصار، له موقف ممن حضر بدرًا، له... كلها مواقف سلبية، كلها مواقف نقيضة ومعادية، وبحقد شديد، يختلف مع التشريعات الإلهية، ولا يلتزم بها أصلًا، ويخالفها، ويرتكب المحرمات، ويستحل المحرمات، **يعني**: ليس عنده مبدأ: حلال وحرام، هذا أمر مشطوب عنده، كل شيء عنده طبيعي، يفعل ما يشاء ويريد، ما يرغب به يفعله من شهواته، بل تربَّى على الفسق والفجور، ونشأ على الفسق والفجور، وجاهر به وأعلنه، وكان واضحًا فيه، **يعني**: لا يمتلك حتى الحياء

الذي هو خلق فطري عند الكثير من الناس.

فتحركه على هذا النحو بكل ما يمثِّله من تناقض تام مع الإسلام، يعني: أنَّه سيستغل موقعه في السلطة والقرار، والإمكانات والقدرات التي أصبحت تحت سيطرته ليسير ببرنامجه المخالف للإسلام، الهدَّام والتدميري، في نفس المسار- الذي هو مسار انحراف- في اتخاذ (**دِينَ اللهِ دَغَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَمَالَهُ دُوَلًا**)، ولكن على أسوء مستوى، بقدر ما هو عليه من سوء هو في نفسه.

واقع كهذا هل يفترض بالأمة الإسلامية أن تتقبله، أن ترضى به، أن تعمل على أساس التأقلم معه، أن تضحي بدينها ومقدساتها ورموزها، وأن تضحي بأخلاقها ومبادئها، وأن تضحي حتى بما فيه الضمانة لخيرها وصلاحها وصلاح حالها في الدنيا والآخرة من أجله؟! **يعني:** هل نفترض في هذه الأمة أن يكون إنسان طاغية، مترف، مجرم، فاسق، فاسد، متجرد من كل القيم الإنسانية والدينية... عزيز عليها إلى هذه الدرجة؛ حتى تضحي بأعظم ما لديها من أجله؟ بأي منطق يمكن أن نقول ذلك!

هذه الأمة التي إذا عدنا إلى ما ينبغي أن تكون عليه، وهي أمة الرسالة، أمة القرآن، أمة الرسول محمد ﷺ الأمة التي في منهجها أن تؤمن بكل أنبياء الله، وأن يكون الأنبياء هم قدوتها، وهم أسوتها، وهم هداتها، وأن تكون سيرة رسول الله هي سيرتها، وهي مسارها في هذه الحياة، أن يكون القرآن الكريم هو منهجها، أن تكون مبادئ الإسلام العظيمة هي مبادئها، أن تكون قيم الإسلام، وأن تكون أخلاقه، وأن يكون شرعه هو الذي تبني عليه مسارها في هذه الحياة. الأمة التي تقف في كل صلاة للتوجه إلى الله فتقول: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة]، **بمعنى**: أن الصراط المستقيم الذي ينبغي أن تسير عليه في مسيرة حياتها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾، مسيرة هداية.

الأمة التي يفترض بها أن تكون مسيرتها على أساس قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٠]، ويفترض أن تكون مسيرتها مسيرة أخيارها الذين انطبقت هذه المواصفات في حقهم بشكلٍ تام، أن تحذو حذوهم، وأن تسير على هذا الأساس، الأمة التي يفترض فيها أن تكون كما أمرها الله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: من الآية ١٤]، الأمة بهذه التوجيهات الإلهية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ﴾ [النساء: من الآية ١٣٥]، و ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: من الآية ٨]، هكذا: **(قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ)**، و**(قَوَّامِينَ لِلّهِ)**، و**(شُهَدَاء لِلّهِ)**، و**(شُهَدَاء بِالْقِسْطِ)**

مسار الطاغية وتناقضه مع مسار الدين الحق

هذه الأمة هل نفترض في حقها أن يقودها لتنفيذ هذا البرنامج يزيد بن معاوية؟! أولًا في: ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أول مشكلة تكون لهم مع يزيد في: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، ستكون أول مشكلة مع يزيد على المنكرات؛ لأنه يستبيح المنكرات، وينهى عن المعروف، واتجاهه اتجاه آخر، بدل: ﴿كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾، [كونوا أعداء الله، واقتلوا صفوة وأخيار عباده، واجتاحوا كل الحرمات وكل المقدسات، وافعلوا كل شيء]، أباح المدينة المنوَّرة في كل شيء، أباح سفك الدماء فيها، ونهب الأموال

منها، واغتصاب النساء فيها، لثلاثة أيام كاملة، قال لجيشه: [لكم ثلاثة أيام أقتلوا، اغتصبوا، انهبوا، ولا ترددوا في أي شيء]، وفعلوا ذلك، وسنأتي إلى هذا الموضوع بمزيدٍ- إن شاء الله- من التوضيح.

الأمة الإسلامية مسارها الذي يفترض أن تسير عليه، وأن تبني عليه واقعها بكله، هو المسار التي حددته الآيات المباركة، مسار تتحرك فيه في **(الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ)**، صراط الذين أنعم الله عليهم من هداة عباده، هل يزيد منهم، أم أنَّه من أولئك المغضوب عليهم؟ كل ما يمكن أن يغضب الله هو كان يفعله، وفعله، من المغضوب عليهم، ومن أسوء المغضوب عليهم، ومن أرجس وأدنس المغضوب عليهم.

مسيرة الإقامة للقسط، وذاك: ظالم، طاغية، مجرم، مترف، مستهتر بكل شيء، ليس هناك شيء له قيمة عنده: لا مقدسات، ولا مبادئ، ولا قيم، ولا أمة، ولا أي شيء أبدًا. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، هذا هو المسار المفترض للأمة، وليس مع الطغاة، المجرمين، السيئين.

فإذًا، لا يمكن ليزيد أن يقود الأمة لتطبيق برنامج على ضوء هذه الآيات القرآنية، التي تحدد لنا طبيعة المسار، والطريق الذي يفترض أن تسير فيه الأمة في حياتها ومواقفها، يزيد مساره منفصل كليًا مع هذه الآيات، ليس فقط منفصلًا عنها، وإنما متناقضًا معه هو **أيضًا**، ليس متفقًا معها بأي شكلٍ من الأشكال، ويفترض أن تكون مشكلة الأمة معه هو وأمثاله في: نهيها عن المنكر، في تصديها للطغيان، في إقامتها للقسط، في مواجهتها للظلم، تكون مشكلتها معه هو وأمثاله ممن على نهجه وطريقته.

الأمة الإسلامية محمية في منهجها الإلهي، إن التزمت به، من أن تكون متقبلة لأن يفرض عليها يزيد وأمثال يزيد، النصوص القرآنية أتت لتحدد للأمة من تتبع، ومن تطيع، وفي أي طريقٍ تسير، وبعضٌ من النصوص القرآنية التي نقرأها، من مثل قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف: من الآية٢٨]، كل المواصفات هذه تنطبق على يزيد انطباقًا تامًا، فأغفل الله قلبه عن ذكره وهديه، وهو منصرف عن هذا كليًا، وبكل وضوح **أيضًا**، ثم هو- **كذلك**- متَّبع لهوى نفسه بكل وضوح، ولا ينطلق على أساس: شرع الله، ودين الله، وتعليمات الله، وتوجيهات الله، ثم أمره **كذلك** فُرُط، وتجاوز، وانتهاك للحق والقيم والأخلاق.

الله يقول: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، **ويقول:** ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ [الإنسان: من الآية٢٤]، **ويقول:** ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الشعراء]، الأمة هذه مرسومٌ لها مسارها في الأول في أيِّ طريقٍ تسير، ومع مَنْ، وفي أيِّ اتجاه، وعلى أيِّ أساس، ثم هناك النصوص الكثيرة التي تنهاها وتنهى كل فردٍ منها، وتتوجه بالنهي الواضح والصريح عن طاعة واتِّباع: المجرمين، والضالين، والطغاة، والمفسدين، تجعل الإنسان متباينًا معهم في مسيرة حياته، ومواقفه التي يتحرك على أساسها.

فلذلك يزيد يشكِّل خطورة كبيرة على هذه الأمة، في ماذا؟ في مبادئها، وفي قيمها، وفي أخلاقها، وفي منهجها بكله، وتَمَكُّنه من موقع السلطة والقرار سيساعده على تصفية حساباته في أحقاده الكبيرة، وفي سعيه الانتقامي من الرسول والإسلام والمسلمين، كما يساعده على أن يتمكن من استغلال مقدرات الأمة وإمكاناتها فيما ينسجم مع هوى نفسه، مع ما هو عليه من: انحراف

كبير، وإجرام، وفساد... وهذه قضية خطيرة **جدًّا**، **يعني** النتيجة فيها: أن تخسر الأمة دينها، أن تنفصل عن هذا الدين في مسيرة حياتها، وتفصل في مسيرة حياتها عن هذا الدين في أهم ما في هذا الدين: من مبادئ، من قيم، من أخلاق، من تشريعات، وأن يتحوَّل واقع الأمة إلى خَوَل، إلى خدم، إلى عبيد ليزيد بن معاوية، مثلما فعل بالذين سَلِمُوا من القتل، بعد دخول جيشه المدينة المنوَّرة، وبعد أن قُتِل أعداد كبيرة، في بعض الروايات التاريخية بالآلاف، في بعض المصادر التاريخية تقول: أنَّ الآلاف قُتِلوا في المدينة، فمن بقي منهم أُجبِرُوا على أن يبايعوا ليزيد بن معاوية، وكانت صيغة البيعة: العبارات التي يبايعون على أساسها، كانت الصياغة هذه لعبارة أن يباع الواحد منهم على أنَّه ماذا؟ مواطن؟ إلا، على أنَّه **عبدٌ قِنٌ ليزيد بن معاوية**، وأُجبِرُوا على ذلك، التاريخ يذكر هذه الحقائق، أُجبِر بقايا من سَلِمَ من القتل في المدينة المنوَّرة على أن يبايعوا ليزيد بن معاوية، يبايع كل فردٍ منهم على أنَّه عبدٌ قِنٌ، **يعني**: خالص العبودية ليزيد بن معاوية، وخُتِمَ على كلٍ منهم بختم، كان يستخدم هذا الختم على العبيد؛ يختم عليهم كعلامة مميزة لهم على أنَّهم عبيد، وختم (بالكي الناري) حتى تصبح علامة ثابتة، وكأنَّ الإنسان حيوان، تخيلوا هذا المستوى من الإسراف والإجرام!

إرهاصات المواجهة بين الطاغية والإمام الحسين

يزيد اتجه في برنامجه هذا أول خطوة لتثبيت سلطته في الساحة الإسلامية، وكانت هذه أول مسألة مهمة بالنسبة له، أن يثبِّت أركان سيطرته في الساحة الإسلامية بكلها، وأن يتخلَّص من أيِّ معارضة، أو أيِّ توجه لا يتقبل سلطته وسيطرته على هذه الأمة، وبالطبع كانت أنظاره متجهة نحو المدينة المنوَّرة؛ لأن في المدينة المنوَّرة يستقر الحسين بن علي

-عليهما السلام- وهو سبط رسول الله ﷺ والمنظور إليه في أوساط الأمة، وهو البقية الباقية لآل رسول الله ﷺ.

الإمام الحسين عليه السلام **معروف في الساحة الإسلامية**، ليس شخصيةً مجهولةً أبدًا، معروف بشكل كبير في الساحة الإسلامية، معروف بما قاله عنه رسول الله ﷺ بحضوره في ظل والده أمير المؤمنين عليه السلام فيما هو عليه **أيضًا** من كمال، فيما هو عليه في مقامه الديني، وما يمثِّله في مقامه الديني، وهو رمز الأمة، والبقية الباقية من آل رسول الله ﷺ.

الإمام الحسين عليه السلام وبعض الشخصيات البارزة الموجودة في المدينة، كان يزيد يحسب ألف حساب لحسم الموقف معها، ابتداءً بالحسين عليه السلام فإذا تخلَّص من مشكلة تلك الشخصيات، وعلى رأسها **الإمام الحسين** عليه السلام يكون قد اطمأن إلى أنَّ الساحة الإسلامية بكلها ستخضع له؛ وبالتالي سيعمل ما يشاء ويريد، ويثبت سلطته في الساحة الإسلامية بحسب هوى نفسه، فأرسل رسالة إلى المدينة المنوَّرة، إلى الوالي هناك، والرسالة هذه تشدد على ضرورة أخذ البيعة من تلك الشخصيات، أربع شخصيات في المدينة وفي مقدمتها **الإمام الحسين** عليه السلام سعى الوالي إلى أخذ البيعة من **الإمام الحسين** وتلك الشخصيات، ولكن امتنع **الإمام الحسين** عليه السلام وانتقل- بعد امتناعه هذا- إلى مكة.

لماذا تحول الإمام الحسين إلى مكة؟

وطبعًا انتقاله من المدينة، لأن الجو السائد- آنذاك- في المدينة جو مخلخل، ليس جوًا متماسكًا يتجه لموقفٍ موحَّد، بل متأثر بالبيئة السياسية التي اشتغلت فيه بالمشاكل- آنذاك- والتوجهات المتباينة، التي أضعفت

مدى ارتباط بعض أهل المدينة **بالإمام الحسين** وبأهل البيت عليهم السلام وحتى أثَّرت عليهم، الواقع الذي كان قد وصل إليه الأنصار في المدينة واقع استضعاف، وواقع مضغوط، وواقع متأثر بالجو العام في ضغطه ومتغيراته، فالإمام الحسين عليه السلام كان يعرف أنَّه لن يجد الناصر، ومن يستجيب له، ويتحرك معه في تلك البيئة، وودَّع جدَّه رسول الله، في زيارته إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وانطلق صوب مكة.

مكة كانت تمثِّل ملتقًى عامًا في الساحة الإسلامية، الناس يذهبون إلى مكة للعمرة وللحج، ويعوِّل على أنَّه سيأتي موسم الحج وهو هناك، وسيعمل على استنهاض الأمة الإسلامية في مواجهة هذه المتغيرات الخطيرة للغاية، التي تشكِّل خطورة كبيرة **جدًّا** على الأمة، خطورة رهيبة **جدًّا** على الأمة، لا يمكن التجاهل لها من جانب **الإمام الحسين** عليه السلام.

في مكة سعى الإمام الحسين عليه السلام في لقاءاته مع من يفدون إلى مكة للعمرة، ومن يفدون إليها للتجارة، من يقصدونها في موقعها ومركزيتها الإسلامية، من أتوا فيما بعد بهدف الحج، سعى عدة أشهر لاستنهاض الأمة هناك، والتواصل مع الناس في هذا القطر أو ذاك من أقطار الأمة الإسلامية، ووصلت إليه رسائل أهل العراق، رسائل تؤكِّد الوقوف إلى جانبه، تؤكِّد أنَّها اتخذت موقفها الحاسم تجاه يزيد، وأنَّها على استعداد لمناصرته، وتؤكِّد على ذلك بالبيعة، والقسم، والوعود المؤكَّدة... إلخ. **الإمام الحسين** عليه السلام لم يتلق من كثيرٍ من الأقطار مثلما تلقاه من العراق، وبالذات من الكوفة، والكوفة كان هناك فيها بقية باقية، وحضور لافت لشيعة الإمام علي عليه السلام وأنصاره؛ باعتبارها كانت عاصمة للإمام علي عليه السلام في ظل خلافته، في الفترة التي أقبلت إليه فيها الأمة وبايعته بالخلافة.

إجراءات ما قبل المسير، والمتغيرات أثناء المسير

فالإمام الحسين عليه السلام **اتخذ إجراءات مهمة**، في مقدمة هذه الإجراءات: أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة؛ ليتأكد، ويتثبت، ويتحقق من مدى إقبال الناس في الكوفة، من مدى ومستوى عزيمتهم، فإذا اطمأن إلى ذلك، ووجد هناك توجهًا جادًّا في ذلك؛ فليرسل إليه برسالة يؤكِّد له فيها مصداقيتهم، وعزمهم، وتوجههم الجاد، وأنَّهم- فعلًا- يتجهون إلى موقفٍ حاسم، واتجه مسلم بن عقيل، والتاريخ يذكر كيف وصل إلى هناك، كيف وجد- أول ما وصل- إقبالًا كبيرًا، وتفاعلًا كبيرًا، وحماسًا كبيرًا ومن جمهور واسع في داخل الكوفة، وعلى ضوء ما شاهده في تلك المرحلة من إقبال وتفاعل وتوجه؛ أرسل رسالته إلى **الإمام الحسين** عليه السلام وصلت رسالته إلى **الإمام الحسين**، طمأنته إلى أنَّ هناك- فعلًا- إقبالًا كبيرًا، وتجاوبًا كبيراً، وتفاعلًا بالشكل المطلوب، يعوَّل عليه، ويؤمَّل فيه، **والإمام الحسين** عليه السلام تحرك من مكة، في نفس الوقت الذي كانت هناك مخططات لاستهدافه في مكة: بالتصفية والاغتيال، أو بفتح حرب عليه في مكة، وهو يسعى إلى أن يتجنب- بكل جهد- الاحتكاك في مكة، أو جرّ حرب إلى داخل مكة؛ مراعاةً لحرمتها، وخرج باتجاه الكوفة، مسافرًا صوب العراق.

الرحلة إلى العراق- كذلك- حصلت ضمنها عدة متغيرات، منها متغيرات في الكوفة بعد وصول عبيد الله بن زياد واليًا من جانب يزيد عليها، وترتيباته التي اشتغل عليها؛ ليستعد لحرب ضد **الإمام الحسين** عليه السلام سعى أولًا للتخلص من مسلم بن عقيل وبعض أنصاره، وسعى إلى السيطرة على الأوضاع في الكوفة، واستغل بعض الوجاهات التي تعوَّدت على بيع الولاءات وبيع الذمم، وسعى- **أيضًا**- إلى الاستفادة من بعض الأشخاص الذين لعبوا دور التخذيل

والتثبيط، والبعض الذين عملوا بالإرجاف والتهويل، وهذه الحالة كانت قد أثَّرت في الحالة الإسلامية؛ **لأنها** حالة كان العمل بها كوسيلة من الوسائل لتدجين المجتمع والسيطرة عليه، كانت وسيلة قد استخدمت كثيرًا- ما قبل يزيد- في أيام معاوية، عندما أتى يزيد كانت الساحة قد تأثَّرت بهذا الأسلوب: **أسلوب الإغراء** للوجاهات وبعض الشخصيات المؤثِّرة في الساحة، **وأسلوب التخويف، والوعيد، والتهديد، والإرجاف** لعامة الناس، والشخصيات التي قد لا تشترى بالمال، لكنَّها تكبَّل بقيود الخوف، وهذا اشتغل فيه عبيد الله بن زياد، وأعدَّ فيه جيشًا لمحاربة **الإمام الحسين**.

الدعي ابن الدعي والياً للكوفة!!

وعبيد الله بن زياد هو من الشخصيات المجرمة جدًّا في التاريخ، والفظيعة الأجرام، كما كان أبوه من قبله زياد، وأبوه زياد هو ادَّعاه، هو يسمى الدَّعِي، استلحقه، **يعني**: ليس ثابت النسب، وهذا زياد كان مجرمًا بشكل كبير **جدًّا**، وعبيد الله بن زياد- **كذلك**- كان مجرمًا بشكل كبير، وزياد بن أبيه كان- **كذلك**- دعيًّا، ادَّعاه معاوية لأبيه (أبو سفيان)، ادَّعى أنَّ والده أبو سفيان زنى بأم زياد، واستلحقه بالنسب، مع أنَّ ذلك مخالفًا لما علم من الدين ضرورة، الإسلام لا يقبل بالعهر والزنا أن يبنى عليه صحة نسب، وفعل ذلك معاوية فيما اشتهر به من مخالفته لكثيرٍ من أمور الإسلام، منها هذه المسألة التي خالف فيها بشكل واضح، وبشكل سيء وفظيع **جدًّا**، تحدثت عنه كتب الشرع، وكتب التاريخ، وكتب الشعر والأدب؛ **لأن** ذلك أحدث- آنذاك- ضجة واستغرابًا في الساحة الإسلامية، كيف يأتي معاوية ليلحق نسبًا بواسطة الزنا، كانت مسألة مستغربة في الساحة الإسلامية بشكل كبير، وبطريقة وقحة ومخزية، أقام مؤتمرًا كبيرًا في داخل المسجد في دمشق، وأحضر فيه شهودًا

يشهدون على أنَّ أباه زنى بأم زياد، ثم يعلن أنَّه بناءً على ذلك قد قرر استلحاق زياد بنسبه، وحضر زياد في نفس المناسبة تلك، التي كانت مناسبة مخزية، حتى أداؤهم للشهادة شهادة لما سمِّي- آنذاك- أو عرف في التاريخ بـ(أبو مريم)، الذي قالوا: أنَّه كان القوَّاد الذي نسَّق عملية الجريمة للزنا، كل تلك الأجواء أجواء فظيعة، مدنَّسة، قذرة، تلك الأجواء القذرة والمدنَّسة أريد لها أن تكون في رأس الدولة الإسلامية، وأن تكون هي المعنية بزمام الأمور، وأن تقود الأمة، **يعني**: أمور فظيعة **جدًّا** طرأت في الساحة الإسلامية، لا تصدق، أمور فظيعة للغاية، شنيعة **جدًّا**، كلها قائمة على الدنس، والأرجاس، والقذارات، والمعاصي، والفسق، والفجور، وأريد لها أن تكون في موقع الصدارة داخل الأمة، وفي موقع السلطة في داخل الأمة، وفي موقع السيطرة على هذه الأمة، ماذا تنتظر من واقع كهذا؟

الإمام الحسين الامتداد لمنهج الرسول ووارثه

الإمام الحسين عليه السلام **بكل ما يمثِّله**، فيما هو عليه من امتداد لمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الوريث لرسول الله في مقام الهداية للأمة، الهادي للأمة، أهدى أمَّة محمد، أصلحها، أطهرها، أزكاها، أتقاها، وهو في مقام القدوة والقيادة لها في دينها، وبالتالي في موقعه العظيم، وفيما عبَّر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو تحدَّث بلحاظ هذا المستقبل القادم والآتي والمهم **جدًّا**؛ ليقيم الحجة على أمته، وليوضِّح لها المعالم التي بتمسكها بها تنجو، وتفلح، وتفوز، وتتغلب على تلك الأخطار الفظيعة والسيئة **جدًّا**.

هناك نصوص كثيرة روتها الأمة، وعلمت بها الأمة، وانتشرت في أوساط الأمة، ولا تخص- مثلًا- الشيعة لوحدهم. إلا، هي موجودة في مصادر الأمة

الإسلامية، بحسب أهمية المصادر بالنسبة لتلك الفرقة، أو تلك الفرقة، أو ذلك المذهب، أو ذلك المذهب، من هذه النصوص: نصوص تحدَّثت عن الحسن والحسين -عليهما السلام- مثل نص رسول الله ﷺ: (**الحَسَنُ وَالحُسَين سَيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة**)، ونصوص- **أيضًا**- فيما يتعلق بالحسن، ونصوص فيما يتعلق بالحسين عليه السلام ونصوص تتعلق بالخمسة أهل الكساء، ونصوص عامة فيما يتعلق بآل رسول الله ﷺ كل هذه النصوص موجودة في مصادر الأمة المعتبرة لديها بحسب كل فرقة ومذهب، من هذه النصوص المهمة بشأن الحسين عليه السلام نصٌ في غاية الأهمية، هو قول رسول الله ﷺ: (**حُسَينٌ مِنِّي وَأَنَا مِن حُسِين، أَحَبَّ اللهُ مَن أَحَبَّ حُسَينًا، حُسَينٌ سِبطٌ مِن الأَسبَاطِ**)، هذا النص يبين موقع **الإمام الحسين** عليه السلام وهذا الموقع هو موقع ديني، موقع في الدين؛ **لأن** هذا الدين يتكون من: **منهج** يقدَّم إلينا، **ورموز وهداة** لهذا المنهج قائمون على تطبيقه، وهم القدوة في التمسك به، والالتزام به، وهم الهداة به، **ومقدسات**، هناك معالم مقدَّسة، مثلما هو بيت الله الحرام، مثل مقدساتنا للحج، المقدسات في المدينة المنوَّرة، المسجد الأقصى... إلخ. **فالإمام الحسين** عليه السلام له هذا الموقع في قول رسول الله: (**حُسَينٌ مِنِّي وَأَنَا مِن حُسِين**)، وهذا تعبير كبير وعظيم في غاية الأهمية، ولا **يعني** فقط ارتباط الحسين عليه السلام بجده رسول الله، من حيث ارتباط النسب باعتباره حفيد رسول الله، وأمُّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ولكنَّه وريث رسول الله- **أيضًا**- في موقع الهداية للأمة، والقدوة للأمة، والقيادة للأمة، إنَّه يمثِّل امتدادًا أصيلًا لمنهج الإسلام، إذا أردت أن تعرف الإسلام كما هو، الإسلام في أخلاقه، في مبادئه، في قيمه، في منهجه، في شرعه؛ فهناك رمز يقدِّم لك كل ذلك، هو **الإمام الحسين** عليه السلام الذي تتجسد في مواقفه مواقف الإسلام، في أخلاقه أخلاق الإسلام، في مسيرة حياته منهج الإسلام، في روحيته روحية الإسلام، فهو تجسيد لمبادئ

هذا الدين، لقيم هذا الدين، نسخة مصغَّرة عن رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- فيما يخص هذا الدين، فيما هو عليه من منهج وخُلُق، فيما هو عليه من مواقف، فيما هو عليه من منهج ومسيرة حياة، وليس بنبي، النبوة ختمت برسول الله ﷺ لكن إذا أنت ترى أنَّه يقال في واقع هذه الأمة عن العلماء: (العلماء ورثة الأنبياء)، ورثة في ماذا؟ ورثة في علمهم، في نهجهم، في أخلاقهم، في موقع القدوة، في موقع الهداية، فالأجدر بالأولى، بالأكثر مصداقيةً وانطباقاً أعلام الهداية من آل رسول الله ﷺ وفي رأسهم ومقدمتهم أصحاب الكساء.

فالإمام الحسين عليه السلام **له هذ الموقع العظيم جدًّا في مرتبة عالية**، مرتبة مهمة، ومرتبة عظيمة، ومنزلة عظيمة، يفترض بالأمة أن تلتف حوله؛ باعتباره الامتداد الأصيل لرسول الله في: القدوة، والقيادة، والهداية للأمة، والاتجاه بالأمة في الاتجاه الصحيح، وهذا ما ظهر جليًّا في واقع **الإمام الحسين** نفسه، **يعني**: فيما قاله رسول الله عنه، وفيما كان عليه في واقع الحال، وهذا شيء طبيعي أن يكون هناك تطابق، رسول الله لا ينطق عن الهوى، هو ينطق عن الله الذي يعلم بمستقبل عباده، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [طه: من الآية ١١٠]، فرسول الله فيما قاله عن **الإمام الحسين** عليه السلام هو قال ذلك عن الله، بعلمٍ من الله، وبأمرٍ من الله، وبدلالةٍ من الله سبحانه وتعالى وحجة على الأمة؛ **لأنها** مرحلة تمثِّل خطورة كبيرة على هذه الأمة، **فالإمام الحسين** عليه السلام - المعروف في هذه الساحة- كان هو من تبنَّى الموقف الذي ينطلق أساسًا من مبادئ هذا الإسلام، وقيم هذا الإسلام، وأخلاق هذا الإسلام، ومنهج هذا الإسلام، وتشريعات هذا الإسلام، في موقفه الرافض تمامًا للبيعة ليزيد، والمتخذ لموقفٍ حاسم من تسلُّطه على الأمة، اتخذ الموقف الصحيح والقرآني، موقفه في ذلك يعبِّر عن هذا الإسلام في كل ما ذكرناه

من: مبادئ، وأخلاق، وتشريعات، ومنهج، ويتطابق بما **الإمام الحسين** عليه السلام عليه، وما هو فيه من تجسيد لهذه المبادئ والأخلاق والقيم، وما هو مؤتمنٌ عليه في طبيعة دوره ومسؤوليته المناطة به، والتي يعلَّق عليها الأمل في أن تكون مصدر إلهام وهداية للأمة، ومصدر خير وصلاح للأمة، فكان **الإمام الحسين** عليه السلام في موقفه، وفي فعله، وفي تضحيته، كما كان يؤمَّل فيه وبأرقى مستوى، وبأعظم ما يمكن أن نقول عنه أو نعبِّر عنه من أداءٍ دقيقٍ وتام وكامل، غير منقوص أبدًا، قام بواجبه، بدوره، بمسؤوليته على أرقى مستوى.

هذا ما سنكمل الحديث عنه- إن شاء الله- في كلمة العاشر من المحرم...

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

الخطاب الجماهيري

بمناسبة

ذكرى استشهاد الإمام الحسين

١٠ محرم ١٤٤٠هـ

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

وعَظَّمَ الله لنا ولكم الأجر في ذكرى مصاب سيد الشهداء، سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسين بن عليٍ -عليهما السلام-.

إننا في هذا اليوم، بذكرى هذه الفاجعة الكبرى في تاريخ الأمة، نتطلع- كشعبٍ يمنيٍ مسلم، وكأمةٍ مسلمة- إلى الإمام الحسين عليه السلام في موقعه في الإسلام رمزًا عظيمًا، وإمامًا هاديًا، نتطلع إليه في مقام الهداية، والقدوة، والامتداد الأصيل النقي للإسلام رؤيةً وتطبيقًا، وقولًا، وفعلًا، وخُلُقًا، وموقفًا، وروحيةً، وسلوكًا.

نتطلع إلى الحسين عليه السلام في موقعه في آية التطهير، وفي آية المودة، وفي آية المباهلة، وفي سورة الإنسان، ومن موقعه في الصدارة والمكان العالي والسامي والراقي في كل آيات القرآن الكريم، التي تحدثت عن أولياء الله، والأخيار من

عباد الله، ومواصفات المؤمنين، والمجاهدين، والصادقين، والمتقين، والأبرار، في مرتبته العليا، ومكانته الكبرى من تلك المواصفات.

الحسين عليه السلام في موقعه من حديث الثقلين، وحديث الكساء، وحديث السفينة، وحديث: (**حُسينٌ مِنِّي، وأَنَا مِنْ حُسَين، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَينًا، حُسَينٌ سِبطٌ مِن الأَسبَاطِ**)، ومن موقعه في الجنة المعبِّر عن علو مكانه في الدين، وعن عظيم مرتبته ودوره في الحياة، الذي عبَّر عنه النص النبوي: (**الحَسَنُ وَالحُسَين سَيِّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة**)، وكل النصوص النبوية التي تعرِّفنا: **من هو الحسين، وما هو مقام الحسين، وماذا يعنيه الحسين.**

نتطلع إلى الإمام الحسين عليه السلام حينما تحرَّك في الساحة الإسلامية في مرحلةٍ من أخطر مراحل التاريخ، وهو يجسِّد مبادئ الإسلام، وقيمه، وروحيته، وأخلاقه، ويحمل رايته، ويقف موقفه في التصدي للطاغوت والطغيان الأموي الذي اكتسح الساحة الإسلامية- آنذاك- بجبروته وإجرامه، وتضليله وإغرائه.

نتطلع إلى الإمام الحسين عليه السلام في نداءاته في أمَّة جدِّه: نداءات الحق، نداءات الحرية، نداءات الكرامة، نداءات العزة، نداءات المضامين القرآنية، نداءات التوجيهات النبوية، نداءات الحكم العلوية، وهو يقول: ((**أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله **قَال: مَنْ رَأَى سُلطَانًا جَائِرًا مُستَحِلًا لِحُرَمِ اللهِ، نَاكِثًا لِعَهدِ اللهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، يَعمَلُ فِي عِبَادِ اللهِ بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ، فَلَم يُغَيِّر عَلَيهِ بِفِعلٍ وَلَا قَولٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدخِلَهُ مُدخَلَهُ، أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ**- وهو يتحدث عن سلطان بني أميَّة- **قَد لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحمَان، وَأَظهَرُوا الفَسَاد، وَعَطَّلُوا الحُدُود، وَاستَأثَرُوا بِالفَيء، وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَه، وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ غَيَّر، قَد أَتَتنِي كُتُبُكُم، وَقَدِمَت عَلَيَّ**

رُسُلُكُم بِبَيعَتِكُم، أَنَّكُم لَا تُسلِمُونِي، وَلَا تَخذُلُونِي، فَإِن تَمَمتُم عَلَى بَيعَتِكُم، تُصِيبُوا رُشدَكُم، فَأَنَا الحُسَين بن عَلِيّ، وَابن فَاطِمَة بِنت رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفسِي مَع أَنفُسِكُم، وَأَهلِي مَع أَهلِيكُم، فَلَكُم فِيَّ أُسوَة)).

نتطلع- في يوم العاشر- من ساحتنا الإسلامية إلى الحسين عليه السلام وهو بذي حُسُم- منطقة في الطريق إلى الكوفة- وقد وصلت إليه طلائع الجيش الأموي، ووصلت إليه أخبار تخاذل المتخاذلين، وتراجع المفرِّطين، وهو في قلةٍ قليلةٍ من صفوة الأمة الأوفياء، في ظروفٍ رضخت فيها معظم الجماهير للطغيان الأموي، واستكانت وذلت أمام جبروته، فوقف عليه السلام بذي حُسُم لحسم الخيار واتخاذ القرار، ثم قال عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (**إِنَّهُ قَد نَزَلَ مِن الأَمرِ مَا قَد تَرَون**)، الصورة باتت واضحة عن طبيعة المعركة: أهل الكوفة قد تخاذلوا آنذاك، وسقطت الكوفة تحت سيطرة ابن زياد، وجيَّش منها جيشًا كبيرًا، توجه نحو الحسين عليه السلام؛ للقائه في الطريق، واستهدافه قبل وصوله إلى الكوفة، ((**إِنَّهُ قَد نَزَلَ مِن الأَمرِ مَا قَد تَرَون**- في تَخَاذُلِ المُتَخَاذِلِين، وَتَنَصُّل المُتَنَصِّلِين عَن المَسؤُولِيَّة، وَفِي قُدُومِ جَيشِ العَدُو- **وَإِنَّ الدُّنيَا قَد تَغَيَّرَت وَتَنَكَّرَت، وَأَدبَرَ مَعرُوفُهَا، وَاستَمَرَّت جِدًّا؛ فَلَم يَبقَ مِنهَا إِلَّا صُبَابَةٍ كَصُبَابَةِ الإِنَاء، وَخَسِيسُ عَيشٍ كَالمَرعَى الوَبِيل، أَلَا تَرَونَ أَنَّ الحَقَّ لَا يُعمَلُ بِه، وَأَنَّ البَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنه، لِيَرغَب المُؤمِن فِي لِقَاءِ اللهِ مُحِقًّا، فَإِنِّي لَا أَرَى المَوتَ إِلَّا سَعَادَة، وَلَا الحَيَاةَ مَع الظَّالِمِين إِلَّا بَرَمًا**)).

هكذا تحدَّث، وهكذا حسم الخيار، وهكذا حدد القرار على ضوء هدي الله، من نور الله، بتوجيهات الله، بمقتضى ما هو عليه من إيمان، وهكذا هو خيار المؤمنين في كل عصرٍ وزمن، وهكذا هي رؤيتهم لحياةٍ يصبح الناس فيها تحت سيطرة الطاغوت، ولحياةٍ يهيمن عليها الأشرار والمستكبرون والظالمون؛

فيحوِّلونها إلى حياةٍ بئيسةٍ تعيسة، غارقةٌ في الظلم والظلام.

نتطلع اليوم إلى الحسين عليه السلام في ذروة الموقف يوم العاشر، وقد أحاطت به جيوش الأعداء، وهو يخطب خطابه فيهم؛ لإقامة الحجة عليهم، بما سبق منهم من العهود، وبما يعرفونه عنه في موقعه في الإسلام، وما له من الحرمة والعصمة في الدين، ويعرض عليهم الحلول المنصفة، التي كان بإمكانهم أن يتقبلوها دون حرج؛ حتى لا يتورَّطوا في أفظع جريمة، ويتحمَّلوا أكبر وزر، وحينما أصرُّوا على خياراتهم الباطلة في الاستسلام أو القتال، وجعلوا من خياراتهم المذلة عرضًا وحيدًا، نادى عليه السلام بنداء العزة والكرامة، وهتف بصوت الحرية، قائلًا: (**لَا وَاللهِ لَا أُعطِيهِم بِيَدِي إعطَاءَ الذَّلِيل، وَلَا أُقِرُّ إقرَارَ العَبِيد**).

نتطلع إلى الحسين عليه السلام وهو يخاطب أنصاره الأوفياء الأبرار، قائلًا: ((**أَلَا وَإِنَّ الدَّعِي ابن الدَّعِي**- وهو يقصد هنا عبيد الله ابن زياد- **قَد رَكَزَ بَينَ اثنَتِين: بَينَ السِّلَّةِ، وَبَينَ الذِّلَّة، وَهَيهَات مِنَّا الذِّلَّة، يَأبَى اللهُ لَنَا ذَلِكَ، وَرَسُولُه، وَالمُؤمِنُون، وَنُفُوسٌ أَبِيَّة، وَأُنُوفٌ حَمِيَّة، تُؤثِر مَصَارِعَ الكِرَامِ عَلَى طَاعَةِ اللئَامِ**)).

نتطلع إلى الحسين عليه السلام وأنصاره الأبرار، وهم يخوضون المعركة، بعد أن زحف العدو عليهم، ويتقدمون الواحد تلو الآخر، من الحر بن يزيد الرياحي، إلى آخر شهيدٍ من الأصحاب، ومن عليٍ بن الحسين الأكبر -عليهما السلام- إلى العباس بن عليٍ -عليهما السلام- وكلٌ منهم يسجل للتاريخ أعظم المواقف المعبِّرة عن الإيمان الصادق في مبادئه وقيمه وأخلاقه، ويُضَمِّنُ سجل الحرية ودفتر الكرامة أعظم معاني الوفاء والإباء والشهامة والعزة.

نتطلع إلى الحسين عليه السلام وحيدًا فريدًا، والأوفياء الأصفياء في الميدان شهداء، والأعداء محيطون به من كل جانب، وهو عليه السلام لم يزدد إلَّا ثباتًا، وإلَّا عزمًا، وإلَّا تصميمًا، قد وَطَّنَ نفسه على الشهادة، لا يتزحزح عن موقفه، ولا يتراجع عن مبدئه، وهو يتطلع إلى لقاء الله محقًا، وإلى السعادة بنيل الشهادة، ولا يأسى على حياةٍ يراد للإنسان أن يبقى فيها ذليلًا مستعبدًا، يتقدَّم في الميدان بكل إباءٍ وعز، مشتاقًا بكل عشق- اشتياق يعقوب إلى يوسف كما عبَّر عليه السلام إلى اللحاق برسول الله، وأمير المؤمنين، والزهراء، والحسن -صلوات الله وسلامه عليهم- في ضيافة الله تعالى، حيث يجمع الله شمل أصحاب الكساء في حضيرة القُدُس، في محضر الكرامة الإلهية. والحسين عليه السلام بثباته، وجهاده، وتضحيته، واستشهاده، أبقى للإسلام امتداده وحضوره عبر الأجيال بنقائه وأصالته.

فنحن قائلون في هذا اليوم: السَّلامُ عَلَيكَ يَا سِبطَ رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يَا نُورَ القُرآن، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا بَسَالَةَ عَلِيّ وَتَفَانِيهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيكَ يَا تَبَتُّل الزَّهرَاء -عليها السلام- السَّلَامُ عَلَيكَ يَا سُؤدُدَ الحَسَن.

رسالة السيد القائد في يوم عاشوراء

ونحن- كشعبٍ يمني- بحكم انتمائنا الإسلامي، وهويتنا الإيمانية، نؤكِّد في يومك- الذي لا يوم بعده كمثله ما بقي الدهر- نؤكِّد ما يلي:

أولًا: ثباتنا على موقفنا المبدئي والإيماني في التمسك بقضايا الأمة الكبرى، وعلى رأسها مظلومية الشعب الفلسطيني، وحقه في الحرية واستعادة المقدسات والأرض.

ثانيًا: وقوفنا إلى جانب المقاومة وأحرار الأمة في مناهضة الهيمنة الأمريكية، والتصدي للعدو الإسرائيلي، بما يمثِّله من خطورةٍ على الأمة بكلها، وعلى الأمن والسلام والاستقرار في العالم. كما نؤكِّد تضامننا مع كل المظلومين، ومن ضمنهم الشعب البحريني العزيز.

ثالثًا: نؤكِّد صمودنا وثباتنا في التصدي للعدوان الأمريكي السعودي الإماراتي على بلدنا العزيز، ومهما كان حجم الطغيان، ومهما ارتكب العدو من الجرائم، فلن يرغمنا على الاستسلام أبدًا؛ **لأننا** ننتمي إلى الإسلام في أصالته، التي رمزها وعنوانها سبط رسول الله الحسين بن علي -عليهما السلام-.

وأنا في هذا المقام أدعو أبطال الجيش والأمن، وأحرار القبائل، وشباب الأمة إلى النفير والتحرك الجاد إلى الجبهات: في الساحل الغربي، وفي الحدود، وفي سائر الجبهات، **إنَّ صمودنا اليوم هو تعبيرٌ عن إيماننا، وتجسيدٌ لمبادئنا.**

إنَّ مشكلة تحالف العدوان معنا هي مشكلة تعود إلى تمسكنا بهذا المبدأ، وبهذه القيم، وسيرنا في هذا الطريق: طريق الحرية والعزة والكرامة، ما يريدونه منَّا هو الاستسلام لهم، والخنوع لهم، والخضوع لهم؛ كي يهيمنوا علينا، ويستعبدونا من دون الله، كي نكون في هذه الحياة شعبًا لا قرار له، ولا حرية له، ولا كرامة له.

ونحن اليوم نقول؛ وفي هذا الحضور الذي نعبِّر فيه عن هذا الانتماء، وعن هذا الولاء للإسلام، ولرموزه العظماء، وللإمام الحسين عليه السلام نقول لقوى العدوان: **مهما كان طغيانكم، ومهما طال حصاركم، مهما فعلتم بنا، ومهما ارتكبتم بحقنا من الجرائم، فإننا- بإذن الله تعالى وبمعونته- ثابتون وصامدون، لن نتراجع أبدًا، ولن نستسلم نهائيًا.** ونحن قائلون

من أعماق قلوبنا، وبأعلى أصواتنا: (**هَيهَات مِنَّا الذِّلَّة**).

إنَّ (هَيهَات مِنَّا الذِّلَّة) هي بالنسبة لنا مبدأ، وهي بالنسبة لنا قيم، وهي بالنسبة لنا أخلاق، وهي بالنسبة لنا موقف، رددها أبطالنا في الجبهات، وشهداؤنا في اللحظات الأخيرة قبل اللحاق بالرفيق الأعلى، ورددها جرحانا، ويرددها أبناء شعبنا بكل عزمٍ، وبكل ثباتٍ، وبكل صمود.

ونحن معنيون اليوم ببذل كل جهد على كل المستويات، وفي كل المسارات، وبالاعتماد على الله ﷻ لتماسكنا وصمودنا، حتى يأذن الله بالنصر. والتوجه على هذا الأساس، وفي هذا الطريق؛ كانت نتيجته- دائمًا وأبدًا- هي النصر من الله ﷻ الذي وعد بالنصر فقال: ﴿ . . وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج]، **وقال:** ﴿ . . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم]، هي العزة التي وعد الله بها فقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: من الآية٨].

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا بتوفيقه للتمسك بهذا الإسلام، والاقتداء بسبط رسول الله ﷺ في ثباتنا على الحق، وفي أن يكون الحق على الدوام هو خيارنا، وهو مستمسكنا، وهو طريقنا، وهو دربنا، لا نحيد عنه ولا نميل.

أشكر لكم هذا الحضور المبارك والمشرِّف، وأسأل الله أن يكتب أجركم، وأن يرحم- في هذا اليوم- شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،